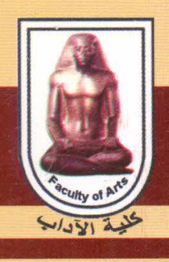




حوليات
مركز البحوث والدراسات التاريخية
كلية الآداب - جامعة القاهرة

دورية علمية محكمة

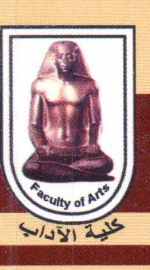
أنبياء بنى إسرائيل وعلاقتهم بيهود اليوم

دراسة تاريخية من منظور إسلامى

إعداد
محمد حسن الحداد

مراجعة وتقديم
د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور
الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية وآدابها
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الحولية يناير ٢٠١١م
محرم ١٤٣٢ هـ





Annals of
Center for Research and Historical Studies
Faculty of Arts - Cairo University

Historical Annual

A Refereed Research Periodical

January 2011- A.D- Muharram 1432 H.D.





حوليات
مركز البحوث والدراسات التاريخية

أنبياء بنى إسرائيل وعلاقتهم بيهود اليوم
دراسة تاريخية من منظور إسلامى

إعداد

محمد حسن الحداد

مراجعة وتقديم
د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور
الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية وآدابها
بكلية الآداب - جامعة القاهرة

الحولية يناير ٢٠١١م محرم ١٤٣٢ هـ

حوليات

مركز البحوث والدراسات التاريخية

دورية علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب – جامعة القاهرة وتتضمن مجموعة من الدراسات التى تُعنى بمجالات الدراسات التاريخية والحضارية .

قواعد النشر فى
حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية

١) تهتم "وقائع تاريخية" بنشر الدراسات والبحوث المتخصصة فى التاريخ والحضارة ذات المستوى الرفيع، والتى تخضعها هيئة التحرير للتحكيم العلمى، وفقاً للقواعد المعمول بها فى المجلات العلمية المتخصصة. كما تهتم بنشر عروض للكتب حديثة الإصدار، والندوات المتخصصة.

٢) تقبل "وقائع تاريخية" البحوث والدراسات المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية فى حدود ٣٠ صفحة مسجلة على قرص مرن وفق برنامج (word) مع ثلاث نسخ ورقية حجم (A4) بما فى ذلك الهوامش وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش فى نهاية البحث.

٣) تعتذر "وقائع تاريخية" عن نشر البحوث والدراسات المنشورة والمقدمة للنشر فى مجلات علمية أخرى.

٤) للمجلة حق التصرف المادي دون الأدبي فيما ينشر بها من البحوث، ويكون لها الحق في إعادة نشر البحث منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى أي لغةٍ أخرى وبأي وسيلة نشر دون حاجة إلى استئذان صاحب البحث.

٥) النشر فى "وقائع تاريخية" متاح للمهتمين بالتاريخ والحضارة، وبخاصة أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية.

٦) البحوث التى تنشرها وقائع تاريخية، والآراء الوارادة بها، تعبر عن وجهة نظر أصحابها، وهيئة التحرير غير مسئولة عنها.

المراسلات : ترسل البحوث والدراسات باسم أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق مدير مركز البحوث والدراسات التاريخية ورئيس تحرير وقائع تاريخية على العنوان التالى :

كلية الآداب – جامعة القاهرة – بريد الأورمان – الجيزة.

All correspondence to be directed to : Editor- in chief- Prof.Dr. Wageh Abdel Sadek Atek, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E.

e.mail. wageh_atek@hotmail.com

تقديم

تأتى أهمية دراسة تاريخ أنبياء بنى إسرائيل من المنظور الإسلامى لإيمان المسلمين بأن هؤلاء الأنبياء يمثلون حلقات فى سلسلة الأنبياء، تلك السلسلة التى تبدأ من آدم أبى البشر وتنتهى بمحمد خاتم الأنبياء- صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين- فدراسة تاريخ أنبياء بنى إسرائيل يعد فضيلة منهجية، وكاشفة للعديد من المعضلات المعيشة حاليا، وإذا كانت تلك الأمة التى بعث فيها هؤلاء الأنبياء على تماس شديد معنا -نحن المسلمين- وأقصد هنا أمة اليهود التاريخية والواقعية تصبح لتلك الدراسة أكثر من دلالة، فالمقاربة مع الإطار النظرى التاريخى الذى وُضع لليهود ومدى انطباق محدداته مع السلوكيات والأفعال ربما أيضًا يجعلنا على وعى بالنقد القرآنى لدستورهم الأخلاقى المعاش.

إذا كان أعظم الجهاد هو الجهاد بالنفس فى سبيل الله، لمنْ توفرت له أسبابه وشروطه، بل وتقديم هذا الجهاد على كل ما قد يشغل الإنسان فى حياته وذلك مصداقًا لقول الحق عز وجل "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (التوبة الآية ٢٤). فإن جهاد العلماء العرب والمسلمين بشكل عام بالكلمة المدعمة بالأدلة العلمية والموضوعية، لا يقل أهمية ولا شأناً عن الجهاد بالنفس والمال، وعلى أقل تقدير يأتى فى الترتيب بعدهما، وذلك إذا خَلُصت النوايا، وبُذل فى سبيل ذلك وُسع الطاقة؛ فالحق، تبارك وتعالى، لا يكلف نفسًا إلا وُسعها.

فى هذا الصدد، أحسب الأستاذ محمد حسن الحداد، ولا أزكيه على الله، قد لحق بكرب المجاهدين فى سبيل الله بالكلمة الموثقة والمدعمة بالأدلة الموضوعية؛ حيث إنه قد اجتهد وبذل وسع طاقته فى وضع لبنة علمية موضوعية فى عرضه لتاريخ بنى إسرائيل، متبعًا المنهج التاريخى المناسب ليس فقط لرصد الأحداث التاريخية، بل ووصفها كذلك بداية من عصر سيدنا إبراهيم - عليه السلام- حتى وقتنا الحاضر، أى على مدار ما يقرب من أربعين قرنًا.

الله تعالى أدعو أن ينفع بما بين طيات هذا الكتاب من علم، وأن يغفر لنا وله ما فرط منا، إنه ولى ذلك وهو القادر عليه.

د. مصطفى عبد المعبود سيد منصور
الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية وآدابها
كلية الآداب - جامعة القاهرة

التعريف بالمؤلف

محمد محمد حسن جاد (الحداد)

من مواليد بني مــزار / المنيا ١٩٣٩ م

دبلوم السكرتارية بعد الثانوية العامة أدبي ١٩٦٦

كاتب آلة كاتبة وسكرتير سابق بشركة السكر (مصنع قوص، والإدارة العامة بالقاهرة)

سبق له العمل بأمانة مدينة الدمام (بلدية جزيرة تاروت ومنطقة القطيف) بالسعودية.

بسم الله الرحمن الرحيم

" **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** " . (مفتتح سورة الإسراء)

فهذا هو المسجد الأقصى أسير في يد الصهاينة، ونحن الآن فى حقبة ": " ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا "، والحديث موجه إليهم، وسيُحرر من أسره على أيدى المسلمين إن أراد حكـامنا ذلك، وهم مطالبون. وسيأتى جيل هو أقدر على تنفيذ ما وعد الله به : " **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ** ". (٧ الإسراء)

وصدق الله

ووصْف المسجد الأقصى بأنه " الذى باركنا حوله " وصف يرسم البركة حافة بالمسجد، فائضة عليه، وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل " باركناه، أو باركنا فيه " وذلك من دقائق التعبير القرآنى العجيب.. (١)

صورة الغلاف : المسجد الأقصى باركه الله... فــ مــلــئوا منه أعينكم فهو اليوم موجود، وغدا....

تزكية

الحمد لله وكفي.. وصلاة وسلاما علي عباده الذين اصطفى وبعد، فإن الباحث النزيه الذي يغوص في أعماق التاريخ من أجل إحقاق الحق، ودمغ الباطل الذي يتشدق به البعض أملا في بسط الهيمنة والتحكم والسيطرة علي الضعفاء الذين ركنوا إلى الدنيا وشهواتها، ومعلوم أن العلم لا نهاية له، وأن المعرفة الصحيحة تؤدى إلى كشف زيف الكذابين علي مدى التاريخ.

ولقد نهج بعض المسلمين من أولى العلم والمعرفة منهجا معتدلا في عرض التاريخ القديم عرضا يتسم بالشفافية والموضوعية مع ذكر الأدلة التى تؤكد علي بيان الحقائق التاريخية الموثقة، ومن هؤلاء الإمام ابن كثير في موسوعته التي تستحق أن يقال عنها إنها أعظم موسوعة تاريخية و دينية هذه الموسوعة هى "البداية والنهاية ".تحدث ابن كثير فيها عن بدء الخليقة، وسار فيها عبر القرون، وأفاض في الحديث عن بنى إسرائيل، والأسباط، وما كان من أعمالهم وسيرتهم.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع الذى نحتاج إليه في واقعنا، لأن المنطق السليم يقرر ضرورة معرفة الإنسان لعدوه حتى يكون على حذر منه.. ومن أقوال علماء المنطق : (الحكم علي الشيء فرع من تصوره).. فقد اهتم الباحث محمد حسن الحداد الذي أجهد نفسه وقلمه وعقله فجمع تاريخ بنى إسرائيل من خلال كتاب " البداية والنهاية " لابن كثير، وهو من أمهات الكتب ومن أعظم المراجع التي يرجع إليها العلماء، واستطاع بثاقب فكره وخبرته إخراج هذا الموضوع بأسلوب يتفق مع مستجدات العصر، وضم إلى هذا من كتاب : (القبيلة الثالثة عشرة) الذى يؤرخ لدولة الخزر وكيف اعتنقت ديانة " منبوذين " لمؤلفه د/ أرثر كيستلر ــ اليهودى، المشهور بمؤلفاته، والحائز على درجة الدكتوراه فى القانون، والذي دعته الجامعات الأمريكية لإلقاء محاضرات فيها فى علم النفس الموازى، والذى أنعمت عليه الحكومة البريطانية بوسام " قائد"، يذكرفي ملحق كتابه المذكور أن : "كيان دولة إسرائيل لا يستند إلى أصول اليهود العرقية النظرية ولا إلى ركائز عقائدهم الدينية، وإنما يقوم أساسا بمقتضى القانون الدولى أعنى القرار الذى أصدرته منظمة الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين.." إلى جانب بعض المصادر الأخري العديدة، ومنها ما يخص المسجد الأقصى.

وفى ضوء ما ذكر ننصح لكل ذى عقل مستنير أن يعرف حقيقة هؤلاء الذين دنسوا أرض النبوات، وأنكروا القيم التى جاء بها الرسل والأنبياء، وارتكبوا أفظع أساليب الطغيان والفساد.

إن هذا الكتاب الذى لابد أن يقرأ، يستحق منا أن نكون على وعى بما ذكره الكاتب المخلص المدقق والباحث الواعى، الذى كرّس جهده على مدى سنوات لإخراجه، فجزاه الله خيرا على ما قدّمه للأمة العربية والإسلامية، حتى تكون على وعى بما يدبّره لها الأعداء.

ندعو الله أن يشد من أزر الأمة حتى تعود لها قوتها، ويعود المسجد الأقصى إليها.

والله وليّ التوفيق

فكرى حسن إسماعيل

وكيل وزارة الأوقاف سابقا

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ومن كبار علماء الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ.

((٦١ البقرة

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)

((٧٨ : ٧٩ المائدة

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧ الأعراف)

أنبياء بنى إسرائيل وعلاقتهم بيهود اليوم
دراسة تاريخية من منظور إسلامى

إعداد محمد حسن الحداد

تمهيـــد

قصة البشرية الأولى
والإسلام الذى ارتضاه الحق سبحانه وتعالى للبشرية جميعا دينا ومنهجا

في ساحة الملأ الأعلى :

" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " (٣٠ البقرة)

هذه المشيئة العليا تريد أن تسلـّم لهذا الكائن الجديد فى الوجود زمام الأرض، وتطلق فيها يدَه، وتَهَبُ له من الطاقات الكامنة والإستعدادات المدّخرة فى الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتَهَبُ له من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية، وأودع الله فى هذا الكائن البشرى ــ وهو يسلمه مقاليد الخلافة ــ سرّ القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، وتسمية الأشخاص بأسمائها، ما يجعلها وهى ألفاظ "منطوقة ــ رموزا لتلك الأشياء المحسوسة والأشخاص، وهى قدرة ذات قيمة كبرى فى حياة الإنسان على الأرض (٢) " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " (٣١ البقرة).

(وجَبَلَ الربُّ الإلهُ من الأرض كلَّ حيوانات البرية وكلَّ طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا آدم ذات نفس حية فهو إسمها. فدعا جميع أسماء البهائم وطيور السماء، وجميع حيوانات البرية. (تكوين ١٩/٢ــ٢٠)

منزلة عظيمة هذا الإنسان فى نظام الوجود على هذه الأرض وهو التكريم الذى شاء له خالقه الكريم. ") وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا (٣٤ البقرة و٥٠ الكهف). وانسحب هذا التكريم من شخص آدم إلى ذريته :" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ " (٧٠ الإسراء). لقد وُهِب الإنسانُ سرّ المعرفة، وسرّ الإرادة المستقلة التى تختار الطريق. وهذا من بعض أسرار تكريمه. ولم يتركه تائها بل " يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

بالرُوح مِنْ أمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أنْ أنذِرُوا أنَّهُ لاَ إلهَ إلاَّ أنا فَاتَّقُون "(٢ النحل) رتلا طويلا من مرسلين وأنبياء، منهم : " إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ " (٣٣ آل عمران).

والإسلام هو الدين الذى ارتضاه الحق سبحانه وتعالى للبشرية جميعا بنصه وإسمه وحروفه تحديدا، يسلـّم السابق منهم اللاحق : فقد أوصى آدم قبل موته إلى إبنه شيث وعلـّمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات..(٣) فهل يكون موضوع العبادات المذكورة غير الإسلام استنتاجا ؟، وأوصى شيث مَن بعده إبنـَه يانش (أنوش) تكوين ٤: ـــ " " فقام بالأمر، ومنه إلى إدريس عليه السلام الذى أثنى عليه رب العزة : " وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياً (٥٦ــ ٥٧ مريم) (٤) وهو (أخنوخ) تكوين ٥: .

ويَرِدُ علي لسان سيدنا نوح : " فَإن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَألْتُكُم مِّنْ أجْرٍ إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأمِرْتُ أنْ أكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ ". (٧٢ يونس)

وعلى لسان سيدنا إبراهيم : "وَإذْ يَرْفَعُ إبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"(١٢٧ ـــ١٢٨ البقرة)

ومن يرغبُ عن ملـّةِ إبراهيمَ إلا من سَفِهَ نفسَه ولقد اصطفيناهُ فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. إذ قالَ لهُ ربُّهُ أسلِمْ قالَ أسلمْتُ لِربِّ العَالمِينَ. ووصى بها "أى كلمة الإسلام " بنيه (وهما إسماعيل وإسحق، وتستمر التوصية بالإسلام ـــ إلى يعقوب) "وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأنتُم مُّسْلِمُونَ"".(١٣٠ـــ ١٣٢ البقرة)

"وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَـــانَ مِـــنَ المُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أنزِلَ إلَيْنَا وَمَا أنزِلَ إلَى إبْرَاهِيمَ وَإسْمَاعِيلَ وَإسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" (١٣٥ــ ١٣٦ البقرة)

ويدافع الحق سبحانه وتعالي عن خليله إبراهيم : " مَا كَانَ إبْرَاهِيمُ يَهُودِياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ" (٦٧ آل عمران)

وقد التزم يعقوبُ الإسلامَ وألزمَ بها بنـيهِ ـــ كما سبق ـــ فقال الحق سبحانه وتعالى فيه : "أمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إلَهَكَ وَإلَهَ آبَائِكَ إبْرَاهِيمَ وَإسْمَاعِيلَ وَإسْحَاقَ إلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ" (١٣٣ البقرة)

ولمّا كان يوسفُ وريثَ أبيه فى النبوة فهو يدعو الله عز وجل أن يحسن ختامه بالإسلام : ربّ قد آتيتنى من المُلك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السمواتِ والأرض أنت وليىّ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين " (١٠١يوسف)

وقال السحرة المصريون لفرعون موسى :" وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ". (١٢٦الأعراف)

" وَقَالَ مُوسَى لقومه (العبرانينن) يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ " (٨٤ يونس)

وفرعونُ موسى فى لحظاته الأخيرة : "حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ". (٩٠ يونس) (فمن عرّف فرعون أن هذا الدين إسمه الإسلام إلا أن يكون قد سمع هذا من نبى الله موسى فى حواره معه ؟)

وقرأتْ بلقيسُ كتابَ نبى الله سليمان : " قالت يأيها الملأ إنى ألقِىَ إلىَ كتابٌ كريمٌ. إنه من سليمانَ وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألاّ تعْلُوا علىّ وأتونِى مُسْلِمِينَ ". (٣١ النمل)

ونبىُ الله سليمان فى مجلسه : " قَالَ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ " (النمل ٣٨) "فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ "(٤٢ النمل) " قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ". (٤٤ النمل)

وفي حديث الحق سبحانه وتعالى إلى عيسى : " إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ " (١١١المائدة)، " فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مسلِمُونَ ". (١٤هود)

" قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مسلمون". (١٠٨الأنبياء)

" وَمَا أَنتَ بِهَادِى الْعُمْى عَن ضَلالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ " (٨١ النمل)

ومع ذلك فالحق سبحانه وتعالى يوصينا بـالآتى :" وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ

إليكُمْ وَإلهُنَا وَإلهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " (٤٦ العنكبوت)

حتي الجن يقولون :"وَأنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القاسِطُونَ فَمَنْ أسْلَمَ فَأوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً "(١٤ الجن)

" وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ". (٨٩ النحل)

"مِلَّةَ أبِيكُمْ إبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ". (٧٨ الحج)

وهنا يتجاوز الأمر البشر من بنى آدم إلى الكون بما فيه " أفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإلَيْهِ يُرْجَعُونَ " (٨٣ آل عمران) ،

ويجعل الله الإسلام هو السبيل الوحيد طريق الناجين ـــ وغيره مهما كان طريق الخاسرين : " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ".(٨٥ آل عمران)

والله يشهد

" وَإذْ أخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أأقْرَرْتُمْ وَأخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إصْرِى قَالُوا أقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ". (٨١ آل عمران)

ومسك الختام :

يا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الجَنَّةَ أنتُمْ وَأزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَأنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأكُلُونَ" (٦٧ ـــ٧٣ الزخرف) (اللهم اجعلنا منهم..آمين والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة).

فالإسلام إذن هو عقيدة سماوية (٥)، وليس فى التوراة أو الإنجيل ما ينقض ذلك، وأى توراة وأى إنجيل مصطلح حديث لم يعرفه اليهود طيلة تاريخهم، والمصطلح المستخدم هو" مملكة يهودا " فهم :

عبرانيون من "عِبْرِيّ "، وكان الكنعانيون أول من أطلقها على إبراهيم وذرّيته، وهى لا تعنى دينا ـــ كما لا تعنى جنسية أيضا إنما جاءت التسمية لأنه فى هجرته من بابل عَبَرَ نهر الفرات ـــ وصولا إلى أرض كنعان، والعبرانية أو العبرية لغتهم ولسانهم.

وهم إسرائيليون نسبة إلى نبىّ الله يعقوب، وقد دُعِى أو سُمّىَ "إسرائيل"

أى المجاهد فى سبيل الله تكريما له.

وهم لقــبّوا أيضا بـــ " اليهود" نسبة إلى مملكة يهودا ـــ كما سبق ـــ والأصل هو إسم (يهوذا) " تكوين ٢٩" السبط الرابع من ذرية يعقوب من زوجته ليا (ليئة) وكان الفرس أول من أطلق هذه التسمية عليهم حين نسبوهم إلي "مملكة يهودا " فهى لاتعنى دينا، وإن غدت تعنى كل من يدين بالشريعة الموسوية. وأن المسيحية هى أيضا نسبة إلى المسيح والنصرانية نسبة إلى الناصرة (حيث ينتسب السيد المسيح) وقد وردت فى القرآن صفة لأتباع المسيح (نصارى) وشاعت فى اللغة العربية على هذا المعنى، ويشيع اصطلاح مسيحى ومسيحية فى اللغات الأوربية ولا تعرف هذه اللغات مصطلح نصرانى ونصرانية.

أما القبطية والأقباط فتطلق على من يدينون بالمسيحية فى مصر، وهم فى الأصل أتباع المذهب اليعقوبى.ولم يرد فى التوراة مسمى للعقيدة اليهودية وكل ما جاء قريبا من هذا المعنى أنها بركة "بركة الرب التى حلــّت فى إبراهيم وذريته". وفى المسيحية أنها "ملكوت السموات وملكوت الله وأنهـــا العمادة والتكريز"

كل هذه صفات وليست مسميات. أما الإسلام فقد جاءت تسميته صريحة وقاطعة للعقيدة فهي" الإسلام ". والإسلام ليس دينا جديدا بشـــّر به محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو الدين الذى خـــُلق وعاش عليه آدم وبنوه وبُعث به نوح وإبراهيم وموسي وعيسى دين عبادة الله وحده لا شريك له، الوحدانية المطلقة المنزّهة عن كل شرك وهى آخر مرحلة من مراحل التطور فى إدراك حقيقة الله، تلك المراحل من التطور التي مرّت بها رسالة السماء من أبينا آدم ـــ حتى محمد "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ " (١٦٣ النساء)

وقد جَبــّتْ (ألغت) رسالة يسوع دعوى إسرائيل فى التميز والاختيار كما ألغت أن تكون الأرض المقدسة أو أرض الميعاد لغير المؤمنين بملكوت السموات. فاللعنة تحل باسرائيل كغيرهم من الأمم حين يضلــّون : " يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يُترك خرابا، لأنى أقول لكم أنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مباركٌ الآتى باسم الرب " (متي ٢٣) (أى حتي تؤمنوا).(٦)

ولمّا كانت أركان الإسلام الخمس هي : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت. فكيف تم ذلك في الأمم السابقة ؟.

وَضَحَ ذلك في الآية الكريمة : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لمَا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم (أى مطابق له) (هذا التعبير البليغ فقط يكفى ليخبرنا أن محتوى الرسالات كلها واحد يصدُق آخرُها ماجاء بأولها) لتؤمنن به ولتنصرنـــّه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى (عهدى) قالوا أقررنا قال فاشهدوا (أى لمحمد وما جاء به) وأنا معكم من الشاهدين (٨١ آل عمران) (تبارك الله).

والحق سبحانه وتعالي هنا يطوي الأزمنة المتتابعة بين الرسل والأنبياء، ويجمعهم كلهم فى مشهد واحد ويخاطبهم ويأخذ عليهم هذا الميثاق والعهد الثقيل [٧] ويشهد جلّ جلاله على هذا الميثاق فى تعبير بليغ يجلّ عن الوصف. وهذا هو الركن الأول (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

إقام الصلاة : خاطب الحق سبحانه وتعالى بنى إسرائيل وأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم فقال تعالى :

" يا بني إسرائيل اذكروا نعمتيَ التي أنعمتُ عليكم وأوْفوا بعهدى أوفِ بعهدكم وإيّايَ فارهبون. وآمنوا بما أنزلتُ مصدقًا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون. ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون. وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين." فهل يحتاج ذلك لشرح ؟ لقد تضمن التعبير الركنين : "إقام الصلاة هى نفسها التى نقوم بها من ركوع وسجود. وإيتاء الزكاة. (٤٠ ـ٤٣ البقرة)

وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربَى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم..(٨٣ البقرة) أيضا : " يا مريم اقنتى لربك (أطيعيه) واسجدى واركعى مع الراكعين. (٤٣ آل عمران)

وقال صلى الله عليه وسلم :إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن فجمع يحيى بنى إسرائيل حتى امتلأ بهم المسجد فقعد على الشــرُف (أى مكان مرتفع) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهــن وآمركم أن تعملوا

بهن. وأولـــهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا. وآمركم بالصلاة فإن الله ينصبُ وجهه قِبــل عبده ما لم يتلفت فإذا صلــيّتم فلا تلتفتوا.. وآمركم بالصيام، وإن خُلوفَ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.. وآمركم بالصدقة.. وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا، فإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان فى ذكر الله عز وجل ". وأكمل رسول الله " وأنا آمركم بخمس الله أمرنى بهن، بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل الله...(٨) (وقد ذكر نبيــّنا صلي الله عليه وسلم صيام داود فقال كان يصوم يوما ويفطر يوما) (٩) وفي خبر المائدة أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين أن يصوموا ثلاثين يوما، فلما أتموها سألوا عيسى إنزال مائدة من السماء تكون لهم (عيدا)..(أليس هذا صيامنا.. أليس هذا عيد الفطر ؟) (١٠) يؤكد هذا قوله تعالى : "يأيها الذين آمنوا كــُتب عليكم الصيام كما كــُتب علي الذين من قبلكم.". (١٣٨ البقرة) دين واحد بأركانه الثابتة على مر العصور.. فالحمد لله على نعمة الإسلام " ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنىْ عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم (نصرتموهم) وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرنّ عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل. (١٢ المائدة) ولذلك عقـــّب جلّ شأنه قائلا : " فبما نقضيهم ميثاقــَهم لعنــّاهم وجعلنا قلوبَهم قاسية..." (١٣ المائدة)

خطة البحث :

هذا العنوان المركب تركيبا تنافريا بسبب ادعاء هؤلاء، زورا وبهتانا، انتسابهم لنبى الله يعقوب الذي هو إسرائيل، مما يشكل جدلية بمجرد اطلاعنا علي العنوان بتركيبته هذه وما سيترتب عليها من تشابك وتداخل، وتتضح الأمور في الفصل الثالث.

فإذا استشرفنا (وقفنا فقط علي مشارفه) فنحن في رحاب المسجد الأقصى شرّفه الله وبارك حَولَهُ، مبتدأ يعقوب، ومبنيَ سليمان (الملوك الأول إصحاح ٦)، وقبــلــَة الأنبياء، ومُصلى رسول الله بالأنبياء والمرسلين إمامًا حيث انعقد لواءُ الزعامة لنبيّ آخر الزمان برسالته الخاتم. وبداية معراجه من الصخرة إلى الملأ الأعلى بالبراق، وعهدة عمر بن الخطاب لأهل إيليا ــ وقد قلتُ في " حواري مع الراء" : (١١)

والراء إسراءُ والمعراجُ معجزةٌ   بها انفردت رسولَ الله يا بشرُ
قد قال صاحب بُرْدٍ فيك من وصف   وأنهجَ "الشوقُ" فنعمــًا هو الشعرُ
وليس لى بمكان بعد قولِهما   ولا أعبــّر خوفَ تــُكرّر العِبَرُ

ويقوم هذا البحث على :

تمهيد : وفيه عرضٌ لبعض من الآيات الكريمة التى تؤكد على وحدة الرسالات السماوية من مبتدأ البشرية **بالإسلام دينا**، وأن الحق سبحانه وتعالى أخذ ميثاق جميع الأنبياء والمرسلين على التصديق بالرسالة الخاتم، والشهادة بمحمد نبيا ورسولا، فشهدوا وأقرّوا، فقال جل شأنه فى تعبير تقشعر له الجلود : " **وأنا معكم من الشاهدين** ".

* **الفصل الأول** : أنبياء بنى إسرائيل للحافظ بن كثير من موسوعته " البداية والنهاية " موسوعة مشهود لصاحبها بتحرى الدقة والاعتماد على مصادر موثوق بها.

وقد تمكنت من عمل تخطيط توضيحى لأبناء يعقوب الإثنى عشر من زوجاته الأربع وذرّياتهم معتمدا علي اختلاف الألوان فجعلتُ اللون الأحمر لسبط يهوذا من زوجته ليا وبالعبرية (ليئة) سبط يهوذا ومن سلالتهم داود، سليمان، زكريا، يحيي، مريم وعيسى عليهم السلام (علي سبيل المثال).

رتلا طويلا من أنبياء ومرسلين امتاز كل منهم بمعجزاته لقومه ليصدقوه، وقد احتوى الفصل على أحداث منها إلقاء سيدنا إبراهيم ـــ خليل الله ـــ فى النار، موسى ولقائه بالفرعون وسجود السحرة المصريين لله وهم علماء الأمة، سُخْطُ الله على من جعل منهم القردة والخنازير، دعاء الخضر لله : " يامن لا يمنعه سمعٌ من سمع، ويامن لا تغلطه المسائل، ويامن لا يبرمه إلحاح الملحّين ولا مسألة السائلين ارزقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك " (آمين) (١٢)، (وإن كان ضعيف المصادر ــ إلا أنه دعاء لله جل شأنه يُرجى به القبول) وجمال صوت داود فى صلاته وتمجيده لله، ومُلــك سليمان.. ومائدة تنزّل من السماء، بين يدى عيسى، وشجرة طوبى، وفيها وصفُ الله تعالى لأمة أحمد المرحومة : "علماءُ حكماءُ كأنهم أنبياء، يرضون منّى بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخِلهم الجنة بـــ لا إله إلا الله، هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تـــذلّ ألسنُ قومٍ بـــ لا إله إلا الله كما ذلت ألسنتـــُهم، ولم تذلّ رقابُ قومٍ قط

بالسجود كما ذلـّت رقابهم..يصلـّون لى قياما وقعودا وركـّعا وسجودا.. ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم ". فتباركتَ وتعاليتَ سبحانك ياربى فكم زاد فضلك على أمة نبيك ورسولك أحمد)

وينتهى الفصل الأول بما يُعتبر فترة مفصلية تبدأ برفع عيسى إلى السماء وإلقاء شبَهِهِ على يهوذا فى الوجه والصوت، ويؤتىَ بالشبيه فيُصلب.. وينقسم الناسُ إلى فرق ثلاث. وتستمر هذه الفترة أكثر من ثلاثمائة عام، تـُكتب الأناجيلُ الأربعة تـَروى قصص تلك الفترة. وتتخذ الدولة الرومانية ــ التى كانت تحتل الشرق الأوسط ــ المسيحية الحالية دينا معترَفا به، ويُكتبُ إنجيل برنابا بصيغة أقرب إلى حقيقة ما حدث فيقول : " **بل رفعه الله إليه** ".

* **الفصل الثاني** : يهود التوراة السيفارد أو السفرديم، ومراحل إبعادهم عن فلسطين أو رحلة الشتات، تعاريف لمعتقداتهم وعناصر ديانتهم التى أصبحت على يد محرّفيها ديانة تعكس تشوّها فى رؤيتها للتاريخ بفعل قصورها المبدئى عن إدراك جوهر الإله "يهوه" وخصوصا وحدانيته المطلقة، وشمول ربوبيته للبشر كافة ما أوقعها فى أسر فكرة الخيرية والتقديس ، **إذ يَحكى سفر التكوين:** (وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخذه. فانخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلِقنى لأنه قد طلع الفجرُ. فقال لا أطلِقك إن لم تباركنى. فقال له ما اسمك. فقال يعقوب. فقال لا يُدْعىَ اسمُك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدْتَ مع الله والناس وقدرتَ. وسأل يعقوبُ وقال أخبرنى باسمك. فقال لماذا تسأل عن إسمى. وباركه هناك) (تكوين٣٢) إذن فقد تمكن يعقوبُ من الحصول على وعد بالمُلك والاختيار أى ملكية الأرض المقدسة، وتتويج الشعب الإسرائيلى شعبا مختارا اختصه الله بألوهيته لهم مقابل أن يختصه بنو إسرائيل بعبوديتهم له (١٣) ديانة استوعبت أســاطير بابل وسومر والفكر الفارسى وأساطير الجزيرة العربية معينا غزيرا لأسفار العهد القديم(١٤).

ثم رحلة الشتات فى بداية القرن الأول الميلادى والإخراج الجماعي من (إيليا) بيت المقدس من بعد عيسى، وبعد تدمير القدس.وانتشار اليهود الـــ (سيفارد) شرقا، وغربا فى عواصم ومدن الدولة الرومانية وقد اعتنقت الدولة الديانة المسيحية كدين مُعترَف به (عام٣٤٠م). وهؤلاء يحملون دينا شوّهُوه، ومذهبًا جعلوه شائنا وشنيعا، فمُنِعوا من التعامل مع مواطنى هذه المدن، وعزلتهم الكنيسة تماما عن المجتمع المسيحى. ومن الحكام من اشترط عليهم التنصّر أو

العصر بمعصرة الزيتون، وطــُردوا فمنهم من لجأ إلى دولة الخزر، ولم يجدوا صدرا حانيا سوى فى دول الإسلام فى بلاد الحجاز، والأندلس، ودولة الخلافــة العثمانية، ومصر التى صهرتهم في بوتقتها وطبعتهم بطابعها كعادة مصر..فشاركوا المجتمع في حياته الاجتماعية، فحين مرض أحمد بن طولون أمر الرعيّة بالدعاء له، كما يحدث في صلاة الاستسقاء إذا هبط النيل ــ خرج اليهود بتوراتهم، والنصارى بأناجيلهم وصبيان الكتاتيب بالألواحْ على رؤوسهم، وسائر العلماء. (١٥)

***الفصل الثالث** : القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم " هذا العنوان الصادم لكتابهِ الذى يقول مؤلفه "آرثر كيستلر" : (حاولتُ فى الجزء الأول أن أتتبع تاريخ إمبراطورية الخزر. وكيف اعتنقتْ الديانة اليهودية، وجمعتُ في الجزءَ الثانى الدليل التاريخى الذى يوضح أن غالبية اليهود الشرقيين – ومن ثـَم يهود العالـَم – هم من أصل خزرى تركى (أشكناز) لا من أصل سامى. وفي الفصل الأخير حاولتُ أن أبيّن أن الدليل القائم على علم الأجناس يتفق مع التاريخ في :" دحض (تكذيب) الاعتقاد الشائع بوجود جنس يهودى انحدر من قبيلة الأسفار الأولى "(١٦). وبدء ظهور المسألة اليهودية.

***الفصل الرابع** : أ ــ الصهيونية كــفكرة قومية ظهرت فى مرحلتها الأولى(١٧) معاصرةً لظهور القوميات عموما بالقارة الأوربية، وصولا إلى المؤتمر الصهيونى الأول بضرورة إيجاد وطن قومى لليهود، وتبلورت الآراء بالتحديد فى فلسطين..ب ــ **مقدمات الاحتلال** من : رسالة للسلطان العثمانى، اتفاقية سايكس/ بيكو، وعد بلفور، صك الانتداب وبطلانه، قرار الأمم المتحدة بتقسيم أرض فلسطين وتخصيص لهم ٥٤% من أرض الفلسطينيين، وما ترتب على ذلك من : **تداعيات** : منها سلسلة من الحروب بداية من ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، وبعد كل حرب تلتهم الصهيونية نسبة من الأرض..حتى القدس وغزة والضفة الغربية. وهم فى صراع مابين استعادة الأرض مقابل العيش فى سلام. وأسطورة "أرض إسرائيل..منحة الرب إلى يعقوب " الذى إليه ينتسبون فهلاّ تديّنوا بدينه.." ــ وصولا إلى حرب ٧٣ أو الصدمة التي تلقوْها من الجيش المصرى، وبداية تغيير جوهرى فى مبدأ أمنهم القومى، لكن مع استمرارية فى فكر النخبة السياسية خاصة منصب وزير الدفاع، وهم بذلك فى تصادم التفكير الاستراتيجى بين السلام والتحرك إليه بتسليم الأرض التى احتلتها لانقاذ الدولة اليهودية ــ والمشروع الصهيونى بالتوســع

جـ – المؤرخون الجدد وكشفهم لبشاعة الصهيونية، وما لاقى الفلسطينيون من ويلات تعاملهم معهم وضرورة التخلى عن الصهيونية وفصل الدين (المتشددين) عن السياسة، وذلك بأبحاثهم وكتاباتهم، لكن بدون فائدة، أيضا كتابات من مراسلين أو مفكرين زائرين عبّروا عما رأوه بأعينهم ولمسوه بأنفسهم بشهادتهم وهم يهود.

*الفصل الخامس : وفيه التناول التاريخي لكل من بيت المقدس وفلسطين، " ليست القدس مدينة فى وطن هو فلسطين، ولكن فلسطينَ وطنٌ فى مدينةٍ هى القدس"(١٨)... وتعريف مصوّر عن الحرم القدسى، المسجد الأقصي بقبتّه الفضية، مسجد قبة الصخرة وقبتّه الذهبية المميزة. وفلسطين عبر العصور " العهدة العُمرية "، موقف الأمم المتحدة، فلسطين وأهلها وما تعرّضوا له من مذابح عديدة على أيدئ فئة من سفاكى الدماء ." بدون دير ياسين ما كان ممكنا لإسرائيل أن تظهر على الوجود ".(١٩) وخاتمة، ومجموعة ملاحق.

***

الفصل الأول

أنبياء بنى إســرائيل

ابن كثير :

دليلنا فى الفصل الأول من رحلتنا، فلنقترب منه ولنتعرف عليه :هو اسماعيل بن عمر بن كثيربن ضوء بن كثير بن درع القرشى ولقبه عماد الدين ولكنه اشتهر بلقب ابن كثير.

ولد في قرية بجيدل شرقى بصرى عام ٧٠٠هـ أو ٧٠١ هـ ونشأ محبا للقرآن وتفسيره والحديث وحفظه ومعرفة سنده ومتنه والفقه وأحكامه والنحو وغيره من سائر العلوم، حفظ القرآن في سن الحادية عشرة، وتتلمذ علي يد مشاهير علماء عصره أولهم أخيه كمال الدين ومنهم ابن تيميه، الإمام الذهبي، والمزّى الذى لازمه وتزوج ابنته ولم يفارق ابن كثير شيخه هذا وصهره حتى وفاته.

مؤلفاته كثيرة أولها تفسير القرآن الكريم المشهور " بتفسير ابن كثير"، شرح البخارى، التكميل في الجرح والتعديل، والبداية والنهاية، وغيره مما يصل إلى أكثر من خمسين مؤلفا.

توفى ابن كثير إلى رحمة الله عام ٧٧٤ هـ وذفن فى تربة شيخ الإسلام ابن تيميه خارج باب النصر من دمشق.(٢٠)

البداية والنهايــة لابن كثير.. لماذا ؟

هى موسوعة ضخمة فى التاريخ الإسلامى وتقع فى سبعة مجلدات يتحدث فيها المؤلف ابن كثير عن مبدأ المخلوقات من خلق العرش والكرسى والسماوات والأرضين وما فيهن وما عليهن من الملائكة والجان والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام وقصص النبيين وما جرى مجرى ذلك إلى أيام بنى إسرائيل وما بعدها إلى الجاهلية والنبوة المحمدية وما بعدها من الملاحم والفتن وأشراط الساعة، ثم البعث والنشور وأهوال القيامة وما يقع فى ذلك اليوم، ثم صفة النار والجنان. ويعتمد المؤلف فى كل ذلك علي القرآن الكريم والسنة والأخبار والآثار المنقولة والمقبولة عند العلماء، ولا يقبل أثرا ولا خبرا إلا إذا كان مقبولا معقولا، ويقول : "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وهو القسم الذى لا يُصدق ولا يُكذب مما فيه بسط لمختصر عندنا، وتسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلى لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ما صح نقله أو حَسُن".(٢١)

رحلة في عُمْق الزمان... وأمل في المستقبل

منذ أن كتب الروائى البريطانى الشهير "هربرت جورج ويلز" روايته المشهورة " آلة الزمن " لم يتوقف حلم الإنسان ورغبته فى التحرر من قيود الزمن ليصبح قادرا علي اختراق جدار الزمن والسفر فيه إلى الماضى أو المستقبل. ولا ندري كم ستكون دهشة الإنسان وسعادته أيضا حينما يتمكن من زيارة الماضى ورؤية أسلافه الغابرين (٢٢) وفى هذه الزيارة سنعرض لأنبياء، بدءا من سيدنا إبراهيم الضارب فى عمق التاريخ، ومن ذريته وأحفاده.. رتلا طويلا من أنبياء ومرسلين بسيرتهم العطرة اصطفاهم الله تعالى وكرّمهم، تنوعت معجزاتهم وعطايا الله لهم إكراما لجدهم، عشرين قرنا من الزمان تــوصيلا إلى ميلاد عيسى بن مريم.. وعشرين قرنا آخرين منذ ميلاد عيسى ـــ إلي أيامنا هذه. ومحور موضوعنا الرئيسى هو بنو إسرائيل وإن اختلفت جنسياتهم

واختلفت مقارّ تشتتهم، وقد رُزئ بهم العالم وبمؤامراتهم وأكاذيبهم وحيلهم على مر العصور وإن كانت بعض المجتمعات قد أفلحت فى التخلص منهم، وذلك بزرعهم فى جسد الأمة العربية، فوجدنا أنفسنا وقد وجب علينا التعامل معهم علي ما يحملون فى طياتهم من الشرور التى تجمعت فيهم ما يعجز التاريخ عن وصفها والإلمام بنواحيها.. وقد جربنا هذا منهم على مدي ستين عاما ولا نزال...

أمـــا وقد بدأت رياح التغيير تهب على الأمة العربية، تقتلع جذورا عفا عليها الزمن "لتجرفهممكنسة التاريخ ".. ليظهر فى الأرض نبت جديد.. وجيل ربما هو المنوط بهذه المسئولية ومواجه الحقيقة، وإعادة المسجد الأقصى إلى حظيرة الإسلام كما وعد الله.وكأن الدكتور مصطفى محمود يتنبأ حين قال :."لا نعلم غدا أين يكونون (يقصد الحكام)، ولا أين سنكون نحن، ولا أى نوعية من الحكام سوف تجلس على كراسى السلطة،وطوبى لمن يفتح عينيه وعقله ويعتبر، وطوبى لمن تختاره العناية الإلهية ليصرخ فى آذان هؤلاء الموتى من زبالة العالم صرخة تخترق عظامهم. يا مسلمى العالم.. اتحدوا.. اجمعوا أشلاءكم قبل أن تجرفكم مكنسة التاريخ ".(٢٣)

وأضم صرختى هذه لصرخة د.مصطفى محمود فى آذان أجيال الحاضر والمستقبل، ولعل الله كتب لهم النصرَ فيما هم مقبلون عليه، وليكن همهم الأول هو وحدة الكلمة.. فقط وحدة الكلمة لأمة واحدة، لغتها واحدة، دينها واحد، تجمعهم أركانه وفرائضه، ويوحدهم كتاب من عند الله واحد، تضمهم تضاريس متصلة من المحيط إلى الخليج، ثرواتهم من الطاقة لا يستغنى عنها العالم.. فما بالنا بعد كل هذه العوامل نعانى.. والحل فى أطراف ألسنتنا، ورهنٌ بإرادتنا ــ إن أردنا ــ فليسمع العالم صوت أمة استيقظت....

سيدنا إبراهيم خليل الرحمن : (٢٤)

هو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

ولد بأرض الكلدانيين (بابل) وآتاه الله رشده فى صغره، وابتعثه رسولا واتخذه خليلا فى كبره، تزوج من سارة ابنة عمه، كان أول دعوته إلى أبيه بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فلم يقبل ذلك منه، أنكر على قومه الأصنام ــ التى كانوا يعبدونها ــ وحقـرّها عنهم فقالوا إنا وجدنا آباءنا لها عابدين

فأقسم ليكيدن هذه الأصنام، وكان لهم عيد يذهبون فيه إلى ظاهر البلد فلما خرجوا حطـّم الأصنام بالقدّوم وعلقه فى الصنم الكبير فلما رجعوا أحضروه وسألوه فقال اسألوا كبيرهم هذا.

ناظره ملك بابل في ربه قال إبراهيم : " ربى الذى يحيى ويميت " قال الملك: " أنا أحيى وأميت : آتى بالرجلين وقد تحتم قتلهما ـ فأعفو عن أحدهما فقد أحييته وأميتُ الآخر "، قال إبراهيم : " فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبُهت الذى كفر (أى سكت ولم يجد ما يقوله)(٢٥٨ البقرة).

قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم فجمعوا حطبا ووضعوه فى حفرة كبيرة وأوقدوا النار وأتوا به مقيدا وقذفوه بالمنجنيق (*) فى النار فلم تحرق سوى قيده "قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم"(٦٩ الأنبياء)

وصار فى وسط النار وهو فى روضة خضراء وهم ينظرون، وظل كذلك أياما.

خرج من بلدته وأهله مهاجرا بزوجته ومعه ابن أخيه لوط إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إلى عبادته فقصد بلاد الشام وكان أهلها يعبدون الكواكب السبعة، فبيّن لهم أن هذه الكواكب مخلوقة لله وهو الأجدر بالعبادة.

وكان قحط وشدة وغلاء فارتحلوا إلى مصر فأكرموا وفادته فعاد إلى بلدة بيت المقدس ومعه دواب وعبيد وأموال و"هاجر" المصرية لتخدم سارة التى كانت عاقرا وقتئذ.

مولد اسماعيل من هاجر : (٢٥)

بعد عشرين سنة من إقامة إبراهيم فى بيت المقدس وهبت سارة أمَتَها "هاجر " لإبراهيم علـّه يُرزق منها الولد، فلما دخل بها وحملت، تعاظمت على سيدتها فغارت منها سارة، فخافت هاجر وهربت فجاءها ملَـك وبشـّرها بمولد ابنها إسماعيل قائلا لها لا تخافى فإن الله جاعل من هذا الغلام الذى حملتِ به خيرا، فعادت، ولما وضعت إسماعيل كان لإبراهيم ست وثمانون سنة وقبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة.

اشتدت غيرة سارة من هاجر وطلبت من الخليل أن يغيّب وجهها عنها، فارتحل بها وبولدها إلى جبال فاران (حيث مكة الآن) وتولى عنهما فسألته إن كان هذا أمر من الله قال نعم، قالت فلن يضيعنا الله.

دعا ابراهيم ربه "ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك

المحرم". (٣٧ إبراهيم)

عطشت هاجر وعطش الرضيع ونفذ ما كان معهما من الماء والزاد، فرأت مرتفعا (الصفا) فسارت اليه واستقبلت الوادى تنظر هل من أحد، فلم تر شيئا فهبطت فأتت المرتفع الآخر (المروة) .فقامت عليه علها ترى أحدا، وكررت ذلك سبع مرات (وهذا هو السعى بين الصفا والمروة الذى هو شعيرة من شعائر الحج والعمرة الآن) وفي عودتها رأت الماء ينبع من عين بجوار وليدها فجعلت تغرف بيدها في قربتها والماء يفور بعد ما تغرف، فقالت للماء : " زمّى زمّى " فهذا هو زمْزمْ الذى نبع بجوار الرضيع إسماعيل فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافى الضيعة فإن هنا بيت الله (يبنيه) هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيّع أهله، وكان البيت (محله) مرتفعا عن الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله.

مرّت بهما رفقة من "جُرهم"واستأذنوا فى الإقامة بجوار الماء فأذنت لهم فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فجاءوا ونزلوا معهم وشبّ الغلام "اسماعيل" وتعلم العربية منهم وأعجبهم فلما كبر زوّجوه واحدة من بناتهم ،وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد أن تزوج إسماعيل فلم يجده فسأل امرأته عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن فى ضيق وشر وشدة وشكت إليه فقال لها إذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه. فلما جاء أخبرته فقال ذاك أبى وقد أمر أن أفارقك فالحقى بأهلك فطلقها، وتزوج أخرى. وغاب عنهم ما شاء الله ثم حضر مرة ثانية وسأل امرأته فأجابت : نحن بخير وسعة، وأثنت على الله نِعمَهُ وقالت طعامنا اللحم وشرابنا الماء فقال : " اللهم بارك لهم فى اللحم والماء ".

بناء البيت العتيق : (٢٦)

قال تعالي : " وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت (أي بيّنا وارشدنا) الا تشرك بى شيئا وطهّر بيتىَ للطائفين والعاكفين والركّـع السجود * وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا " أى راجلين سائرين على أرجلهم قاصدين بيت الله الحرام " وعلى كل ضامر " دواب الركوب من إبل وخيل وما شابه من وسائط النقل الحديثة.(٢٦ــ ٢٧الحج). وقال تعالي : " إن أول بيت وُضع للناس للذي ببكة " وهى مكة " مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا "(٩٦ــ ٩٧ آل عمران) "

لبث إبراهيم ما شاء الله له ثم حضر إلى ابنه فتقابلا وأخبره أن الله أمره

بأمر. قال فاصنع ما أمرك به ربك. قال وتعينني عليه. قال وأعينك. قال فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتي إذا ارتفع البناء جاء بحجر فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : " ربنا تقبـل منا إنك أنت السميع العليم " وقد تشكل الحجر تحت قدمي الخليل ليّنا وظهرت عليه طبعة قدميه الشريفتين وهو ما يُعرف الآن بمقام إبراهيم وكان ملتصقا بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم إلى زمن عمر بن الخطاب الذى أخـرّه عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلـّون عنده الطائفين بالبيت، وقد ظلت ولا تزال آثار قدمي سيدنا إبراهيم باقية عليه.

يذكر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم أبو الأنبياء أنه بنى البيت العتيق الذي هو بحيال البيت المعمور في السماء (تطوف به الملائكة) وقد أمر الله تعالى إبراهيم أن يقيم بناء الكعبة لتكون لأهل الأرض كالبيت المعمور للملائكة في السماء، وفي الصحيحين "أن هذا البلد حرّمه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة". (٢٧)

وفي هذا يقول أبوطالب في قصيدة له تعرف بـــ " اللامية "

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة   علي قدميه حافيا غير ناعل

وقلت أنا في قصيدتي : "حوار مع الراء " معقــّبا : (*)

قد علـّمتْ قدمُ في الأحجار يرفعهـــا   مـــن القواعــد بيت الله يأتمرُ

وقال ــ شعرا ــ بوطالب في لاميته   أقدام حافية في الصخر تنظهرُ

أُمِرَ إبراهيم ببناء البيت الحرام (الكعبة) التى عرّفه الله مكانها فجعل إسماعيل يحضر الأحجار وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء فوقف على حجر ليرفع البناء أكثر وإسماعيل يناوله الحجارة (وجعلا يبنيان ويدورا حول البيت وهما يقولان: " ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " (١٢٧ البقرة)، وبعد أن أتم إبراهيم بناء البيت أمره الله أن يؤذّ ن في الناس بالحج فنادى : " أيها الناس إن الله يأمركم بالحج إلى هذا البيت فحجوا " – فجاوبته الأجنـّة في أرحام الأمهات وفي ظهور الرجال إلى يوم القيامة : "لبيك اللهم لبيك".

وهذا هو الحج إلى بيت الله والركن الأخير من أركان الإسلام لمن استطاع إليه سبيلا. وقد أثني الحق سبحانه وتعالى على خليله إبراهيم ووصفه بأنه أمّة، وإماما للمسلمين فقال تعالى : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم

يك من المشركين.شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وءاتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين. ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين." (١٢٣النحل)

قصة الذبيــــــح (٢٨)

رأى ابراهيم فى المنام أنه يُؤمر بذبح إبنه إسماعيل بعد أن كبر وصار شابا (ورؤيا الأنبياء حق) فتروى (تمهّل)، وتكررت الرؤية فى اليوم التالى فعرف، وتكررت نفس الرؤيا فى اليوم الثالث فتأكد وقص عليه رؤياه فقال إسماعيل يا أبتِ افعل ما تؤمر، فامتثلا معا لأمر الله بالذبح امتثالا وتنفيذا وكان هذا اختبارا من الله تعالي لخليله ابراهيم ونبيه إسماعيل معا عليهما السلام. وفى لحظة التنفيذ جاء الفداء من السماء " وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم " (١٠٧ الصافات) .

وظلت هذه سنــّة للمسلمين المؤدين لركن الحج من غير ساكنى مكة، وكذلك سنــّة المقتدرين من أمة محمد صلوات ربى وسلامه عليه فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة بعد صلاة العيد وما بعدها من أيام التشريق. وبعد ذلك بُشــّر إبراهيم من قِبَل الملآئكة بمولد إسحق من سارة ومن وراء إسحق يعقوب، ففوجئت سارة حيث كانت عجوزا وعاقرا، فقالت الملائكة : " رحمة الله عليكم وبركاته آل البيت

توضيح :

جاء فى التعريف بإبراهيم عليه السلام بن سارح بن ناحور.... الخ وجاء فى قول الحق تبارك وتعالى : " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين". (٧٤ الانعام)

هذا يدل على أن إسم أبى إبراهيم آزر، وعند جمهورأهل النسب منهم ابن عباس تارح، وأهل الكتاب يقولون تارخ بالخاء المعجمة فقيل إنه لــُقــّب بصنم كان يعبده اسمه آزر، وقال ابن جرير : الصواب أن اسمه آزر ولعل له إسمان علمان أو أحدهما لقب والآخر علم، وهذا الذى قاله محتمل، والله أعلم. (٢٩)

تزعم التوراة أن سام بن نوح أنجب من الأحفاد يقطان وأن يقطان أبو العرب وأنجب أبرام أو إبراهيم، وأن ابرام أنجب إسماعيل ثم إسحق، وأن الله افتدى إسحق بكبش سمين، أى أن الفداء لإسحق الأصغر لأن أم إسحاق كانت عبرانية لكن أم إسماعيل كانت من الأمم. وتقع التوراة فى التناقض (٣٠) : "

وقال الرب لأبرام (إبراهيم) إذهب من أرضك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظـمّ إسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض (التكوين إصحاح ١٢). (*)

نعم فها نحن الأمة العظيمة باتباعنا ملــّة إبراهيم، وينطبق ما جاء نصا علينا نحن " ملــّة أبيكم إبراهيم هو سمـّاكم المسلمين من قبل "(٧٨ الحج)، ونحن أولى الناس بأبينا إبراهيم بنص الآية الكريمة :" إن أولى الناس بإبراهيم لـلـّذين اتبعوه وهذا النبى ـ الذى هو محمد صلى الله عليه وسلم ـ (٦٨ آل عمران) فالعرب أبناء إسماعيل الذين قـُصِدوا بالبركة وبالبشارة بأنهم أمة عظيمة.

أيضا تذكرالتوراة : " في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا لنسلِك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير" (نهر الفرات) ".. (التكوين ١٥) ولقد انطبقت وصدقت هذه العبارة.. ولكن علينا نحن، فإذا كان عرب شبه الجزيرة هم أبناء إسماعيل وامتدادها شرقا أرض الرافدين (دجلة والفرات)، فمن باب أولى أن إسماعيل وأمه ينتسبون إلى نهر مصر.. يا للعجب !

إن علامة التعجب هذه لأبلغ من أي تعبير، ردا على هراء مثل هذا...

واتخذت الحركة الصهيونية هذه العبـّارة أساسا لحدود دولة إسرائيل الحديثة ونقشتها علي أبواب الكنيست (برلمان إسرائيل) وهذا هو الأساس الدينى الذى تستند إليه الحركة الصهيونية، وهي كأى حركة عنصرية تستند إلى أصول غيبية فحيث ينعدم التفكير العلمى ويقصر المنطق يتقدم التفسير الغيبى لما هو ليس بمعقول لكي يقوى به عزم الأتباع وتؤصل بواسطته الرغبة والإرادة فى إنشاء وطن قومى وهذه دعوى بالتفوق العنصرى، أو بالاختيار من لدن الله، أو بحمل أعباء رسالة تنفرد بها عن بقية شعوب العالم (٣١).

الله سبحانه وتعالى أثنى على عبده وخليله إبراهيم : "وإذ ابتلى إبراهيمَ ربــُّه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما.."(١٢٤ البقرة) كلفه الحق سبحانه وتعالى بأمور، منها بناء الكعبة كما سبق، والاختتان لنفسه ولذريته..فلما وفــّى وأزاد، جعله للناس إماما يقتدون به ويأتمّون بهديه، واتخذه الله خليلا وهى مرتبة لم يصل إليها بشر من قبل وسبحان واسع العطاء ـ كما سنرى ـ وجعل النبوة والرسالة فى نسله.

مولد إسحق : (٣٢)

قال تعالي : " وبشــّرناها بإسحق نبيا من الصالحين " (١١٢ الصافات) وكانت البشارة من الملائكة لإبراهيم وزوجته سارة لمــّا مروا بهما مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمّروا عليهم لكفرهم ـــ " فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب. قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا " (٧١ هود) ويُذكر أن الملائكة كانوا ثلاثة : جبريل وميكائيل وإسرافيل حين وردوا علي الخليل فحسبهم أضيافا فشوى لهم عجلا من خيار ما عنده فلما قدّمه إليهم لم ير لهم همــّة فى

الأكل، نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط لندمّر عليهم، عند ذلك استبشرت سارة غضبا لله عليهم وكانت قائمة علي رؤوس الأضياف فبشرتها الملائكة بإسحق فصكــّت وجهها (ضربت وجهها بكفيها متعجبة) قالوا : " أتعجبين من أمر الله"، كذلك تعجّب إبراهيم عليه السلام استبشارا وفرحا، فأكدوا الخبر بهذه البشارة، وبشروهما " بغلام عليم " وهو إسحق، وأخوه إسماعيل من قبل "غلام حليم " (١٠١ الصافات) .

وُلد إسحق وعمر أبيه ١٠٠ سنة وأمه سارة ٩٠ سنة وبعد مولد إسماعيل من هاجر بـــ ١٤ سنة، وتزوج وعمره ٤٠سنة في حياة أبيه الذي خطب له رفقا بنت بتوئيل بن ناحور فحضرت من بلادها وبرفقتها جواريها ومرضعتها على الإبل. وكانت عاقرا فدعا الله فحملت وولدت له غلامين توأم أولهما سمــّوه " عيصو" أو(عيسو) (تكوين ٢٥) وهو الذى تسميه العرب " العيص". والثانى خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو الذى إليه ينتسب بنو إسرائيل، وكان إسحق يحب العيص (عيسو) أكثر لأنه بكريه ولكن أمهم رفقا كانت تحب يعقوب أكثر.

ثم تزوج إبراهيم من قنطورا (قطورة) فولدت له : زمران، بقشان، مادان، مدين، شباق، و شوح.

وفاة إبراهيم عليه السلام : (٣٣)

أقام إبراهيم ببلاد إيليا كما ذكر، ووُلد له اسماعيل من هاجر، وإسحق من سارة وماتت سارة قبله ببلدة "حبرون" في أرض كنعان ولها من العمر ١٢٧ سنة فحزن عليها ورثاها واشتري مغارة ودفنها فيها.

مات إبراهيم عن ٢٠٠ سنة بعد إن اختتن وعمره ١٢٠ سنة ودفنه أولاده

في نفس المغارة التي بها زوجته سارة في حبرون، فقبره وقبر ولده إسحق وولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان بن داود (فيما بعد) بحبرون وهو البلد المعروف اليوم بالخليل.

ذكر أولاد إبراهيم : (٣٤)

أول من وُلد له هو إسماعيل من هاجر القبطية يعني (المصرية) ثم وُلد له إسحق من سارة، ثم تزوج بعدها قنطور بنت يقطن الكنعانية فولدتْ له ستة (سبق ذكرهم)، ثم تزوج حجون بنت أمين فولدت له خمسة : " كيسان ــ سورج ــ أميم ــ لوطان ــ ونافس ".

ابنيْ إسحق : العيص (عيسو) ويعقوب : (٣٥)

لما كبر إسحق وضعف بصره طلب من ابنه العيص أن يصطاد له صيدا ويطبخه ليبارك عليه ويدعو له، فذهب - فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين لأبيه ويقدمهما له كما اشتهى أبوه وذلك قبل أن يأتى العيص، فأكل أبوه ودعا له (ظانا أنه العيص) : أن يكون أكبراخوته قدرا وكلمَتـُه عليهم وعلى الشعوب بعده، وأن يكثر رزقه وولده.

ثم جاء العيص (عيسو) بما أمره والده وقرّبه إليه قائلا : "الطعام الذي اشتهيته"، فقال أبوه : "أما جئتنى به قبل ساعة فأكلتُ ودعوتُ لك" . فقال : "لا والله"، وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك فوجد في نفسه وَجْدا كثيرا، وذكروا أنه توعّد أخاه بالقتل إذا مات أبوهما، وسأل أباه فدعا له بدعوة أخرى وأن يجعل لذريته غليظ الأرض وأن يكثر أرزاقهم وثمارهم، فلما سمعت أمهما ما توعد به العيصُ أخاه يعقوب أمرت ابنها يعقوب أن يذهب إلى أخيها لابان الذي بأرض حران وأن يكون عنده إلى أن يسكن غضب أخيه عليه وأن يتزوج من بناته وقالت لزوجها اسحق أن يأمره بذلك ويدعو له **فخرج يعقوب** عليه السلام من عندهم من آخر ذلك اليوم فأدركه المساء فى موضع فأخذ حجرا ووضعه تحت رأسه ونام فرأى في نومه معراجا منصوبا من السماء إلى الأرض والملائكة يصعدون فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول : " سأبارك عليك وأكثر من ذريتك وأجعل لك هذه الأرض ولعقبك من بعدك"، فلما هب من نومه فرح بما رأى ونذر لله : لئن رجع الى أهله سالما أن يبنى فى هذا الموضع معبدا لله عز وجل وأن جميع ما يرزقه من شئ يكون لله عُشره، وجعل على ذلك الحجر دهنا يعرفه به وسمى ذلك الموضع" بيت ايل" أى بيت الله وهو

موضع "بيت المقدس" اليوم الذى بناه يعقوب كما سيأتي ذكره.

لمّا قدِم يعقوب على خاله أرض حران إذا له بنتان الكبرى ليا وبالعبرية (ليئة) (تكوين ٢٩) والصغرى " راحيل" وكانت " راحيل " الصغرى أجملهما فطلب الزواج منها فأجابه إلى ذلك بشرط أن يرعي على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة على حاله صنع طعاما وجمع الناس عليه وزف إليه " ليئة" ابنته الكبرى وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر، فلما أصبح يعقوب إذا هى " ليئة "، فقال لخاله:" لِم غدرتَ بى وأنا إنما خطبت إليك " راحيل "، فقال : " إنه ليس من سنّتنا أن نزوج الصغرى قبل الكبرى – فان أحببت أختها فاعمل سبع سنين أخرى وأزوجكها "، فعمل سبع سنين وأدخلها إليه مع أختها ـ (وكان ذلك سائغا فى ملتهم)، ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لـ ليئة جارية إسمها " زلفى "– ووهب لراحيل جارية إسمها بلهى وبالعبرية " بلهة ".

جبر الله تعالي ضعف "ليئة " بأن وهب لها أولادا فولدت : روبيل "راؤبين"، ثم شمعون ثم لاوى ثم يهوذا" – فغارت عند ذلك "راحيل" وكانت لا تحبل فوهبت ليعقوب جاريتها بلهي فوطئها فحملت وولدت له ولدا أسمته " دان " ـ وآخر اسمته " نفتالى " عند ذلك وهبت " ليئة " جاريتها زلفى (زلفة) لزوجها يعقوب فولدت له "جاد" (وفى بعض المصادر حاد)، وأشير ثم إيساخر(يَسّاكـَرَ) ثم زبولون ثم بنتا اسمتها "دينة " أو دينا.

دعت راحيلُ الله تعالى وسألته أن يهب لها غلاما من يعقوب فسمع الله نداءها وأجاب دعاءها فحملت من نبى الله يعقوب فولدت له غلاما عظيما شريفا حسنا جميلا اسمته يوسف .كل هذا وهم مقيمون بأرض "حران "وهو يرعي علي خاله غنمَه بعد دخوله علي البنتين واحدة بعد الأخرى، وبعد مُقامه عشرين سنة طلب يعقوب من خاله لابان أن يسرّحه ليمرإلى أهله، فقال خاله : "قد بورك لى بسببك "، ووهب له غنما وعبيدا وخرج يودعه فى موكب، ولما قرب يعقوب من أرض "ساعير" بعث إلى أخيه يخبره بحضوره – فعاد الخبر بأن العيص ركب إليه في أربعمائة راجل فخشى يعقوب من ذلك ودعا الله وتضرع إليه وتمسكن لديه وناشده عهده الذى وعد به وسأله أن يكف عنه شر أخيه العيص وأعد لأخيه هدية عظيمة من المواشى الكثيرة التى معه وجعل الهدية تتقدم أولا، وتأخر هو وزوجتيه وأمـَتيه وبنيه الأحد عشر بعد الكل بليلتين

التسمية : (٣٦)

في فجر الليلة الثانية من رحلة العودة ".. وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه، فانخلع حُقّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه.وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر.فقال لا أطلقك إن لم تباركنى.فقال له ما اسمك.فقال يعقوب.فقال لا يُدْعَى اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل.لأنك جاهدتَ مع الله والناس وقدرتَ.وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك.فقال لماذا تسأل عن اسمى.وباركه هناك.فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل.قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيتُ نفسى " (تكوين ٣٢) سبحان الله، خيّبهم الله، ولا تعليق.

وفي موضع آخر : " وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدّان آرام وباركه. وقال له الله اسمك يعقوب.لا يُدعي اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل.فدعا اسمه إسرائيل. **وقال له الله أنا الله القدير**.. "(تكوين ٣٥) ! (سبحانك اللهم وبحمدك تباركت وتعاليت عن ذلك علوا كبيرا) (سبحانك تبنا إليك. كما قال ذلك من قبل كليمك موسى. فلنستمع) : " ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صَعِقًا فلمّا أفاق قال سبحانك تبتُ إليك وأنا أول المؤمنين"(١٤٣ الأعراف).

رفع يعقوب (إسرائيل) عينيه فإذا أخوه العيص أو "عيسو" قد أقبل فسجد يعقوب لأخيه سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان وكان مشروعا لهم كما سجدت الملائكة لآدم تحية له فلما رآه العيص تقدم إليه واحتضنه وقبله وبكى ثم تعرف على كل زوجاته وأولاده وقبـل العيص الهدية ورجع العيص فتقدم أمامه ولحقه يعقوب بأهله ومواشيه وعبيده قاصدين جبال ساعير وفى

"ساحور" بنى بناءً ولدوابه ظلالا – ثم مرَّعلى أور سالم "أورشليم" فنزل واشترى مزرعة شحيم وبنى مذبحا سماه "إيل " إله إسرائيل وأمر الله ببنائه ليُستعلنَ له فيه وهو بيت المقدس اليوم الذى جدده بعد ذلك سليمان بن داود عليهما السلام (ملوك ١ إصحاح ٦) مكان الصخرة التي أعلمها بوضع الدهن عليها من قبل. ثم حملت راحيل فولدت بنيامين إلا أنها جَهِدَتْ فى طلقها جهدا شديدا فماتت عقبه فدفنها يعقوب في أفراث وهى بيت لحم، وصنع يعقوب علي قبرها حجرا وهى الحجارة المعروفة بقبر راحيل إلى اليوم.

وكان أولاد يعقوب ذكورا اثنى عشر رجلا : (٣٧)

من ليا وبالعبرية (ليئة): روبيل (راؤبين)- شمعون - لاوى - يهوذا - إيساخر " يَسّاكَر"- زابولون. وبنت أسمتها " دينة "، ومن راحيل : يوسف - بنيامين. ومن أمَة ليئة (زلفة) : جاد - واشير. ومن أمَة راحيل (بلهة) : دان ونفتالي. و (تكوين ٢٩)

وجاء يعقوب إلي أبيه اسحق فأقام عنده بقرية حبرون التى في أرض كنعان حيث كان يسكن ابراهيم، ثم مرض إسحق ومات عن ١٨٠ سنة ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع أبيه ابراهيم الخليل فى المغارة التى اشتراها كما تقدم.

قصة يوسف واختصاصه بالرسالة : (٣٨)

فى استهلالة مجيدة سامية وصف الحق سبحانه وتعالى قصة يوسف بأنها أحسن القصص، أو قل ينسحب هذا الوصف على كل ما ورد بالقرآن من قصص.

قال تعالى (على لسان نبى الله يعقوب مخاطبا ابنه الصبى يوسف) : "وكذلك يجتبيك ربك (أى يخصك بأنواع اللطف والرحمة). ويعملك من تأويل الأحاديث أى يفهّمك تعبير المنام ما لا يفهمه غيرك) ويتم نعمته عليك (أى بالوحى إليك) وعلى آل يعقوب أى بسببك ويحصل لهم خيرالدنيا والآخرة. وفى هذا استشراف بميراث النبوة من أبيه واختصاصه بها. (٦يوسف)

وسورة يوسف فى القرآن الكريم ذات طابع متفرد من حيث احتوائها على قصة يوسف كاملة فقد وردت بتمامها وكمالها فى سورة واحدة متميّزة عن السور القرآنية جميعا، تبدأ برؤيا : "يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين" (٤ يوسف)..وتنتهى بتأويلها : " رب قد آتيتنى من المُلك وعلمتنى من تأويل الأحاديث " (١٠١يوسف)، وأوجزها هنا في نقاط سريعة :

إخوة يوسف الرجال الذين حسدوه علي حُبّ أبيه له وتآمروا على قتله أو إبعاده، فأنزلوه فى بئر أثناء الرعى، وكذبوا على أبيهم قائلين " أكله الذئب وهذا دمه على قميصه، وجاءت قافلة مسافرة تقصد مصر فأخرجوه وباعوه فدخل مصرغريبا رقيقا فاشتراه الوزير، ولما كبر تعرض لمراودة زوجة الوزير، وكان قد " أوتى شطر الحسن من ولد آدم" (٣٩)، وأدخل السجن، وكانت معجزته هى تفسير الأحلام وهى ما جعلته يفسّر حُلما للملك فأخرج من السجن، وفى لقائه بالملك لتفسير الحلم " قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم "

(٥٥ يوسف) فولاه الملك وزيرا لمصر لحكمته فى التصرف فى محنة السبع سنين القحط التى سوف تأتى. وكان ذلك فى زمن الهكسوس أو (ملوك الرعاة الذين تسربوا إلى مصرعبر بوابتها الشرقية وزادوا حتى افترشوا الدلتا (الوجه البحرى).

وإلى أرض كنعان حيث نبىّ الله يعقوب الذي أخبره أبناؤه أن ذئبا أكل الصبى يوسف. ومن شدة حزنه على ابنه يوسف فقدَ بصره.. وكانت سنوات جدب وجوع فأمر أبوهم أن يتوجهوا لمصر لشراء قمح. ولما حضر إخوته لشراء القمح من مصر ــ وكان يوسف يضع لثاما على وجهه لشدة حسنه وبهائه فعرفهم ولم يعرفوه، وطلب منهم إحضار أخ لهم (وهو بنيامين شقيقه من أمه راحيل)...وبعد حضور شقيقه فى المرة التالية وأثناء الكيل لهم نفــذ حيلة يستبقى بها شقيقه معه... وإلى لحظة الذروة الدرامية التى لا توصف بتعبير الأقلام :(أما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم.ثم تقدم منه يهوذا وقال استمع يا سيدي. يتكلم عبدُك كلمة فى أذنىْ سيدى ولا يحْمَ غضبُك على عبدِك.لأنك مثل فرعون.سيدى سأل عبيده قائلا هــــل لكم أبٌ أو أخٌ. فقلنا لسيدى لنا أبٌ شيخٌ وابن شيخوخةٍ صغير مات أخوهُ وبقىَ هو وحدُه لأمّهِ وأبوهُ يحبه. فقلتَ لعبيدك انزلوا به إلىّ فأجعل نظرى عليه.فقلنا لسيدى لا يقدر الغلامُ أن يترك أباه.وإن ترك أباه يموت.فقلتَ لعبيدك إن لم ينزل الصغيرُ معكم لا تعودوا تنظرون وجهى.فكان لمّا صعدنا إلى عبدك أبى أننا أخبرناه بكلام سيدى..ثم قال أبونا ارجعوا اشتروا لنا قليلا من الطعام فقلنا لا نقدر(....) لأن عبدك ضَمَنَ الغلام لأبى قائلا إن لم أجئ به إليك أصِرْ مذنبا إلى أبى كل الأيام.فالآن ليمكث عبدُك عوَضًا عن الغلام عبدا لسيدى ويصعد الغلام مع إخوته.لأنى كيف أصعد إلى أبى والغلام ليس معى.لئلا أنظر الشر الذى يصيب أبى.

لم يستطع يوسفُ أن يضبط نفسه لدى جميع الواقفين عنده فصرخ أخرجُوا كل إنسان عنى. فلم يقف أحدٌ عنده حين عرّف يوسفُ إخوتــه بنفسه فأطلق صوته بالبكاء.فسمع بيت فرعون وقال يوسفُ لإخوته أنا يوسف. أحَىٌّ أبى بعد.فلم يستطع إخوتــه أن يجيبوه لأنهم ارتاعوا منه.

فقال يوسف لإخوته تقدّموا إلىّ.فتقدموا.فقال أنا يوسف أخوكم الذي بعتموه إلى مصر والآن لا تتأسفوا ولا تغتاظوا لأنكم بعتمونى إلى هنا.لأنه لاستبقاء حياةٍ أرسلنى الله قدّامكم.لأن للجوع فى الأرض الآن سنتين.وخمس سنين أيضا

لا تكون فيها فلاحة ولا حصاد.فقد أرسلنى اللهُ قدّامكم ليجعل لكم بقية فى الأرض وليستبقى لكم نجاة عظيمة.فالآن ليس أنتم أرسلتمونى إلى هنا بل الله. وهو قد جعلنى أبا (لفرعون) وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر.أسرعوا واصعدوا إلى أبى وقولوا له هكذا يقول ابنــك يوسف.قد جعلنى الله سيدا لكل مصر.إنزل إلىّ.لا تقف. فتسكن فى أرض جاسان وتكون قريبا منى أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك.وهو ذا عيونكم ترى وعينا أخى بنيامين أن فمى هو الذى يكلمكم.وتخبرون أبى بكل مجدى فى مصر وبكل ما رأيتم وتستعجلون وتنزلون بأبى إلى هنا." وتعجز الأقلام، وتترقرق الدموع فى المآقى وتقشعر الجلود لهذا المشهد.. ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى.وبكى بنيامين على عنقه.وقبّل جميع إخوته وبكى عليهم. وبعد ذلك تكلم إخوتــه معه. (تكوين ٤٤ــ ٤٥)..كيف يحيط بهذا المشهد وصف أو تعليق !؟

خرجوا جميعا من أرض كنعان مسافرين إلى مصر ليقيموا بها حيث كان يوسف وزيرا، (وكان هذا هو الخروج الجماعى الأول). ولما ذهب يوسف لاستقبالهم ذهب معه الملك وحاشيته لاستقبال نبى الله يعقوب تعظيما له عليه السلام وأنه دعا لمصر حين وصولهم إلى أرض جاشر (بلبيس الآن)، واقطعهم الملكُ أرضًا من أجود الأراضى، وأن الله رفع عن أهل مصر بقية سنى الجدب ببركة قدوم نبى الله يعقوب إليهم. (فتباركتِ ياتربة مصر حيث شَرُفــتِ من قبل بخليل الله إبراهيم زائرا، والآن يقيم بأرضك نبى الله يعقوبُ حتى وفاته وكذلك نبى الله يوسف)." فلما دخلوا على يوسف (أى وصلوا إلى المسكن الذى يقيم فيه نبى الله يوسف) آوى إليه أبويه وقال **ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين**. ورفع أبويه على العرش وخروا له سُجّدا وقــــال ياأبتِ هذا تأويل رؤياى من قبلُ قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ". (٩٩ــ ١٠٠ يوسف)

وفاة يعقوب في مصر : (٤٠)

كان عمر يعقوب حين خرج من أرض كنعان ودخل ديار مصر عند ابنه يوسف مائة وثلاثين سنة وأقام مع يوسف سبع عشرة سنة ثم توفى عليه السلام وكان قد أوصى يوسف أن يُدفن عند أبويه ابراهيم واسحق، فصبّره وسيّره إلى بلاد الشام فدفنه بالمغارة عند أبيه إسحق وجدّهِ الخليل عليهم السلام، وعن عمر

مائة وسبعة وأربعين عاما.

وقد أوصى يعقوب بنيه واحدا واحدا بما يكون من أمرهم وبشّر يهوذا بخروج نبى عظيم من نسله تطيعه الشعوب وهو عيسى ابن مريم ،وأنه لما مات بكى عليه أهلُ مصر سبعين يوما وأمر يوسف الأطباء فطيّبوه بطيب ومكث فيه أربعين يوما ثم استأذن يوسف ملكَ مصر فى الخروج مع أبيه ليدفنـه عند أهله فأذن له، وخرج معه أكابر مصر وشيوخها، فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التى اشتراها إبراهيم الخليل من عفرون الحيثى وعملوا له عزاء سبعة أيام ثم رجعوا إلى مصرَ، وعَزّى إخوة يوسف ليوسف فى أبيهم وترققوا له فأكرمهم وأحسن منقلبهم فأقاموا ببلاد مصر.

ثم حضرتْ نبى الله يوسفَ عليه السلام الوفاةُ فأوصى أن يُحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيُدفن عند آبائه، فحنطوه ووضعوه فى تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدُفن عند آبائه، فمات يوسف وعمره مائة وعشر أو مائة وعشرين من السنوات.(٤١)

* قصة كليم الله موسى عليه السلام (٤٢)

هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، وميلاده بمصر حيث تواجد يعقوب وجميع ذريته إبان تولى يوسف وزيرا فى مصر وما بعده (كما سبق ذكره) وهو من أولى العزم من الرسل قال تعالى : " واذكر فى الكتاب موسى إنه كان مخلـَصًا وكان رسولا نبيا." (٥١ مريم) وقد ذكره الحق سبحانه وتعالى فى الكثير من المواضع منها المطوّل ومنها المختصر فهو أكثر الأنبياء والمرسلين ذكرا فى القرآن " وكلم الله موسى تكليما "(١٦٤ النساء) أى مباشرة. وهو نبى مرسل برسالة هى التوراة.

النبوءة :: (٤٣)

رأى فرعون مصر فى منامه كأن نارا أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دور مصر ولـم تضر بهؤلاء العبرانيين، فلما استيقظ هاله ذلك فجمع الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا هذا غلامٌ يولد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصرعلى يديه، فلهذا احترز الفرعون لذلك الأمر فجعل رجالا وقوابل يمرّون على الحبالىَ ويعلمون ميقات وضعهن فلا تلد امرأةٌ ذكرا إلا ذبحه المكلفون بذلك حذرا من وجود المولود المذكور، ويولد موسى، ويكتنفُ ميلاده هذه المعجزة، وهذه المفارقة: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه

فألقيه فى اليَم ولا تخافى ولا تحزني إنّا رادّوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين" (٧ القصص)، ولنتوقف قليلا عند هذه الجملة قليلة الكلمات عظيمة المحتوى فهى تحوى أمرين ونهيين وبشارتين، وهذا من الإعجاز. والمفارقة الصارخة هنا أن الأم في حالة خوفها على وليدها تضعه فى صندوق وتلقى بالصندوق فى النيل !! ولِمَ لا فقد حمله النيل إلى شاطئ القصر" فالتقطه آلُ فرعون" (٨ القصص)، ولما كشفت زوجة الفرعون الحجاب رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية فأحبته حبا شديدا، "وألقيتُ عليكَ محبة منى ولتصنع على عينى" (٣٩ طه). وكيف يصف لسانٌ بشرىٌ، خلقـًا يُصنع على عين الله ؟ تحت عين الفرعون الذى يحترز منك بذبح المواليد بينما أنت تربّى فى بلاطه، وفى متناول يده بلا حارس ولا مانع، ويدُهُ لا تنالك بالضر. ودعتْ اسمَه موسى وقالت إنى انتشلته من الماء (خروج ٢) (*) "وأصبح فؤاد أم موسى فارغا" (١٠ القصص) "وقالت لأخته قصيه" (١١ لقصص) أى تتبعي أثره وما آل إليه أمره "وحرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت " (الأخت) هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم (١٢ القصص) أى يرضعونه، "فرددناه إلى أمه كى تقرعينـــُها ولا تحزن (١٣ القصص) فأصبحت الأم هى المرضعة التى ارتضاها الطفل الوليد دون غيرها، ونشأ وتربى فى قصر الفرعون ونَطعـــّم وتنعّم وتغذى بأطيب المآكل ولبس أفضل الثياب " ولتصنع على عينى". ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما" (١٤ القصص) "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته (عبرانى) وهذا من عدوه (مصرى) فاستغاثه الذى من شيعته (١٥ القصص)، وكانت له بديار مصر صولة بسبب نسبته إلى تبنى الفرعون له وتربيته فى قصره "فوكزه موسى" (ضربه بقبضة يده) يريد زجره فقط ولا يقصد قتله فمات المصرى "قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له " (١٦ القصص)، وفى اليوم التالى تكرر المشهد ثانية فإذا الذى استنصره بالأمس (الذى من شيعته) يستصرخه، العبرانى الذى استنجد به بالأمس هو نفسه اليوم مشتبك مع مصرى مرة ثانية ويستغيث بموسى فعنـــّفه موسى ولامه على كثرة شروره قائلا له " إنك لغوىّ لغوىّ مبين" (١٨ القصص)، فلما تقدم موسى ظن العبرانى ــ من تعنيف موسى له ــ أنه يقصده هو قال : "أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس" (١٩ القصص) لأنه هو الذى شاهد حادثة الأمس.

"وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن القوم يأتمرون بك

ليقتلوك"(٢٠القصص)
طلبه الفرعون ليقتصّ منه جزاء قتله المصرى (٤٤) فسبق ذلك الناصح لموسى قائلا : فاخرج... فخرج من فوره لا يهتدى إلى طريق قائلا : رب نجّنى من القوم الظالمين.ولما توجّه تلقاء مدين " (الأردن الآن) أى اتجه إلى طريق يذهب فيه " قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ". (٢١ ــ٢٢القصص)
وصل موسى فى سيره إلى بلاد مَدْيَنَ،"ولما ورد ماء مديَن" (مدينة نبى الله شعيب)، وجد بئرا و"وجد عليها أمـّة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان" (٢٣ القصص) أى تكفكفان غنمهما أن تختلط بغنم الآخرين،انتظارا للسقيا، فجاء موسى فرفع الصخرة الكبيرة التى تغطى البئر وحده ــ وكان قويا ضخم البنية ــ فسقى لهما ثم تولى إلى ظل شجرة " قال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير" (٢٤ القصص) فهو هارب مسافر بلا زاد ولا رفيق ولا مصدر للرزق " فجاءته إحداهما تمشى علي استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصّ عليه القـَصصَ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين" (٢٥ القصص) أي خرجتَ من سلطانهم فلستَ فى دولتهم، قالت إحدى البنتين "يا أبت استأجره" لرعى غنمك بدلا عنا، فاتفقا على ذلك. وتزوج موسى واحدة من بنتى شعيب.
"فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله" (متوجها إلى مصر عبر سيناء) آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنى آنستُ نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون" (٢٩ القصص) فأهل البادية يوقدون النار عادة على مرتفـَع من الأرض ليراها السارى في الصحراء فتكشف له عن الطريق أو يجد عندها القـِرَى والضيافة "فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أنْ يا موسى إنى أنا الله رب العالمين. وأنْ ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولـّى مدبرا" (٣٠ــالقصص) صارت حية عظيمة لها ضخامة هائلة وأنياب تصك فهرب منها وهذه طبيعة البشر، ولم يلتفت فناداه ربه "يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين"(٣١ القصص) وأمره أن يمسكها فعادت كما هى عصا. "أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء"(٣٢ القصص) أى تتلألأ كالقمر بياضا. وأمره بالذهاب لمقابلة فرعون مصر مكلفا من قـِبـَله تعالى بعد أن مرَّ بتجربة عملية للحيّة واليد البيضاء.لمحاورته بشأن قومه العبرانيين، فطلب إشراك أخيه هارون فى المهمة فأجيب إلى طلبه.

(٤٥)

وفي المقابلة قال له الفرعون : "ألم نربــك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين"(١٨ الشعراء) وانتهت المحاجّة بينهما بإلقاء العصا وإخراج يده البيضاء، وقال تعالى : " لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى " (٤٦ طه).فتواعدا على يوم يجمع فيه الفرعونُ السحرةَ المصريين ليلقوا ما بأيديهم أمام معجزة موسى الإلهية، فلما حضروا وألقوا، ورأوا معجزة موسى "ألقِيَ السحرةُ ساجدين. قالوا آمنا برب موسى وهارون" (٧٠ طه) لأنهم رأوا حيّة عظيمة ذات قوائم وعنق وشكل هائل مخيف، تفتح فاها وتبتلع كل ما ألقوه هم من حبالٍ وعِصِيٍ، فهرب الناس وسجد السحرة فتوعّدهم فرعون بالقتل والصلب.. ثم توالت المعجزات الباقية من موسى :"فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدّمَ آياتٍ مفصلاتٍ فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين" (١٣٣الأعراف) : كلما جاء موسى بآية وعــده فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل، فإذا مضت أخلف وقال لموسى: "هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا". ثم يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفّها عنه ويوافقه على أن يرسل معه بنى إسرائيل..إلى أن جاء التكليف من الله لموسى بالخروج مع قومه من مصر ليعبدوا الله فى برية سيناء.

الخروج هربا (من مصر) (٤٦)

كانت إقامة بنى إسرائيل فى مصر منذ حضور نبى الله يعقوب وبصحبته جميع القبيلة ــ حيث كان يوسف وزيرمصر ــ إلى زمن خروجهم مع نبى الله موسى، أربعمائة وثلاثين سنة (خروج١٢) " ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا" (٧٧طه).

"وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى.طلبوا من المصريين أمتعة فضةٍ وأمتعة ذهبٍ وثيابًا. وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين (يعنى حسّنهم) حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين" (خروج ١٢)

خط سير بنى إسرائيل :

وصعد بنو إسرائيل متجهزين من أرض مصر.وأخذ موسى عظام يوسف معه.لأنه كان قد استحلف بنى إسرائيل بحلِفٍ قائلا إن الله سيفتقدكم فتُصْعِدون عظامى من هنا معكم (خروج ١٣)

ارتحل بنوا إسرائيل من رعمسيس (*) إلى سكوت (خروج ١٢)

وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى إيثام فى طرف البرية.وكان الرب يسير

أمامهم نهارا فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق وليلا فى عمود نار ليضئ لهم.لكى يمشوا نهارا وليلا. (خروج١٣)

وكان لمــّا أطلق فرعونُ الشعبَ (أى وافق على الخروج) أن الله لم يهدهم فى طريق الفلسطينيين مع أنها قريبة.لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلى مصر. فأدار الله الشعب فى طريق "برية سوف".

وفى اليوم الثالث كلم الربُ موسى قائلا: " كلم بنى إسرائيل أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الحيروث بين "مجدل" والبحر أمام بعل صفون.مُقابِلــَهُ تنزلون عند البحر.فيقول فرعون عن بنى إسرائيل هم مرتبكون فى الأرض. وقد استغلق عليهم القفر "(خروج١٤) فسعى المصريون خلفهم وأدركوهم.جميعُ خيل مركبات فرعون وفرسانه.وقد لحق المصريون بالإسرائيليين فى معسكرهم بالقرب من "يام سوف " ومعناها العبرى حرفيا " بحيرة البوص واليم بالعربية (البحر) وخُصَّ بنيل مصر ".

"فلما اقترب الفرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم.ففزعوا جدا وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور فى مصر أخذتنا لنموت فى البرية. ماذا صنعتَ بنا حتى أخرجتنا من مصر. أليس هذا هو الكلام الذى كلمناك به فى مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين.لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البرية. فقال موسى للشعب لا تخافوا.قفوا وانظروا خلاص الرب الذى يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضا إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".(خروج١٤) ومدّ موسى يده على البحر فأجرى الربُ البحرَ بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحرعلى اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم. وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين فى عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين. وخلع بكــَرَ مركباتهم حتى ساقوها بثقله (خروج ١٤)

وهنا يُثبت الدكتور سليم حسن أن الخروج تم من بحيرة المنزلة : " أصبح موسى بهذا الموقف فى مأزق حرج، فقد كانت "بحيرة البوص" على يمينه، وحصن "مجدول" بما فيه من حامية أمامه سادّا الطريق من جهة الشمال، ومستنقعات فرع النيل البلوزى علي يساره، وخلفه الفرعون وجنوده، فلم يكن

لديه أى وسيلة غير طلب العون والرحمة من الله، وقد نالهما، وأشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه، فأرسل الله ريحا شرقية. وقد جاء فى التوراة أنها ريح شرقية عاتية ظلت تهب طوال الليل، وهذه هى المعجزة، فكان جفافا وانشق الماء ".(انتهى استدلال د. سليم حسن. ويستأنف حديثه ولكن عن واقعة غرق الفرعون فيقول) : " أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فُهِمَ خطأ على حسب ما جاء فى الكتب السماوية، والواقع أنه لا يمكن لإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه فى ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاث، بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال، وسقط بعض ركابها مغشيا عليه، وهذا يفسر ما جاء فى سفر الخروج ١٤ــ ٢٥: "وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة "، ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون فى البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة، وقد جاء كل ذلك الخلط من ترجمة " يام سوف " بالبحر الأحمر أو بحر القلزم. إن ما جاء بالقرآن الكريم لا يُشعِر بأن الفرعون الذى عاصر موسى قد غرق ومات، بل على العكس نجّاه الله ببدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق، والتعبير : "فاليوم ننجيك ببدنك" يعادل التعبير العامّى ــ " خلص بجلده" (أو نفد بجلده) وأن لفظ " اليَم" تطلق على النيل وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرانية التى جمعت القصة كلها فى اختصار رائع..بينما عرض خليج السويس قبالة الطور ثلاثين كيلومترا مما يبرهن على أن اختراقه يستغرق يوما كاملا وربما أزيد مع ما يحملونه من أمتعة وأطفال ومرضى وما يسحبون من المواشى. وفى هذه الحالة **لا يرى** موسى وقومُه الفرعونَ وجنودَه (ومن هذه النقطة وبما تحوى الآية الكريمة من دقة المعنى أستطيع إقناع القارئ بأن العين المجردة لا ترى على بُعد ثلاثين كيلومتر حتى ولوكانت منطقة مفتوحة مثل خليج السويس " وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون **وأنتم تنظرون** (٥٠ البقرة)، وقد أوردَ الدكتورسليم حسن مخططا يوضح طريق خروج بنى إسرائيل وعبور **(يم سوف)** مستدلا (فى البند الرابع به) على مسمى **بحر سوف** بما جاء فـــــى (١٩ اصحاح،١٠سفر الخروج).

أيضا ذكر ابن كثير : " وخرجوا على طريق " **بحر سوف** " (٤٧) يتفق هذا مع ما جاء فى كتابهم وأيضا مع ماجاء عند د. سليم حسن وشروحه.

فلما جاوزوه وخرج آخرهم كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون الذى

رأى اثنى عشر طريقا فى البحر، فلحق بالقوم، فتركهم موسى حتى احتواهم جميعا، وضرب العصا فعاد البحر كما كان "فغرق أفضل جنوده المركبية فى **بحر سوف**..ثم ارتحل موسى بإسرائيل من **بحر سوف** وخرجوا إلى برية شور" (خروج ١٥)

والآن يتأكد للقارئ أن الخروج تم من بحيرة المنزلة لاتفاق كل المصادر وعلى رأسها الآية الكريمة " فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون **وأنتم تنظرون** " (٥٠ البقرة) ولا ترى العين البشرية على بُعد ٣٠ ك م الذى هو عرض خليج السويس،إنما الخطأ وقع قديما فى عملية الترجمة من وإلى اللغات المختلفة.

أمر بنى اسرائيل (بعد خروجهم من مصر)

*** اجعل لنا إلهـــًا : (٤٨)**

لقد شقِيَ موسى من تعنت فرعون وتشدده حتى يُخرج قومه لعبادة الله في البرية، فخرجوا بمعجزة إلهية، وبمجرد أن جاوزوا البحر :" وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون" (١٣٨ الأعراف) أمَا رأيتم من العِبَر ما يكفيكم (أن تؤمنوا بربكم).

*** السقيا والطعام : (٤٩)**

" وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " (٦٠ البقرة)

(كانوا اثنتا عشرة قبيلة) ومنعًا للمشاكل خصص الله لكل قبيلة عينا. " فتذمّر كل جماعة بنى إسرائيل على موسى وهارون فى البرية.وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا مُتنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع. فإنكما أخرجتمانا لكى تـُميتا كل هذا الجمهور بالجوع ".فقال الرب لموسى ها أنا أمطر لكم خبزا من السماء.فيخرُج الشـــعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها.لكى أمتحنهم أيسلكون فى ناموسى أم لا.(٢خروج ١٦)

وهاهي رعاية الله لهم فى حر الصحراء (وقفرها)، " وظللنا عليكم الغمام. وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ". (٥٧ البقرة)

" فكلم الرب موسى قائلا سمعتُ تذمّر بنى إسرائيل. كلـــمْهم قائلا فى العشية تأكلون لحما وفى الصباح تشبعون خبزا. وتعلمون أنى أنا الرب إلهُكم.. فكان فى المساء أن السلوى صَعِدَتْ وغطت المحلة. ولمّا ارتفع سقيط الندى إذا

على وجه البرية شئ دقيق مثل قشور. دقيق كالجليد على الأرض.
فلما رأى بنو إسرائيل (قالوا) بعضهم لبعض من هو.لأنهم لم يعرفوا ما هو.فقال لهم موسى هو الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا.هذا هو الشئ الذى أمر به الرب.إلتقطوا منه كلٌ واحد على حسب أكله (يعنى قدر ما يُشبِعْه فقط) عمرا للرأس على عدد نفوسكم تأخذون كل واحد للذين فى خيمته. وقال لهم موسى لا يُبْق أحدٌ منه إلى الصباح. لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منه أناس إلى الصباح فتولد فيه دود وأنتن. فسخط عليهم موسى. ودعا بيت إسرائيل اسمه مَنّا.وهو كــبــزْر الكزبرة (مثل حب الكزبرة) أبيض وطعمه كرقاق بعسل (٣١خروج ١٦)

والسلوى هو طائر السّمان يجدونه موفورا لغدائهم فلم يعجبهم. " وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرِج لنا مما تــُنبتُ الأرضُ من بقلها وقثـّائها وفومها وعدسها وبصلها قال أ تستبدلون الذى هو أدنى بالذي هو خيرٌ اهبطوا مصرًا فإن لكم ما سألتم " (٦١ البقرة)

وفى هذا توبيخ وتقريع لهم من موسى ويقصد : عودوا إلى حياتكم الذليلة حيث تجدون (ما ذكرتم) فى مصر، أى هذا الذى تشتهونه ــ بدل هذه النعم التى أنتم فيها ــ حاصل لأهل الأمصار(*) الصغار والكبار، موجود بها وإذا هبطتم إليها ونزلتم عن هذه المرتبة التى لا تصلحون لها ــ تجدون بها ما تشتهون من المآكل الدنية والأغذية الردية .

* حرب عماليق : (٥٠)

" وأتى عماليق وحارب إسرائيل فى رفيديم.فقال موسى ليشوع (يوشع بن نون) انتخب لنا رجالا واخرج حارب عماليق.وغدا أقف أنا على رأس التلة وعصا الله فى يدى.ففعل يشوع كما قال له موسى ليحارب عماليق.أما موسى وهارون وحور فصعدوا على رأس التل.وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب وإذا خفض يده أن عماليق يغلب.فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذا حجرا ووضعاه تحته فجلس عليه.ودعم هارون وحور يديه الواحد من هنا والآخر من هناك.فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس.فهزم يشوعُ عماليقَ وقومَه بحد السيف.فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكارا فى الكتاب وضعه فى مسامع يشوع.فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء (خروج١٧)

(فإذا كانوا كذلك يحاربون وينتصرون بحد السيف فمَــنْ هم القائلون لنبيّهم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدونَ ؟!) (٢٤ المائدة)

* الكلمات العشر : (٥١)

تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا.أنا الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية :

١ـ لا يكن لك آلهة أخرى أمامي....٢ـ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا.لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا...٣ـ أذكر يوم السبت لتقدسه...٤ـ أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض ٥ـ لا تقتل.. ٦ـ لا تزن..٧ـ لا تسرق..٨ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور..٩ـ لا تشته امرأة قريبك ١٠ولا عبده ولا أمـته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك (خروج ٢٠) (*) (المشهورة باسم الوصايا العشر)

ومضمون ذلك فى القرآن الكريم :

" قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكـرّون* وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون*" (١٥١ـ ١٥٣الأنعام)

* رأوا الله : (قبّحهم الله) (٥٢)

قال تعالى : " وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربّه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارونَ اخلفنى فى قومى وأصلحْ ولا تتبعْ سبيل المفسدين. ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربُه قال ربِّ أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربُّه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا.(١٤٢ـ ١٤٣الأعراف)

"ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل.ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبْهُ صنْعَةٍ من العقيق الأزرق الشفاف وكذاتِ السماء فى النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بنى إسرائيل.فرأوا الله وأكلوا وشربوا.(خروج ٢٤)

وإذا كنا نستبشع مجرد طلبهم " وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم

تشكرون (٥٤ـ ٥٥ البقرة) فهم كتبوا أنهم رأوه ولا يستحون (نستغفر الله، وتعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا) "لا تدركه الأبصارُ وهو يُدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ " (١٠٣ الأنعام)

* **فضل أمة أحمد : (٥٣)**

ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله لمّا فرغ من خلق السموات والأرض كتب كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي " فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون " (١٥٦ الأعراف) أى فسأوجبها لمن يتصف بهذه الصفات " الذين يتبعون الرسول النبي الأمّيّ " (١٥٧ الأعراف) وهذه فيها تنويه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته من الله لموسى عليه السلام في جملة ما ناجاه به وأعلمه وأطلعه عليه. قال قتادة : قال موسى : " يارب إني أجد في الألواح أمّة هي خير أمةٍ أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، رب اجعلهم أمتي، قال : **تلك أمّة أحمد** قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**. قال : رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها وكان مَن قبلهم يقرأون كتابهم نظرا، حتى إذا رفعوها لم يحفظـــــوا شيئا ولم يعرفوه، وإن الله (أعطانا نحن أمة أحمد) من الحفظ شيئا لم يعطه لأحد من الأمم، قال : رب اجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**. قال : رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**.قال : رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتُهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها. وكان مَن قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها، وإن رُدّت عليه تُركتْ فأكلتها

السباع والطير ــ وإن الله أخذ صدقاتِهم من غنيّهم لفقيرهم، قال : رب فاجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**. قال : رب فإني أجد في الألواح أمة إذا همَّ أحدُهم بحسنة ولم يعملها كُتبت له حسنة فإذا عملها كُتبَ له عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال : رب اجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**. قال : رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي، قال : **تلك أمة أحمد**.. قال قتادة : فذكر لنا أن موسى عليه السلام نبذ الألواح، وقال : **اللهم اجعلني من أمة أحمد**.(فاللهم اجعلنا من أمةِ أحمد باتباعنا سنته والتزامنا بها..

آمين)

*** بناء قبـّة الزمان : (٥٤) المسكن الذى أصبح فيما بعد " خيمة الاجتماع " فى الفكر اليهودى :**

قال أهل الكتاب : إن الله أمر موسى أن يصنع قبة من خشب (السنط) وجلود الأنعام والأغنام وشعر المَعْز ولها أبواب وسُجُفٍ وأطناب وستور من حرير ودمقس مصبوغ وذهب مشغول وأشياء أخرى كثيرة (خروج ٢٥ـ ٢٨) ولعل أواخر الإصحاح الأربعين يأخذنا حيث أتمّها موسى ونفـّذ كل المطلوب.

"ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحَىْ الشهادة.لوحى حجر مكتوبين بإصبع الله ".(خروج ٣١)

***عبادة العجل فى غياب موسى : (٥٥)**

" وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر " (١٤٢الأعراف)

قال لهم نبى الله موسى : أطيعوا هارون فإن الله قد استخلفه عليكم وإنى ذاهب إلى ربى وأجّلهم ثلاثين يوما." وصعد موسى الجبل ليتلقى الوحى من ربه، " واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨ الأعراف) صاغه لهم السامرى من الحُلىّ التى اقترضوها من المصريين. " فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسِىَ " (٨٨ طه) أى أن موسى قد نسى إلهه عندنا هنا وذهب يبحث عنه وتعذر عليه إيجاده، أما نحن فقد وجدناه وها هو.

" ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فـتُـنتـُم به وإن ربّكم الرحمنُ فاتبعونى وأطيعوا أمرى. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.(٩١طه) فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوما ثم أخلفنا. هذه أربعون يوما قد مضت، قال سفهاؤهم أخطأ ربّه يطلبه ويبتغيه. فلما كلّم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما فعل قومه من بعده، " وقال الرب لموسى اذهب إنزل لأنه قد فسد شعبك الذى أصعدته من أرض مصر.زاغوا سريعا عن الطريق الذى أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتكَ يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر " (خروج ٣٢). فرجع إليهم غضبان أسفا. "ولوحا الشهادة فى يده لوحان مكتوبان على جانبيهما.من هنا ومن هنا كانا مكتوبين.واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين. وسمع يشوع صوتَ الشعب فى هتافه فقال لموسى صوت قتال فى المَحلّةِ.فقال ليس

صوت صياح النصرة ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع. وكان عندما اقترب من المَحلّةِ أنه أبصر العجل والرقص فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل.ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار " (خروج ٣٢). وقال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلـّوا (٩٢ طه)، وعنّف أخاه هارون، ونفى السامرى.

فلنتلمّس عن نبى الله هارون الذى استخلفه الله عليهم، وماذا كتبوا فى شأنه :

لمّا رأى الشعبُ أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعبُ على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهَةً تَسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها.

فنزع كل الشعب أقراط الذهب وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهَتُكَ يا إسرائيلُ التى أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه.ونادى هارونُ وقال غدا عيدٌ للرب.فبكّروا فى الغد وأصعَدُوا مُحْرَقَات وقدّموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. (خروج٣٢)

كان هذا نصيب نبى الله هارون من الموقف، فماذا عن تداعياته ونتائجه على نبى الله موسى: فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال لماذا يارب يحمَى غضبُك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويدٍ شديدة.لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخُبْثٍ ليقتلَهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض.ارجع عن حُمُو غضبك واندم على الشر بشعبك. فندم الرب على الشر الذى قال إنه سيفعله بشعبه (خروج٣٢) (سبحانك اللهم وبحمدك تباركت وتعاليت عن ذلك علوا كبيرا، ولعنكم الله بقولكم، فستندمون حيث لا ينفع الندم ثم لتحشرون إلى جهنم وبئس المصير.)

" ولمّا سُقِطَ فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلّوا قالوا لئن لم يرحمنا ربُّنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين " (١٤٩ الأعراف)

***وإذ نتقنا الجبل فوقهم : (٥٦)**

هذا الموقف مترتب على الموقف السابق : قال جماعة من المؤمنين لموسى سل لنا عن باب توبة نصنعها فتكفّر عنّا ما عملنا "واختار موسى قومه

سبعين رجلا لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرجفة قال رب لو شئتَ أهلكتهم من قبلُ وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا." (١٥٥ الأعراف) انطلق نبى الله بهذا الوفد يسأل لهم التوبة، فرجفت الأرض بهم (لأنهم قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فماتوا جميعا) فاستحيا نبى الله موسى من قومه ومن وفده وفيهم من كان الله قد اطلع منه على ما أشرب قلبه حب العجل والإيمان به فلذلك رجفت بهم الأرض." ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون " (٥٦ البقرة) قال تعالى : " رحمتى وسعتْ كلَّ شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة وهم بآياتنا يؤمنون (١٥٦ الأعراف)، قال موسى يا رب سألتك توبة لقومى فقلتَ إن رحمتى كتبتها لقوم غير قومى فليتك أخرتنى حتى تخرجنى فى أمة ذلك الرجل المرحوم. فقال له إن توبة (قومك) أن يقتل كلُّ رجل منهم من لقىَ من والد وولد فيقتله بالسيف لا يبالى من قتل فى ذلك الموطن . وفعلوا ما أمروا به فغفر الله للقاتل والمقتول، فسار بهم نبى الله وأمرهم بما أُمر هو به فثقل عليهم وأبوا أن يقروا به ونتق الله عليهم الجبل (اقتلعه من الأرض) كأنه ظلّة فوقهم، ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم وأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مُصْغون ينظرون إلى الجبل والكتابُ بأيديهم مخافة أن يقع عليهم.

***كلمات العهد العشر :**

(ويُلاحَظ أن مضمون كلمات العهد هذه غير " الكلمات العشر" السابقة وإن كان فيها من البنود مشتركة مع السابقة).

" ثم قال الرب لموسى انحَت لك لوحين من حجر مثل الأولين.فأكتبُ أنا على اللوحين الكلمات التى كانت على اللوحين الأولَيْن اللذيْن كسرتهما.وكن مستعدا فى الصباح.واصعد فى الصباح إلى جبل سيناء وقفْ عندى هناك على رأس الجبل.ولا يصعد أحدٌ معك.وبكّر موسى فى الصباح وصعد إلى جبل سيناء كما أمره الرب.وأخذ فى يده لوحيْ الحجر.فنزل الرب فى السحاب.فوقف عنده هنـــاك ونادى باسم الرب.فاجتاز الرب قدّامه ونادى الربّ الربّ إلهٌ رحيمٌ ورؤوفٌ بطئُ الغضب وكثيرُ الإحسان ــ (تُرى هل اتعظ الرب من نصائح موسى حين قال له ارجع عن حُمُوْ غضبك واندم على الشر بشعبك..؟)

وها هى نص كلمات العهد العشر :"١ــ حفظ ما أنا موصيك اليوم.ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين... (يذكر باقى قبائل المنطقة). ٢ــ احترز أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التى أنت آت إليها. بل تهدمون مذابحهم

ونكسرون أنصابهم...٣ـ لا تمجّد لإله آخر(... واحترز أن تأخذ) من بناتهم لبنيك...٤ـ تحفظ عيد الفطير.سبعة أيام تأكل فطيرا كما أمرتك فى شهر أبيب(*) لأنك (فيه) خرجت من مصر. ٥ـ لى كل فاتح رحم (بكر) وكل ما يولد ذكرا من مواشيك بكرا وأما بكر الحمار فتفديه بشاة.وإن لم تفده تكسر عنقه (!).كل بكر من بنيك تفديه. ٦ـ ستة أيام تعمل.وأما اليوم السابع فتستريح فيه.. ٧ـ ثلاث مرات فى السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل. ٨ـ لا تذبح على خمير دم ذبيحتى. ولا تُبِتْ إلى الغد ذبيحة عيد الفصح.. ٩ـ أول أبكار أرضك تحضره إلى بيت الرب إلهك. ١٠ـ لا تطبخ جديًا بلبن أمه (خروج ٣٤)

" وقال الرب لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات.لأنى بحسب هذه الكلمات قطعتُ عهدا معك ومع إسرائيل.وكان هناك عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة. فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر. وكان لمّا نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يده أن موسى لم يعلم أن جلدَ وجههِ صار يلمع فى كلامه معه. فخافوا أن يقتربوا إليه (فجعل على وجهه برقعا).

*سؤال الرؤية : (٥٧)

قال تعالى: "ولما جاء موسى لميقاتنا " فى الوقت المحدد له وكلمه ربه (من وراء حجاب كما فى المرات السابقة) وأسمعه الخطاب، فناداه وناجاه، فقرّبه وأدناه، وهذا مقام رفيع ومعقل منيع، ومنصب شريف، ومنزل منيف، ولما أعطىَ هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية، وسمع الخطاب، سأل رفع الحجاب، فقل للعظيم الذى لا تدركه الأبصار " رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فان فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعِقــًا فلما أفاق قال سبحانك تبتُ إليك وأنا أول المؤمنين " (١٤٣الأعراف)

مشهد مهيب، وأسلوب بسيط لا يحتاج لشرح.

* بقرة بنى إسرائيل : (٥٨)

كان رجل فى بنى إسرائيل كثير المال وهو شيخ كبير وله بنو أخ يتمنون موته ليرثوه فقتله أحدهم بالليل وطرحه فى مجمع الطرق (منتصفه) أو على باب واحد منهم، فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه يصرخ،فلما علم موسى بالأمر ناشدهم : مَن عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به.".فلم يجبه أحد فطلبوا منه أن يسأل ربه عز وجل فسأل.فجاء الرد : "إن الله " يأمركم أن

تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا " (٦٧ البقرة) أتسخر منا، نحن نسألك عن أمر هذا القتيل وأنت تقول هذا، وعلى عادتهم كما لاحظنا فى المواقف السابقة يتعقد الموقف ويشتد من تلكئهم وتعنتهم ومماحكتهم. فهنا شددوا ما لونها، ما سنها، ماهي، هل تعمل فى الحقل فشدد الله عليهم فأجيبوا بما عز وجوده عليهم. ولو أنهم ذبحوا أية بقرة لمجرد تنفيذ أمر الله لقضى الأمر، والقصد أن " اضربوا القتيل بجزء من لحم البقرة " كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " (٧٣ البقرة) فيقوم القتيل واقفا ويقول قتلنى فلان (ابن أخى) ويعود كما كان ميتا، معجزة من الله تعالى لنبيه ليسهل عليه الحكم بالحق والعدل، مثل السلسلة التى كانت تتزل زمن نبى الله داود وسيأتى ذكرها

* **خيمة الاجتماع : (٥٩)**

" وحين اكتملت الخيمة بجميع أجزائها ومرافقها نصبها له موسى خارج المحلة بعيدا عن المحـــلة ودعاها خيمة الاجتماع. فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التى خارج المحلة. وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد فى باب خيمته وينظـــرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميعُ الشعب ِعمودَ السحاب واقفـــا عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته ويكلم الرب

موسى وجهـــا لوجه كما يكلم الرجل صاحبه (خروج٣٣). وكان موسى قد وضع مذبح المحرقة عند بـــاب خيمة الاجتماع وأصعَد عليه المحرقة والتقدمة. ووضع المرحضة بين خيمة الاجتماع والمذبح،وجعل فيها ماء ليغسل منها موسى وهارون وبنوه أيديهم وأرجلهم عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع وعند اقترابهم إلى المذبح..

* **فاذهب أنت وربك فقاتلا : (٦٠)**

"وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم. إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا وآتاكم ما لم يُؤْتِ أحدا من العالمين. يا قوم ادخلوا الأرضَ المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدّواعلى أدباركم فتنقلبوا خاسرين" (٢٠ ـ٢١المائدة)، لقد جرّبهم موسى من قبل فى مواقف عديدة وها هوذا معهم الآن على أبواب الآرض المقدسة التى وعدهم الله بها، وقد صدقهم الله وعده من قبل، ولكن الارتداد هو الخسران المبين." قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن

ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢ المائدة) وتكاليف النصر ليست هكذا كما تريد يهود وهى فارغة القلوب من الإيمان.."قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين" (٢٣ المائدة) فمتى دخلتم على القوم فى عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم وكتب الله لكم الغلب عليهم، ولكن لمن يقولان هذا الكلام.. "قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنـّا ههنا قاعدون " (٢٤المائدة) وهكذا يُدفع الجبان إلى الواجب فيجبن..فاذهب أنت وربك فقاتلا فليس بربهم إذا كانت ربوبيّته ستكلفهم القتال ! إنا هاهنا قاعدون لا نريد ملكا، ولا نريد عزا ولا نريد أرضا ودونها لقاء الجبارين "قال رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " (٢٥ المائدة) (ولعلهم هنا تذكروا موقفهم حين واجهوا فرعون وجنوده فقال لهم نبى الله موسي : " الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خروج ١٤) لكن هناك فرق بين الموقفين)، فها هى ذى نهاية المطاف، وهو معهم على أبوابها، ونكولا عن ميثاق الله وهو مرتبط معهم بالميثاق، فماذا يصنع ؟ وبمن يستجير؟ ؟" قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأسَ على القوم الفاسقين "(٢٦ المائدة) فاستجاب الله لنبيّه، وقضى بالجزاء العدل على الفاسقين " قال فإنها محرّمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض. وهكذا أسلمهم الله للتيه وحرّمها على هذا الجيل– حتى ينبُت جيل جديد.. ويتركهم السياق القرآنى فى التيه ولا يزيد على ذلك. بينما تزعم التوراة : " أنهم حاربوا القبائل التي تسكن المنطقة من سيناء مصر– حتى جبل حرمون فى سوريا، ومن الأردن حتى سواحل فينيقيا.

"وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت.ادع يشوع (يوشع بن نون) وقِفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه.فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع فتراءى الرب فى الخيمة فى عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة.وقال الرب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويَفْجُر وراء آلهة الأجنبيين فى الأرض التى هو داخل إليها فى ما بينهم ويتركنى وينكث عهدى الذى قطعته معه.فيشتعل غضبى عليه وأتركه وأحجب وجهى عنه لأجل جميع الشر الذى عمله فيكون مأكلة وتصيبه شرورٌ كثيرة وشدائد حتى يقول أمَا لأن إلهى ليس فى وسطى أصابتنى هذه الشرور فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلّم بنى إسرائيل إياه.ضعه فى أفواههم لكى يكون لى

شاهدا على بنى إسرائيل لأنى أدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم.. ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بى وينكثون عهدى.فمتى أصابته شرورٌ كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيد أمامه شهادة لأنه لا يُنسىَ فى أفواه نسله.. فكتب موسى النشيد وعلمّ بنى إسرائيل إياه. فعندما كمّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاوين حاملى تابوت عهد الرب أن يضعوها بجانب تابوت عهد الرب ليكون هناك شاهدا عليكم لأنى عارف تمردكم.. وإنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به :

" أنصتى أيها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمى. يهطل كالمطر تعليمى. ويقطر كالندى كلامى.كالطل على الكلأ وكالوابل على العشب. إنى باسم الرب أنادى.أعطوا عظمة لإلهنا إن جميع سُبُلِهِ عدلٌ.إلهُ أمانةٍ لا جوْر فيه صِدِّيقٌ وعادلٌ هو..."

ونطق موسى بجميع كلمات هذا النشيد (المطول) فى مسامع الشعب هو ويشوع بن نون. ولما فرغ موسى من مخاطبةَ جميع إسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم : وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التى أنا أشهد عليكم بها اليوم لكى توصوا بها أولادكم ليحرصوا على أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة..."

وكلم الرب موسى فى نفس ذلك اليوم قائلا : اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نَبُو فى أرض موآب الذى قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل.ومُتْ فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضُمَّ إلى قومه " (تثنية ٣١ــ ٣٢)

وقبل أن نترك كليم الله موسى عليه السلام نذكر له أن رسولنا صلى الله عليه وسلم قال :"قال موسى : يارب علّمنى شيئا أذكرك به وأدعوك به. قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله.قال موسى : يارب كل عبادك يقول هذا. قال : قل لا إله إلا الله . قال : إنما أريد شيئا تخصّنى به قال : يا موسى لو أن أهل السموات السبع والأرضين السبع فى كفة ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم لا إله إلا الله.

ويشهد لهذا الحديث حديث البطاقة المروى فى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أفضل الدعاء دعاء عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيّون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

شئ قدير." (٦١)

تشكيل الأسباط : (٦٢)

أمر الله تعالى موسى وهارون أن يُعِدّا بنى إسرائيل على أسباطهم وأن يجعلا على كل سبط أميرا وهو النقيب وذلك ليتأهبوا لقتال الجبارين عند الخروج من التيه، وكان هذا عند اقتراب انقضاء مدة الأربعين سنة، وأن يكتب موسى وهارون أسماء المقاتلين من بنى إسرائيل ممن بلغ العشرين سنة فصاعدا، وأن يجعل على كل سبط نقيبا منهم كما يلى :

السبط الاول : سبط روبيل (راوبين) لأنه بكر يعقوب ونقيبهم منهم وهو أليصورا بن شديئورا.

السبط الثاني: سبط شمعون ونقيبهم شلوموئيل بن هوريشداى.

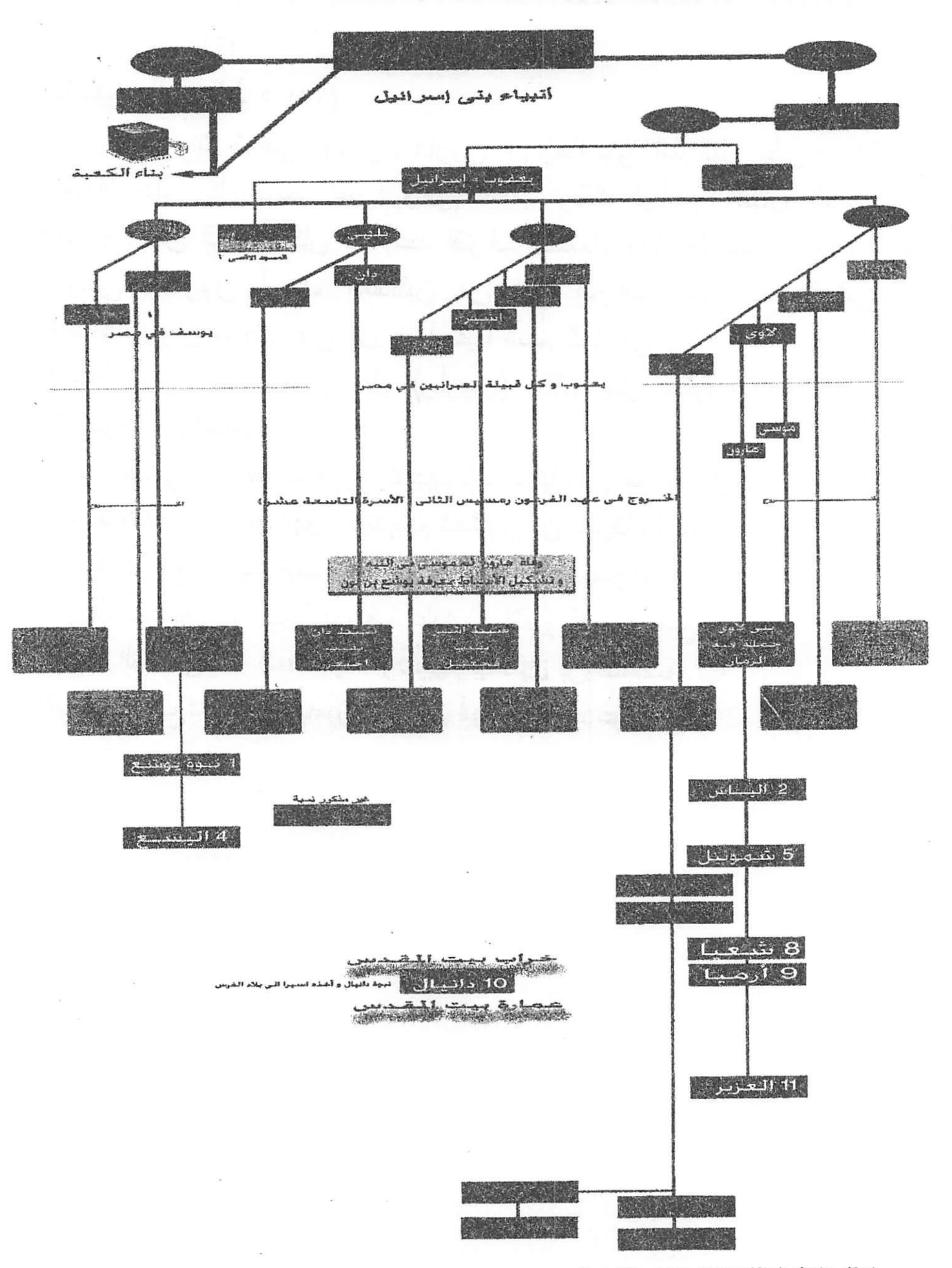
السبط الثالث: سبط يهوذا ونقيبهم نحشون بن عمينا داب.

السبط الرابع: سبط إيساخر ونقيبهم نشائيل بن صوغر.

السبط الخامس : سبط يوسف عليه السلام ونقيبهم يوشع بن نون

السبط السادس : سبط ميشا ونقيبهم جملئيل بن فدهصور ٠

السبط السابع: سبط بنيامين ونقيبهم أبيدن بن جدعون ٠



ابن كثير : البداية و النهاية " ص319 / م1 ج1 : ص100 م1 ج2
لكتاب " أنبياء بنى إسرائيل و يهود اليوم" إعداد محمد حسن الحداد
ساعد في تنسيقها هندسيا : طه احمد تليمه
نفذها على الحاسب : ايهاب نجيب

السبط الثامن: سبط حاد ونقيبهم الياساف بن رعوئيل .
السبط التاسع: سبط أشير ونقيبهم فجعئيل بن عكرن .
السبط العاشر : سبط دان ونقيبهم أخيعزر بن عمشداي .
السبط الحادي عشر : سبط نفتالي ونقيبهم أخيرع بن عين
السبط الثاني عشر : سبط زبولون ونقيبهم الباب بن حيلون .

هذا نص كتابهم الذي بأيديهم والله اعلم.

وليس منهم بنو لاوي حيث أمر الله أن لا يعدهم معهم وهم سبط موسي وهارون عليهما السلام حيث أنهم مكلفون بحمل قبة الشهادة (أي قبلتهم التي يتوجهون إليها في صلاتهم) إذا ارتحلوا وضربها ونصبها وخدمتها وحراستها إذا أقاموا.

" ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم (١٢المائدة)

هذا ما جاء فى البداية والنهاية لابن كثير (وهو مرجعى الرئيسى خلال الفصل لأول الذى نحن بصدده).

ونظرا لأن الأسماء والموضوع ككل مَرّ بترجمة من العبرية إلى لغات عدة على طول الزمن، وتعدد تناول الباحثين لطبعات مختلفة) ، لذا أورد هنا نص ما جاء فى الإصحاح الأول من " سفر العدد" لاستكمال المعلومة لدى القارئ، ولا يوجد تناقض بينهما، فقط اختلاف فى حروف الحلق وما يترتب عليها من النطق بشكل جزئى. وقد أسند ابن كثير السبط الخامس إلى نبى الله يوسف بينما أسند سفر العدد نفس السبط إلى أفرايم بن يوسف والسادس إلى منسى (ميشا) ابن يوسف كالآتى :

سبط رأوبين ونقيبهم أليصور بن شديئور.
سبط شمعون ونقيبهم شلومئيل بن صوريشداى
سبط يهوذا ونقيبهم نحشون بن عميناداب
سبط يساكر ونقيبهم نثنائيل بن صوغر
سبط زبولون ونقيبهم ألياب بن حيلون
سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام ونقيبهم أليشع بن عميهود
سبط منسى بن يوسف ونقيبهم جملئيل بن فدهصور

سبط بنيامين ونقيبهم أبيدن بن جدعونى
سبط دان ونقيبهم أخيعزر بن عميشداى
سبط أشير ونقيبهم فجعئيل بن عكرن
سبط جاد ونقيبهم الياساف بن دعوئيل
سبط نفتالى ونقيبهم أخيرع بن عينن.

١-نبوة يوشع (يشوع) وقيامه بأعباء بني اسرائيل من بعد هارون وموسى(٦٣)

هو يوشع بن نون (اليشمع بن عميهود) ابن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ــ ذُكِرفــى سورة الكهف " فتي موسي" أي تابعه دون أن يصرح باسمه.

قام بأعباء النبوة بعد وفاة هارون ووفاة موسى وأتم تشكيل الأسباط ودخل بهم بيت المقدسالآن جيل جديد بقيادة جديدة ولنرى هل اتعظ الجيل الجديد من توهان آبائهم أربعين سنة فى سيناء جزاء تقاعسهم عن تنفيذ أمر الله ونصيحة اثنين منهم.. وما موقف السماء من الوعد أن مجرد الدخول، نتيجته النصر : أنهي يوشع بن نون (اليشمع بن عميهود) محاصرته بيت المقدس بعد عصر يوم جمعة وكادت الشمس تغرب ويدخل السبت الذى جُعِلَ عليهم، فقال : اللهم احبسها عليّ. فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد، ذكر الإمام أحمد عن أبى هريرية قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الشمس لم تنحبس لبشر إلا ليوشع (ليلة) سار إلى بيت المقدس.(٦٤) هذا ما كان من معجزة وقد رأوها بأعينهم " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا (الذى كنتم تتمنونه وتطلبونه) وادخلوا الباب (باب المدينة) سُجّدا وقولوا حطة (أى حُط عنا خطايانا) نغفر لكم خطاياكم " (٥٨ البقرة) فهل امتثلوا..؟ يروى البخارى عن ابن مسعود قال تفسير قوله تعالى "فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم " قال : قالوا : " هطى سقانا أزمة مزيا " وهى فى العربية " حبة حنطة (قمح) حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء "(٦٥) استهزاءًا واستخفافا فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون" (٥٩ البقرة) والرجز الذى أنزله الله عليهم هو الطاعون كما ثبت فى الصحيحين من حديث الزهرى عن أسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :" إن هذا الوجع أو السقم رجزٌ عُذّب به بعض الأمم قبلكم. (٦٦)

ـ قصتا الخضر وإلياس عليهما السلام (٦٧)

المصرح بذكر الخضر أنه الذى رحل إليه كليم الله موسى ليتعلم من علمه اللدنى فى (سورة الكهف)، واختـلف في الخضر: اسمه ونسبه ونبوته وحياته وزمنه وأنه كان أخو إلياس وكلها ضعيفة، ومنها أن على بن أبى طالب قال : دخلت الطواف فى بعض الليل فإذا أنا برجل متعلقا بأستار الكعبة يدعو الله قائلا : يامن لا يمنعه سمع من سمع، ويامن لا تغلطه المسائل، ويامن لا يبرمه الحاح الملحّين ولا مسألة السائلين ارزقني برد عفوك وحلاوة رحمتك (آمين).

وإن كان كل ما ورد بشأن ظهور الخضر اسناده ضعيف أو مقطوع أو مجهول بدليل قول الله عز وجل : " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد" (٣٤ الأنبياء) فالخضر إن كان بشرا فهو يندرج تحت هذا العموم. وهو فى ذاته دعاء طيب يمتلئ بمعانى العبودية لله تعالى ندعوه به راجين القبول.

٢ - إلياس (الياهو أو إليا : والمعنى العبرى إلهى هو يهوه) (٦٨)

قال الله تعالي بعد قصة موسى وهارون في سورة الصافات : " وإن إلياس لمن المرسلين. إذ قال لقومه ألا تتقون. أتدعون بعلا وتذرون أحسنَ الخالقين. اللهَ ربكم وربَّ آبائكم الأولين. فكذبوه فإنهم لمُحضرون (أى للعذاب) إلا عباد الله المخلـَصين. وتركنا عليه في الآخرين. سلام على إل ياسين. إنا كذلك نجزى المحسنين. إنه من عبادنا المؤمنين. (الصافات١٢٣ ـ ١٣٢)

قال علماء النسب هو إلياس التشبي، ويقال ابن فنحاص بن العيزار بن هارون، أو إلياس التشبى ابن العازار بن هارون، وكان إرساله إلي أهل بعلبك غربى دمشق فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة صنم اسمه "بعل" وذكر ابن كثير فيه صفات عديدة وأقاويل كثيرة وكلها ضعيفة الإسناد. ومن أحسنها قال أبوبكر بن أبي الدنيا..عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد الكوفة فدخلتُ حائطا (حديقة) أصلى ركعتين فافتتحت : "حم. تنزيلُ الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير" (١ـ ٢ غافر) فإذا رجل من خلفى على بغلة شهباء فقال لى : "إذا قلتَ غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفرلى ذنبى. وإذا قلتَ قابل التوب فقل يا قابل التوب تقبل توبتي. وإذا قلتَ شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تعاقبنى. وإذا قلتَ ذى الطول فقل يا ذا الطول تطوّل عليّ برحمتك" (آمين) ـ (وهو هنا دعاء

يرجى به القبول) ـ فالتفتُ فإذا لا أحد وخرجت فسألت : مر بكم رجل على بغلة شهباء فقالوا ما مر أحد فكانوا لا يرون إلا إنه إلياس.

٣ - حزقيل بن بوذي (حزقيال بن بوزى) : (٦٩)

خلف في بنى إسرائيل بعد يوشع بن نون، كالب بن يوقنا (يوقنة)، وخلفه حزقيل (حزقيال)، وقد مر حزقيل على واد فيه أموات كثيرون وكانوا قد فروا من الوباء فنزلوا بصعيد من الأرض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعاً فحظروا عليهم حظيرة دون السباع ومضت عليهم دهورٌ طويلة فوقف عليهم حزقيل متفكرا فقيل له أتحب أن يبعثهم الله وأنت تنظر فقال : نعم، فأمر أن يدعو تلك العظام أن تكتسى لحما وأن يتصل العصب بعضه ببعض فناداهم عن أمر الله فقام القوم أجمعون وكبّروا تكبيرة رجل واحد (*). قال الله تعالى : " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموتِ فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون "(٢٤٣ البقرة)

هذه الآية الكريمة من سورة البقرة تحتل الموقع الرئيسى للتعريف بنبى الله حزقيال حيث أنه هو الذى رآهم ودعا الله فأحياهم بأمره.

وكتابهم يحوى فى سفر(حزقيال) وقائع وتفاصيل معنى ما جاء فى الآية السابقة. ويبدأ بـ"كانت علىّ يدُ الرب فأخرجنى بروح الرب.وأنزلنى فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما. وأمّرنى عليها مِنْ حولها وإذا هى كثيرة جداعلى وجه البقعة وإذا هى يابسة جدا.فقال لى يا ابن آدم أتحيا هذه العظام.فقلت يا سيدى الرب أنت تعلم.فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها.أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب.هكذا قال السيد الرب لهذه العظام.هأنذا أدخِل فيكم روحا فتحيون.وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلدا وأجعل فيكم روحا فتحيَوْن وتعلمون أنى أنا الرب.. فتنبأتُ كما أُمرتُ وبينما أنا أتنبأ كان صوتٌ وإذا رعشٌ فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمِهِ.ونظرتُ وإذا بالعصب واللحم كساها وبُسِطَ الجلدُ عليها من فوق ولبس فيها روحٌ.فقال لى تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هَلُمّ يا روحُ من الرياح الأربع وهُبَّ على هؤلاء القتلى ليحيوا.فتنبأت كما أمرنى فدخل فيهم الروح فحيَوْا وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جد جدا..ثم قال لى يا ابن آدم هذه العظام هى كل بيت إسرائيل.هاهم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا.قد انقطعنا.لذلك تنبأ وقل لهم

هكذا قال السيد الرب.هأنا ذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبى وآتى بكم إلى أرض إسرائيل.فتعلمون أنى أنا الرب عند فتحى قبوركم وإصعادى إياكم من قبوركم يا شعبى.وأجعل روحى فيكم فتحيون وأجعلكم فى أرضكم فتعلمون أنى أنا الرب تكلمتُ وأفعلُ " (حزقيال ٣٧)

ويقول حزقيل أنه كان ضمن المسبيين فى أرض الكلدانيين، وعند نهر خابور ذات يوم : كانت علىّ يدُ الله وإذا بريح عاصفة وسحابة ونار.ومن وسطها شبه أربعة أوجه (كذا وكذا.. من وصفه نستنتج أنهم حملة العرش).. فلما سارت سمعتُ صوت أجنحتها كخرير مياه كثيرة كصوت القدير صوت ضجة كصوت جيش.ولما وقفتْ أرختْ أجنحتها.وفوق المقبب الذى على رؤوسها شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق وعلى شبه العرش كمنظر إنسان عليه من فوق حقويه (*) إلى فوق ومن منظر حقويه إلى تحت رأيت مثل منظر نار ولها لمعان ومن حولها كمنظر القوس الذى فى السحاب يوم مطر (يقصد قوس قزح) هكذا منظر اللمعان من حوله هذا منظر شبْه مجد الرب.(وأقول لا تدركه الأبصار يا حزقيل فلا تشتط،وليس كمثله شئ فى الأرض ولا فى السماء فلا تمعن فى الوصف). ويكمل حزقيل "ولما رأيته خررت على وجهى.وسمعت صوت متكلم..فقال لى يا ابن آدم قم على قدميك فأتكلم معك. فدخل فِىّ روحٌ لمّا تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى.وقال لى يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل..إلى أمة متمردة تمردت علىّ....ويظل على قوله يا ابن آدم كذا وكذا أزيد من خمسين مرة منها :"كان امرأتان ابنتا أم واحدة.وزنتا بمصر فى صباهما زنتا.هناك دُغدغت ثديهما وهناك تدغدغت ترائب عذريتهما واسمهما أهولة وأهوليبة..وولدتا بنين وبنات واسماهما السامرة وأورشليم..وزنت أهولة من تحتى..فلما رأت أختها ذلك أفسدت فى عشقها أكثر وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيّهم كمنّى الخيل..(لا أصدق ناظرىّ فأعيد القراءة أغالط نفسى فيما أرى من سطور، ما هذا الهراء القذر ؟! اللعنة من الله على من كتب هذا، المعنى كما فهمت أن السامرة احتلها شباب آشور الفرسان وهو الذى سلمها لهم، وأورشليم احتلها الكلدانيون، نظرا لفساد أهليهما فكان ذلك عقابا لهما على ترك أوامر الله.. لكن) لماذا !!

ومنها : " قل لرئيس صور..(كذا) إرفع مرثاة على ملك صور وقل له..

وأيضا : " اجعل وجهك نحو صيدون وتنبأ عليها...ومنها : " اجعل وجهك نحو فرعون ملك مصر وتنبأ عليه وعلى مصر كلها.هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر التمساح الكبير الرابض فى وسط أنهاره الذى قال نهرى لى وأنا عملته لنفسى. فأجعل خزائم (كمثل لجام الفرس ؟) فى فكيك وألزق (ألصق) سمك أنهارك بحرشفك..على وجه الحقل تسقط فلا تُجمع ولا تُلمّ. بذلتك طعاما لوحوش البَر ولطيور السماء. وتكون أرض مصر مقفرة وخربة فيعلمون أنى أنا الرب لأنه قال النهر لى وأنا عملته.. وأجعل أرض مصر خربًا خَربَةً مقفرة من مجدل إلى أسوان إلى تخوم كوش (بلاد النوبة آخر حــدود مصر من الجنوب و مجدل أول حدود مصر من الشمال) لا تمر فيها رجل إنسان ولا تمر فيها رجل بهيمة ولا تُسكن أربعين سنة (لاحظوا أن أربعين سنة هى مدة التيه التى قضوها هم فى سيناء) وأشتت المصريين بين الأمم وأبددهم فى الأراضى.وعند نهاية الأربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم وأردّ سبى مصر وأرجعهم إلى أرض فتروس يقصدون (فاقوس التى هى تانيس عاصمة مُلك رعمسيس الثانى ومن قبله حيث كانوا يقيمون إلى أن أتى زمن نبى الله موسى وخرجوا منها) إلى أرض ميلادهم ويكونون هناك مملكة حقيرة.تكون أحقر الممالك فلا ترتفع بعدُ على الأمم وأقللهم لكى لا يتسلطوا على الأمم. ويظل السيد الرب يشمتُ فى مصر وفى ملكها (يقصد حين جاء بختنصّر وفتح مصر فأصبحت ولاية فارسية. ويظل يصبُّ جام غضبه على مصر وملك مصر) ويكسر ذراعه فلا يستطيع الإمساك بالسيف : "وَلوِلوُا لأن اليوم قريب.ويأتى سيف على مصر.ويأخذون ثروتها وتُهدم أسُسُها ويسقط عاضدوا مصر وتنحط كبرياء عزتها من مجدل إلى أسوان (كانت امبراطورية مصر تشمل أرض فلسطين ومصر فىى الأسرة التاسعة عشرة) إنى أبيد ثروة مصر بيد "نبوخذ راصر" (بُختَ نصّر) ملك بابل هو وشعبه معه عتاة الأمم يؤتى بهم لخراب الأرض ــ (وهذا ما ذكره إرميا عن جيش بخت نصر فى دخوله بيت المقدس وخرابها مما سيأتى ذكره..) أما مصر فهى عامرة بأهلها دائما) ــ ويستكمل :فيجردون سيوفهم على مصر ويملأون الأرض من القتلى.وأجعل الأنهـــار يابسة، وأبيع الأرض للأشرار ولا يكون بعد رئيس من أون (يقصد عين شمس وكانت العاصمة الدينية فى الدولة القديمة) وفيبسطة (يقصد بوبسطة) وكانت العاصمة الشمالية زمن شيشنق الأول فاتحة الأسرة الثانية والعشرين ومن

الغريب أنْ سيأتى اسم شيشنق الذى فتح بيت المقدس واستولى على جميع طروس الذهب وحمله إلى خزائن مصر كالتالى : " وفى السنة الخامسة للملك رَحُبْعَام صعد شيشنق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شئ وأخذ جميع أتراس الذهب التى عملها سليمان. فعمل رحبعام عوضا عنها أتراس نحاس " (الملوك الأول ١٤)..وأشتت المصريين بين الأمم وأذريهم فى الأراضى (يتحدث عن حال شتاتهم هم حين فرّوا من بخت نصر هاربين إلى المغرب ومصر واليمن وشبه الجزيرة.(ويستكمل) : ها نذا على فرعون مصر فأكسر ذراعيه القوية ويكرر : " يا ابن آدم ولْولْ على جمهور مصر ويقصد الاجتياح الفارسى لمصر فى الأسرة السادسة والعشرين..ويظل يصب غضبه على شعب مصر وعلى أرضها : "وأبيد جميع بهائمها عن المياه الكثيرة فلا تكدرها من بعدُ رجلُ إنسان ولا تعكّرها أظلافُ بهيمة.حينئذ أنضِبُ مياههم وأجرى أنهارهم كالزيت يقول السيد الرب حين أجعل أرض مصر خرابا وتخلو الأرض من ملئها عند ضربى جميع سكانها يعلمون أنى أنا الرب....يا ابن آدم ولول على جمهور مصر (!)

(هذا السيد الرب المتحيّر بشعبه يهبط بهيئة عرشه إلى النبى حزقيال فيراه ويصفه ويسمعه يتكلم فيشتكى إليه تمرد شعبه المختار ويكلفه بوعظ شعبه ويبعث الموتى منهم فى أرض السبى ويأتى بهم إلى السامرة وأورشليم، ومن قبل صب اللعنة على السامرة وأورشليم. ويشتكى إلى حزقيال من أن شعبه صلاب الجباه قساة القلوب (حزقيال اصحاح من ١ : ٢٩: ٣٢) (ص ١١٧٥: ١٢٥٩)

أما التفسير المطابق لماجاء بالآية الكريمة فمن لفظ (حذر الموت) يُفهم منه أن ثمة مرض معد أو وباء أصاب مجتمع فهرب عدد كبير من هذا المجتمع خوف أن يصيبهم، فيشاء الله القادر أن يميتهم لأنه كان مقدرا فى علمه تعالى أن هؤلاء ميتون. يعنى لا يغنى حذر عن قدر وفى هذا المجال يأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان وباء بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه (٧٠) ، وأن يُرى قدرته على إحياء الموتى لنبى من أنبيائه مثلما سأل خليل الله إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى.قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك (٢٦٠ البقرة) (قطّعهم قطعا صغيرة واخلطهم ببعض وقسّم هذا الخليط أربعة أقسام ووزعهم على قمم جبال أربع ثم ادع واحدا واحدا فتتجمع أجزاء الواحد الموزّعة على الجبال حتى يكتمل فيأتى إلى خليل الله

إبراهيم حيث هو. دليل قدرة الخالق جل شأنه.

بعد وفاة حزقيل نسى بنو إسرائيل عهد الله وتعاظمت منهم الأحداث وعبدوا الأوثان، ومن جملة الأوثان صنم اسمه (بعل) فبعث الله اليهم إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران الذى تقدم ذكره لارتباط قصته بالخضر، وقصة الخضر المرتبطة أيضا بكليم الله موسى عليه السلام.

٤ – إليسع : بالعبرى إليشع والمعنى الرب يخلص، أو مخلص الرب (٧١).

كان اليسع بعد الياس ودعا قومه إلي الله مستمسكا بمنهج إلياس وشريعته وهو من الأسباط ابن عدى بن شوتلم بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم •ويقال إنه ابن عم النبى إلياس.قال تعالى: " واذكر إسماعيل واليَسَعَ وذا الكفل وكلّ من الأخيار" (٤٨ ص)

حين عظمت الخطوب فى بنى إسرائيل سلط الله عليهم ملوكا جبارين سفكوا دماءهم، وكانوا إذا حاربوا الأعداء يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان فى قبة الزمان فكانوا يُنصرون ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آلُ موسى وآل هارون •فلما كان فى بعض حروبهم مع أهل غزة وعسقلان غلبوهم وقهروهم علي أخذه وانتزعوه من أيديهم • فلما علم بذلك ملك بنى اسرائيل فى ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمدا • وبقي بنو اسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله فيهم نبيا يقال له شموئيل (صموئيل) فطلبوا منه أن يقيم لهم ملِكا ليقاتلوا معه الأعداء وكان ذلك بعد أربعمائة وستين عاما من وفاة يوشع بن نون •

٥ ــ قصة شموئيل وبداية أمر داود وهو من ورثة هارون (٧٢)

هو شموئيل ويقال أشموئيل وعند أهل الكتاب (صموئيل).

عن ابن عباس وابن مسعود أنه : لما غلبت العمالقة من أرض غزة وعسقلان على بنى اسرائيل منهم كثيرا وسبَوْا من أبنائهم جمعا كثيرا وانقطعت النبوة من سبط لاوى ولم تبق منهم إلا امرأة واحدة حُبلى.فجعلت تدعو الله أن يرزقها ولدا ذكرا ــ فولدت غلاما أسمته أشموئيل.

وعند أهل الكتاب أن رجلا من جبل أفرايم اسمه " ألقانة بن بروحام بن اليهو، وله زوجتان : حنّة وفنِنــّة وكان لــفنّنة أولاد ولم يكن لــ حَنة أولاد فكانت كلما ذهبت لبيت الرب تدعو ببكاء ونذرت لرب الجنود " إن أعطيتنى

زرع بشر فإنى أعطيه للرب كل أيام حياته (أى تهبه لخدمة هيكل الرب) "
وفي مدار السنة أن حنّة حبلت وولدت ابنا ودعت اسمه "صموئيل" قائلة :" لأنى من الرب سألته " (وحين كبر وصار صبيا) جاءوا به إلى الكاهن "عالى" وقالت حنّة لأجل هذا الصبى صليت فأعطانى الرب سؤلى الذى سألته من لدنه.وأنا أيضا قد أعرته للرب.جميع أيام حياته وسجدوا هناك للرب.وقالت حنّة فرح قلبى بالرب.ارتفع قرنى بالرب.ليس قدوسٌ مثل الرب.اتسع فمى على أعدائي بالرب إله عليم وبه توزن الأعمال.الرب يميتُ ويُحيى. يُهبطُ إلى الهاوية ويُصعِد.الرب يُفقر ويُغنى يضع ويرفع..."(صموئيل الأول)

تتلمذ أشموئيل "صموئيل "علي يد رجل صالح فى المسجد – وكان يتزايد نموا وصلاحا لدى الرب والناس، جاءه جبريل في منامه و قال : "إن ربك قد بعثك إلي قومك " فكان من أمره ما قص الله في كتابه قال تعالي : (ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسي إذ قالوا لنبيّ لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كـُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين "(٢٤٦ البقرة)

والمقصود أن هؤلاء القوم لمّا أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبيهم أن ينصّب لهم ملكا "وقال لهم نبيّهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا". (٢٤٧ البقرة)

كان التابوت قد أخِذ منهم بواسطة العمالقة فلما استقر في أيدي العمالقة وضعوه تحت صنم لهم فلما كان الصباح إذ التابوت فوق الصنم فجعلوه تحته مرة ثانية فوجدوه فى الصباح فوق الصنم فحملوه فأرسلوه إلي قرية بعيدة عنهم فجاءهم داء فى رقابهم، فلما طال عليهم هذا جعلوه فى عَربة وربطوها فى بقرتين وأرسلوهما فيقال ان الملائكة ساقتهما حتى جاءوا بهما إلى بنى إسرائيل وهم ينظرون كما أخبر نبيهم والظاهر أن الملائكة كانت تحمله بأنفسهم كما هو المفهوم من الآية " وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آلُ موسي وآلُ هارون تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين" (٢٤٨ البقرة)

ظهور داود : (٧٣)

خرج الملك طالوت في جيش لملاقاة جالوت وكان طالوت يحرّض بني

اسرائيل علي القتال قائلا : من يقتل جالوت زوّجته ابنتي وأشركته في ملكي فبرز داود وكان يجيد الرمي بالقذافة (المقلاع) فلما تقابل الجيشان رمى داود بمقلاعه بثلاثة أحجار دفعة واحدة ففلق رأس جالوت وفر جيشه منهزما فوفى له طالوت بما وعد فزوّجه ابنته وأجري حكمه في ملكه، قال تعالي : " فهزموهم بإذن الله وقتل داودُ جالوتَ وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه مما يشاء"(٢٥١ البقرة) وعظّم داود عند بني اسرائيل وأحبّوه فتنازل له طالوت عن الملك بعد حكم أربعين سنة.

٦- داود.. ملكا نبيا (٧٤)

هو داود بن ايشا (يَسّىَ) بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن ارم بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم . كان قصيرا أزرق العينين جمع الله لـه المـلك والنبوة : " ولقد ءاتينا داود منا فضلا يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد (كان الحديد بيديه لا يحتاج نارا ولا مطرقة) " أن اعمل سابغات (وهي صناعة الدروع وقدّر في السرد أي اجعل الثقب على قدر سماكة المسمار والمعنى أن اتقن في عملك واجعله على أحسن حال) واعملوا صالحًا إني بما تعملون بصير" (١٠ـ١١ سبأ) كان يصنع الدرع في يوم واحد ويبيعه بستة آلاف درهم. وفي الحديث الشريف " إن نبي الله داود كان يأكل من كسْبِ يده "(٧٥) "وسخّرنا مع داود الجبالَ يسبحن والطيرَ وكنّا فاعلين". (٧٩ الأنبياء)

كان له صوتٌ عظيم في صلاته إذا ترنّم بقراءة كتابه (الزبور) تقفُ الطير في السماء، ويعكف الجن علي صوته .

" اصبر علي ما يقولون واذكر عبدَنا داود ذا الأيد إنه أواب * (القوة في الطاعة والعبادة والعمل الصالح والفقه في الإسلام. قال رسولنا الكريم : " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود" إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق * والطيرَ محشورةً كلٌّ له أواب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب * " (١٧ ــ ٢٠ ص)

وقد وهبه الله تعالى من الصوت العظيم ما لم يعطه أحدا فإذا ترنم بقراءة كتابه (الزبور) يقف الطير في الهواء يُرجّع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه بكرة وعشيا.. وقال الإمام أحمد.. عن عائشة قالت : "سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ

فقال : "لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود" يعنى حلاوة الصوت" (٧٦).
وروى ابن جرير عن ابن عباس أن رجلين تقاضيا إلى داود عليه السلام في بقر ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه فأكر المدعى عليه، فارجأ داود أمرهما إلى الليل فلما كان الليل أوحى الله إلى داود أن يقتل المدعى، فلما أصبح قال له داود : إن الله قد أوحى اليّ أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيته على هذا، قال : والله يا نبى الله إنى لمُحقّ فيما ادعيت عليه ولكنى كنت اغتلتُ أباه من قبل هذا، فأمر به داود فقتِل. فعظم أمر داود فى بنى إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعا عظيما. قال ابن عباس وهى قوله تعالى : "وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة (أى النبوة) وفصل الخطاب " (يعنى الحُكم)

وقال وهب بن منبّه : " لمـّا كثر الشر ّ وشهادات الزور فى إسرائيل أعطِيَ داود سلسلة لفصل القضاء فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس وكانت من ذهب، فإذا تشاجر الرجلان فى حق فأيهما كان محقا نالها والآخر لا يصل إليها، فلم تزل كذلك حتى أودع رجلٌ رجلاً لؤلؤة فجحدها منه واتخذ عكّازا وأودعها فيه فلما حضرا عند الصخرة تناولها المدّعى، فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد إلى العكّاز فأعطاه المدعى (وفيه تلك اللؤلؤة) وقال : اللهم إنك تعلم أنى دفعتها إليه ثم تناول السلسلة فنالها (!!) فأشكل أمرها على بنى إسرائيل فرفعت سريعا من بينهم ". ذكره غير واحد من المفسرين، "وإن له عندنا لزلفىَ وحسنَ مآب " (٢٥ ص).

وفى تفسير هذه يقول مالك بن دينار :

يقوم داود عليه السلام يوم القيامة عند ساق العرش فيقول الله تعالى : " يا داود مجّدنى اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذى كنت تمجّدنى فى الدنيا " فيقول: كيف وقد سلبته، فيقول : " إنى أردّه عليك اليوم " قال " فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان ". " اعملوا آل داود شكرا وقليلٌ من عبادِىَ الشكور " (١٣ سبا)

قال أبو بكر بن أبى الدنيا.. عن أبى الجلد قال : قرأت فى مسألة داود عليه السلام أنه قال يارب كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ". فأتاه الوحىُ " أن يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى " قال بلى يا رب. قال تعالى : " فإنى أرضىَ منك بذلك ". (وما بكم من نعمة فمن الله)، وقال البيهقىّ قال داود : "الحمد لله كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله "

فأوحى الله إليه : إنك أتعبت الحَفَظَة يا داود "، وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "... فلمّا غُسِّلَ وكُفِّنَ وفُرِغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلى على داود فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض فقال سليمان للطير : اقبضى جناحا (وكان ذلك أول ما رأى بنو إسرائيل من نبيّ الله سليمان)، قال أبو هريرة فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدَه ". (٧٧)

٧ - سليمان بن داود..ملكا نبيا : (٧٨)

هو سليمان بن داود بن ايشا (يَسّىَ) بن عويد.بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عميناداب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم، ورث أباه داود في النبوة والمُلك. ولنبدأ بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم عن عبد الله بن عمر : " إن سليمان حينما جدد بناء بيت المقدس بناءً محكما سأل ربه عز وجل خِلالا ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة (٧٩) : سأله حُكما يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله مُلكـًا لا ينبغى لأحدٍ من بعده فأعطاه إياه، وسأله : إيّما رجلٌ خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمّه». فنحن نرجوا أن يكون الله قد أعطانا إياها. فأما الحُكم الذى يوافق حُكم الله تعالى عليه وعلى أبيه فى قوله : " وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين * ففهّمناها سليمان وكلاً آتينا حُكماً وعلماً (٧٨ الأنبياء)

وقد ذكر شريح القاضى وغيره : أن هؤلاء القوم كان لهم كرْمٌ فنفشت فيه غنم قوم آخرين (أى رعته بالليل فأكلت شجره كلّه) فتحاكموا إلى نبى الله داود عليه السلام فحكم لأصحاب الكرم بقيمته، فلما خرجوا على سليمان قال : بما حكم لكم نبى الله " فقالوا : بكذا، قال : أمّا لو كنتُ أنا لمّا حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم فيستغلونها نتاجا ودرّا حتى يُصلح أصحابُ الغنم كرْمَ أولئك ويردّوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمَهم " فبلغ داود ذلك فحكم به "

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فنازعتا فى الآخر فقالت الكبرى إنما ذهب (الذئب) بابنك، وقالت الصغرى إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فحكم به للكبرى فخرجتا على سليمان فقال: آتونى بالسكّين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضى به

لها، ولعل كلا الحكمين كان سائغا فى شريعتهم، ولكن ما حكم به سليمان هو الأرجح (وأظهر للحقيقة) ولهذا أثنى الله تعالى عليه بما ألهمه إياه، ومدح بعد ذلك أباه فقال : " وكلا آتينا حكما وعلما " (٧٨ الأنبياء). ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها ". (٨١ الأنبياء)

سخر الله له الريح تجرى بأمره حيث أراد من البلدان وكان له بساط مركب من أخشاب بحيث يسع جميع ما يحتاج إليه من الخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من الإنس والجان وغيرذلك من الحيوانات والطيور، فإذا أراد سفرا أو متنزها أو قتال أعداء من أى بلاد الله شاء حمل كل ما ذكرعلي البساط وأمر الريح فدخلت تحته فرفعته فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرُخاء فسارت به فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون حتى أنه كان يرتحل فى أول النهار من بيت المقدس ـ إلي إصطخر و كابل (كابول /أفغانستان).

قال الحسن البصرى : كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى بها ويذهب رائحا منها فيبيتُ بكابل وبين دمشق واصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر.

"وورث سليمان داود وقال يأيها الناس عُلّمنا منطقَ الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين. وحُشِر لسليمان جنودُهُ من الجن والإنس والطير فهم يوزعون.(١٦: ١٧ النمل) ورث نبى الله سليمان أباه فى النبوة والمُلك، وأوتى من كل شئ مما يحتاج المُلك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والفرق من الجن والإنس والشياطين السارحات، والعلوم والفهوم، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات. وهذا من بارئ البريات وخالق الأرض والسموات وكان يعرف لغة الطير وما تتخاطب به الطيور ويعبّر للناس عن مقاصدها، وفى قصته المطولة مع الهدهد وتوصيل الخطاب إلى بلقيس ملكة سبأ باليمن وما نتج عنه من إسلام الملكة بعد أن رأت عرشها الذى تركته فى بلدها، ماثلا منكسا فى مجلس الملك النبى سليمان، هذا إلى جانب أن الهدهد كان رفيقه فى الأسفار وأنهم إذا أعوزهم الماء يجئ فينظر هل فى هذه البقاع من ماء، ولديه من القوة التى أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، فإذا دلـّهم عليه حفروا واستخرجوه. ويوزعون أي يُجمّعون ثم يُساقون إليه، والطيور كان علي كل صنف منها مقدّمون يقومون بما يُطلب منهم وهم

يحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك.

"حتي إذا أتوا علي وادي النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحْطِمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. (١٨ النمل) والمقصود أن سليمان سمع وفهم ما خاطبت به النملة جماعتها من رأي سديد، فتبسم علي وجه الاستبشار بما أطلعه الله عليه دون غيره وقال رب ألهمني وقيِّضني لشكرما ميزتنى به على غيرى، ويسّرعليّ عمل الصالحات واحشرنى مع عبادك الصالحين.

قال السدّي: "أصاب الناسَ قحطٌ على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا (لصلاة الاستسقاء) فإذا بنملةٍ قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول : "اللهم إنا خلقٌ من خلقك ولا

غناء بنا عن فضلك" قال : " فصبّ الله عليهم المطر " (٨٠).

" وأسلنا له عين القِطر (أي النحاس) ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير. يعملون له ما يشاء من محاريبَ وتماثيلَ وجِفانٍ كالجواب وقدورٍ راسيات (١٣ سبا).

سخر الله لسليمان النحاس سائلا وكان باليمن فأخذ منه لكل ما يحتاجه للبنايات والتمائيل وغيرها. وسخر الله له الجن عمالا يعملون له ما يشاء يغوصون فى البحار فيستخرجون منها اللؤلؤ والأحجار الكريمة لزينة بيت المقدس، لا يخرجون عن طاعته، ومن خرج قيّده بسلاسل اثنين اثنين، والمحاريب هى صدور المجالس والأماكن الحسنة، وتماثيل وهى الصور فى الجدران، وجفان أى أوعية متسعة كالجوبة من الأرض أو كالحوض الذي يُجبَى فيه الماء، والقدور الراسيات جمع قدر يعنى من ضخامتها لا يستطيع أحد تحريكها من أماكنها.

هذا من جملة ما هيأه الله وسخرله من الأشياء التى هى من تمام الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده ولم يكن لأحد من قبله.

"هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب" أى اعط يا سليمان من شئتَ واحرم من شئت فلا حساب عليك فتصرّف فى المال كيف شئت فإن الله قد سوّغ لك كل ما تفعله ولا يحاسبك عليه فماذا أعد الله له في الآخرة ؟ " وإن له عندنا لزلفىَ وحسنَ مآب " (٤٠ ص)

تلاحظون فى سيرة نبى الله سليمان أنه تفرد عن باقى المرسلين والأنبياء جميعا بحالة الرفاهية والتنعيم : لم يشقَ فى الدعوة إلى الله فقد ورث عن والده

الأمور المستتبة، ولم يتعب وفى حروب فقد أوتى الجند المختلفين، وحكم الريح، وأزاد الله له لغة الطير وحكم الجن، وفوضه فى الصرف بالكرم بخير حساب، وفى الآخرة زلفى وحسن مآب. فهل هو الحقد ؟.

والغريب أن قومه يصفوه بما كتبوا عنه في كتابهم :

"وكان فى شيخوخة سليمان أن نساءه أملنَ قلبه وراء آلهةٍ أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهَهُ كقلب داود أبيه.. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه.. فغضب الرب على سليمان (غضب الله عليكم ولعنكم) لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب فقال الرب لسليمان من أجل ذلك فإنى أمزّق المملكة عنك تمزيقا وأعطيها لعبدك" " الملوك الأول١١

"ولم يكن سليمان وحده الذى تعرضوا له بالقذف والإساءة، فقد اجترأوا على الله جل شأنه بقولهم " إن الله فقير ونحن أغنياء "(١٨١آل عمران)، أيضا تجرأوا على المولى سبحانه وتعالى فكتبوا فى كتابهم : " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وتأسف فى قلبه.فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسانَ الذى خلقته مع بهائم ودبابات وطيور السماء.لأنى حزنت أني عملتهم وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب (تكوين ٦)

وكتبوا فى كتابهم : وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما.وشرب من الخمر فسكر وتعرّى (تكوين ٩) بعد أن كتبوا : " وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب " (السطر السابق)

وكتبوا فى كتابهم : "وصعد لوط من صوعر وسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت البكـــر للصغيرة هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنُحْيِى من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها.ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها...وحدث فى الغد مع الصغرى مثلما حدث مع البكر.فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر إبنا ودعت اسمه موآب والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى..(تكوين ١٩)

وكتبوا فى كتابهم عن يعقوب أبيهم مع أبيه اسحق : هل أنت هو ابنى عيسو فقال (يعقوب) أنا هو.. فقدم له فأكل.و أحضر له خمرا فشرب (يعنى يعقوب المرشح للنبوة يخطئ فى موقف واحد مرتين : يكذب ويقدم لأبيه الخمر، ونبى الله اسحق يشرب الخمر كما شربَ من قبل نوح ولوط)...وحين يأتى

عيسو ليقدم لأبيه طعامه الذى طلبه فقال اسحق لعيسو إنى قد جعلته سيدا لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر (تكوين ٢٧)

وكتبوا : وقبّل يعقوب راحيل (بعد أن سقى لها غنمها وقبل أن يتزوجها أو يقابل أباها) (تكوين ٢٩)

وكتبوا فى كتابهم : بعد أن صارع يعقوب "رجلا " فضربه على حُق فخذه..قال يعقوب لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى "(تكوين ٣٢)

وكتبوا : وظهر الله ليعقوب أيضا (يعنى مرة ثانية).. وقال له أنا الله القدير. (تكوين ٣٥)

وأن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سُرّية أبيه (زوجة أبيه ؟) وسمع إسرائيل (تكوين ٣٥)

(أى كتاب هذا الذى يتناول أنبياء اصطفاهم الله على البشرية ليكونوا قدوة وليتحمّلوا عبء الدعوة فإذا هم يسكرون ويزنون !!، وأى إله هذا الذى لا يدرى ماذا يفعل بالبشر الذين خلقهم)

وكتبوا : "وزنى يهوذا بزوجة ابنه (والعياذ بالله) وهى تضع البرقع ولم يعرفها فطلبت منه رهنا فترك لها عصاه وخاتمه مقابل الزنا وحتى يرسل إليها أجرة الزنا (جدى معزى) فلم يجدها وبعد ثلاثة أشهر قيل له هذه كنـتـك حامل من الزنى فأمر بإحراقها، فأخرجت له الخاتم والعصا (تكوين ٣٨) كلام هراء فى هراء واجتراء على أنبياء مصطفين من قِبَل الله تعالى لعن الله من كتبه.

وكتبوا : ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذاتِ السماء فى النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل. فرأوا الله..(قبحكم الله ولعنكم الله) (خروج ٢٤) ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه ـ وبعد سطور معدودة يقول لموسى (لا تقدر أن ترى وجهى.لأن الإنسان لا يرانى ويعيش (خروج ٣٣)

وكتبوا عن نبى الله هارون أنه قال لهم انزعوا أقراط الذهب التي فى آذان نسائكم وبناتكم.. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل ونادى هارون غدا عيدٌ للرب (وهو النبى المكلف بإقامة الشعائر وبنيه من بعده...) (خروج ٣٢)

وينصح موسى الربَّ : " ارجع عن حموّ غضبك واندم على الشر

بشعبك.. فندم الرب على الشر الذى قال إنه سيفعله بشعبه (خروج ٣٢)

ورغم كل هذا : " لأنك أنت شعبٌ مقدّس للرب إلهك.إياك قد اختار الربُ إلهك لتكون له شعبا أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض(!!)..التصق الرب بكم واختاركم (تثنية ٧) أى رب حقير هذا الذى التصق بشعب ملعون وقدّسه.

والزنابير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم حتي يفنى الباقون..(! !) (تثنية ٧)

وبعد أن سكر الأنبياء السابق ذكرهم يأتى ملاك الرب لامرأة مَنُوح وكانت عاقرا فيبشرها : "ستلدين ابنا.والآن فاحذرى ولا تشربى خمرا ولا مُسكِرا.. إنك تحبلين وتلدين ابنا لا يعلُ موسى رأسه (يعنى لا يطاوله موسى فى مقامه !) وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين (أيضا) ينصح ملاك الرب منوّح بمثل ما نصح الزوجة ألا تشرب خمرا ولا مسكرا..سأل مَنُوح ملاك الرب عن اسمه فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب.فأخذ مَنُوح جدى معـــزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب. فعمل عملا عجيبا ومَنُوحُ وامرأته ينظران. فكان عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح....فقال منوّح لامرأته نموت موتا لأننا قد رأينا الله.. ولدت المرأة ابنا ودعت اسمه شمشون..فكبُرَ الصبى وباركه الرب (قضاة ١٣) فهل حُرّمت الخمر على عهد شمشون ؟ ونظل مع شمشون هذا : "ثم ذهب شمشون إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها.. وأحاط الغزيين وكمنوا له الليل كله "(قضاة ١٦) وما هو الدور الذى من أجله بشّر ملاك الرب أو الرب أمه بألا تشرب مسكرا، وهو يبيت عند زانية.

أيضا الخمر محرمة فى عهد إشعياء: ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر، للمتأخرين فى العتمة تلهيهم الخمر، وصار العود والرباب والدف والناى والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمليديه لا يرون. لذلك سُبِيَ شعبى لعدم المعرفة..(إشعياء٥).

" ويل للأبطال على شرب الخمر. ولذوى القدرة على مزج المسكر.." (إشعياء٦)

وفى عهد صموئيل : "وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا : " ندِمْتُ على أنى جعلتُ شاؤل ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يُقِمْ كلامى..." (!) (صموئيل الأول ١٥)

وفى " صموئيل الثانى ينسى الرب أنه وعد داود قائلا : " أقيم بعدك نسلك

الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته.هو يبنى بيتا لإسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد.أنا أكون له أبا وهو يكون لى إبنا... ورحمتى لا تُنزَع منه كما نزعتُها من شاؤل. ويأمنُ بيتُك ومملكتُك إلى الأبد أمامَك. كرسيُك يكون ثابتا إلى الأبد. (صموئيل الثانى ٧)

وفى صموئيل الثانى أيضا كتبوا : " كان لأبشالوم بن داود أخت جميلة اسمها ثامار فأحبها أمنون بن داود (يعنى أبشالوم وثامار من أم، وأمنون من أم أخرى) وأحْصِرَ أمنون لسقمٍ من أجل ثامار (مَرِضَ بسبب الحب) لأنها كانت عذراء وعُسِرَ فى عينَىْ أمنون أن يفعل لها شيئا قال أمنون لثامار : آتيتى بالطعام إلى المخدع فآكُلُ من يدِك.فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع وقدّمت له ليأكل فأمسكها وقال لها اضطجعى معى يا أختى. فقالت له لا يا أخى لا تذلنى لأنه لا يُفعل هكذا فى إسرائيل. لا تعمل هذه القباحة. أما أنا فأين أذهب بعارى وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء فى إسرائيل. والآن كلّم الملك (تقصد نبى الله داود أبوهما) لأنه لا يمنعنى منك. (؟) فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها. ثم أبغضها أمنون بغضَة شديدة جدا كانت أشد من المحبة التى أحبها إياها. وقال لها : قومى انطلقى فقالت له لا سبب. هذا الشر بطردك إياى هو أعظم من الآخر الذى عملته بى.. فدعا غلامه الذى يخدمه وقال اطرد هذه عنى خارجا وأقفِل الباب وراءها فجعلت ثامار رمادا على رأسها ومزقت ثوبها وكانت تذهب صارخة. فقال لها أبشالوم أخوها هل كان أمنون أخوكِ معكِ. فالآن يا أختى اسكتى. أخوك هو. لا تضعى قلبكِ على هذا الأمر. ولما سمع الملك

داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جداً، وبعد سنتين كان لأبشالوم جزازون (يجزون الصوف عن الغنم) فدعا أبشالوم الملك وكل الأسرة وألحّ فى دعواه (ومن ضمنهم أمنون) فأوصى أبشالوم غلمانه بأن : إذا طاب قلب أمنون بالخمر وقلت لكم اضربوا أمنون فاقتلوه. لا تخافوا. أليس أنى أمرتكم. فتشددوا وكونوا ذوى بأس ففعلوا غلمان أبشالوم بأمنون كما أمر. فقام جميع بنى الملك وركبوا كل واحد على بغله وهربوا...وجاء بنو الملك ورفعوا أصواتهم وبكوا وكذلك بكى الملك وعبيده بكاء عظيما. وهرب أبشالوم وناح داود على ابنه الأيام كلها.. (صموئيل الثانى ١٣)

وفاة نبي الله سليمان : (٨١)

" فلما قضينا عليه الموتَ ما دلــّهم علي موته إلا دابةُ الأرض تأكلُ مِنسأتَه فلما خرّ تبيّنَتْ الجن أنْ لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا فى العذاب المُهين" (١٤سبأ)

دخل نبي الله سليمان محرابة للصلاة فوقف متكأ على عصاه فقبضه ملك الموت وظل هكذا حَوْلا ولا تعرف الجن أنه قــُبضَ حتى أكلتْ حشرة الأرضة الطرف السفلى من العصا فقصرت فوقع جثمانُه، عندئذ تبينت الجن أنهم لم يكونوا يعلمون الغيب.

أتم تجديد بيت المقدس فى أربع سنوات من بداية ملكه، ومات عن نيف وخمسين عاما ثم ملك من بعده ابنه "رحبعام" وفى عهده تفرقت بنو إسرائيل وعبدوا الأوثان.

– النبي شعيا بن أمصيا (إشعياء بن آموص) ومعنى الإسم الرب يخلص (٨٢)

اسمعى أيتها السموات وأصغى أيتا الأرض لأن الرب يتكلم. ربّيْتُ بنين ونشّأتهم. أما هم فعصوا عليّ. الثور يعرف قانيه والحمارُ مَعلَفَ صاحِبِهِ. أما إسرائيلُ فلا يعرف. شعبى لا يفهم. ويلٌ للآمّةِ الخاطئة الشعب الثقيل الإثم نسل فاعلى الشر أولادِ مفسدين تركوا الرب استهانوا بقدوس إسرائيل ارتدّوا إلى وراء.(إشعيا ١)

شعيا بن أمصي (إشعياء بن آموص) وهو ممن بَشر بعيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم،(فاسمعوا) : " هوذا عبدى الذى أعضده مختارى الذى سُرّت به نفسي.وضعْتُ روحى عليه فيُخرجُ الحق للأمم.لا يصيحُ ولا يرفع ولا يُسمعُ فى الشارع صوتُه.قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة خامدةُ لا يطفئ. إلى الأمان يُخرجُ الحق. لا يملُّ ولا ينكسرحتى يضعَ الحق فى الأرض وتنتظر الجزائرُ شريعته ". "هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الأرض ونتائجها معطى الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا". "أنا الرب هذا إسمى ومجدى لا أعطيه لآخر ولا تسبيحى للمنحوتات..." (إشعياء ٤٢)

ويُدرك النبى شعيا (إشعياء) حقيقة الإله الواحد الأحد : " أنا صنعت الأرضَ وخلقت الإنسان عليها.يداىَ أنا نشرتا السموات وكلّ جندَها أنا أمرتُ...إليكِ يتضرعون قائلين فيكَ وحدك.الله وليس آخر.

حقا أنت إله" محتجبٌ يا إله إسرائيلِ المخلص.... هو الله مصوّر الأرض

وصانعها. هو قررها. لم يخلقها باطلا. للسكن صوّرها. أنا الرب وليس آخر. أنا الرب متكلم بالصدق مُخبِرٌ بالاستقامة..بذاتي أقسمتُ خرج من فمي الصدقُ كلمةً لا ترجع إنه لي تجثو كلُّ ركبة يحلف كلُّ لسان (إشعياء٤٥)

الذين يُفرغون الذهبَ من الكيس والفضة بالميزان يزنون يستأجرون صائغا ليصنعها إلها يخرّون ويسجدون. يرفعونه على الكتف. يحملونه ويضعونه في مكانه ليقف. من موضعـــه لا يبرح. يزعق أحدٌ إليه فلا يجيب. من شدّته لا يخلصه.

أنكروا هذا وكونوا رجالا. رددوه في قلوبكم أيها العُصاةُ. أذكروا الأوليات منذ القديم لأني أنا الله وليس آخر. مُخبِرٌ منذ البدء بالأخير ومنذ القديم بما لم يُفعل.. (إشعياء ٤٦)

" اسمع لي يا يعقوب وإسرائيل الذي دعوته. أنا هو.أنا الأول وأنا الآخر. ويدي أسست الأرض ويميني نشرتْ السموات. أنا أدعوهن فيقفن معا. اجتمعوا كلكم واسمعوا. مَن منهم أخبر بهذه..."(إشعياء ٤٨)

كان في عهده ملك يدعى " حزقيا" على بني إسرائيل ببلاد بيت المقدس وكان الملك حزقيا سامعا مطيعا للنبي شعيا وكانت الأحداث قد عظمت في بني إسرائيل، وقصد بيت المقدس ملك بابل ويدعى "سنـْحاريب" على رأس جيش قوامه ستمائة راية وفزع الناس فزعا شديدا، ونزل الوحي علي النبي شعيا (إشعياء) بالأمر للملك حزقيا أن يستخلف على ملكه فقد اقترب أجله، فصلى ودعا وبكى وتضرع إلى الله عز وجل بقلب مخلص: "اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا رحمن يا رحيم يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلمي وفعلي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كان منك فأنت أعلم به من نفسي، سري وإعلاني لك". فاستجاب الله له ورحمه، وأوحى الله إلى شعيا (إشعياء) يبشره بأن الله قد رحم بكاءه وقد أخـَّر في أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه "سنحاريب" فلما علم بذلك دعا يقول : " اللهم أنت الذي تعطي المُلك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتُعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين" فأرسل الله على جيش سنحاريب الموت فأصبحوا وقد هلكوا جميعا ما عدا سنحاريب وخمسة من أصحابه منهم "بُخـْتْ نـَصَّر" فاعتقلهم ملك بني إسرائيل وأودعهم السجن وقتا ثم أرسلهم إلى بلادهم لينذروا قومهم، ثم مات سنحاريب، ولما مات

حزقيا ملك بنى إسرائيل فشا أمرهم واختلطت أحداثهم وكثر شرّهم، فأوحي الله إلي شعيا (إشعياء) فقام يوعظهم وذكــّرهم وأخبرهم عن الله بما هو أهله وأنذرهم بأسه وعقابه إن خالفوا. فلما فرغ عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخلها وأدركه الشيطان فأخذ بهدبة ثوبه فأبرزها فلما رأوها نشروا الشجرة ومن فيها بالمنشار.

٩ــ النبي أرميا بن حلقيا من سبط لاوي (٨٣) (إرميا ومعنى الإسم بالعبرية : الإله يرفع أو يُعلِي)

وقف آرميا (إرميا) على دم يحيي بن زكريا وهو يفوربدمشق فقال : أيها الدم فتنت الناس فاسكن، فسكن ورسب حتى غاب (*)

قال أرميا (إرميا): "أي ربِّ، أى عبادك أحب إليك" قال : "أكثرهم لي ذكرا، الذين يشتغلون بذكرى عن ذكر الخلائق ولا تعرض لهم وساوس الفناء، وإذا عرض لهم عيش الدنيا قلــّوه، وإذا زوى عنهم سرّوا بذلك، أولئك أنحلهم محبتى وأعطيهم فوق غاياتهم".

"وآتينا موسي الكتاب وجعلناه هدي لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا. ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا. وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدُنّ في الأرض مرتين ولتعلــُنّ علوا كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا" (١ــ ٥ الإسراء)

بعث الله أرميا حين كثرت أحداث بنى اسرائيل وعظمت شرورُهم : "أنْ قم بين ظهرانى قومك وأخبرهم أن لهم قلوبا ولا يفقهون وأعيُنا ولا يبصرون وآذانا ولا يسمعون وسلــْهم كيف وجدوا غب طاعتى وهل سعِد أحد بمعصيتى ممن عصانى وهل شقى أحد بطاعتى ممن أطاعونى إنّ هؤلاء القوم تركوا الأمر الذى أكرمت عليه آباءهم والتمسوا الكرامة من غير وجهها، فأحبارهم أنكروا حقى، وقرّاؤهم عبدوا غيرى، ونـــُسّاكهم لم ينتفعوا بما عُلموا، وولاتهم كذبوا علىّ وعلى رسلي، خزنوا المكر فى قلوبهم، وعوّدوا الكذبَ ألسنتَهم، وعزتي وجلالى لأهيّجنّ عليهم جيــولا لا يفقهون ألسنتهم، ولا يعرفون وجوههم، ولا يرحمون بكاءهم، ولأبعثنّ فيهم ملكا جبارا له عساكر كقطع السحاب، ومواكب أمثال الفجاج، يعيدون العمران خرابا، فيا ويل "أورشليم" كيف أذللهم للقتل وأعيد بعد لجُب الأعراس صىراخا، وبعد صهيل الخيل عواء الذئاب،

وبالعز ذلا، وبالنعمة العبودية، وأبدلن نساءهم بعد الطيب التراب، ولأجعلن أجسادهم زبلا للأرض ثم لآمرنّ السماء فتكون طبقا من حديد والأرضَ سبيكة من نحاس فإن أمطرت لم تنبت الأرض وإن أنبتت شيئا فبرحمتى للبهائم فإن زرعوا شيئا سلطتُ عليه الآفة فإن خلـُص منه شئ نزعت منه البركة فإن دعونى لم أجبهم وإن سألوا لم أعطهم وإن بكوا لم أرحمهم وإن تضرعوا صرفت وجهى عنهم ".

خراب بيت المقدس : (الإخراج أو النفى الجماعى) (٨٤)

كان الخروج أو (الهروب) من مصر بقيادة نبى الله موسى فى عهد الملك رعمسيس الثانى وهذا هو الإخراج أو النفى من بيت المقدس :

طمّع الله فيهم "بُخـْتَ نـَصّرْ" وقذف فى قلبه وحدّث نفسه بالسير اليهم لمّا أراد الله ان ينتقم منهم - فأوحى الله الي أرميا: انى مُهلك بنى اسرائيل ومنتقم منهم فقم علي بيت المقدس يأتيك أمرى ووحيى، فعظم حزنه لله وقال يارب من تسلط عليهم قال : "عَبَدة النار لا يخافون عقابى ولا يرجون ثوابى فقم مع الملك تسدده وترشده واقصص عليهم ما آمرك به وقل لهم ان الله ذكّركم بصلاح آبائكم • وهم زلقوا فى مروج الهلكة وتركوا الأمر الذى به أكرمتُ آباءهم، أما أحبارهم ورهبانهم فأنكروا حقى ويعملون بغير كتابي، وأما ملوكهم فبطروا نعمتى وأمنوا مكرى، وأما قراؤهم فيدرسون ما يتخيرون فينقادون للملوك فيتابعونهم على البدع التى يبتدعونها فى ديني، أما أولاد النبيين فمقهورون يخوضون مع الخائضين يتمنون مثل نصرى آباءهم والكرامة التى أكرمتهم بها، فوعزتى وجلالى لأعطلنّ بيوتهم من كتبى وقدسى، ولأخليَنّ مجالسهم من حديثها، ولأوحشنّ مساجدهم من عمّارها وزوّارها الذين كانوا يتزينون بعمارتها لغيرى، ولأبدلنّ ملوكها بالعز ذلا، وبالأمن الخوف، وبالغني الفقر، وبالنعمة الجوع وبطول العافية والرخاء أنواع البلاء، وبلباس الديباج والحراير مدارع الوبر، وبالأرواح الطيبة والأدهان جيَفَ القتل، وبلبس التيجان أطواق الحديد والسلاسل والأغلال، وبعد ضوء السُرُج دخان الحريق وبعد الأنس الوحشة والقفار، ثم لأبدلنّ نساءهم بالأسورة الأغلال، وبقلائد الدر والياقوت سلاسل الحديد، وبالخدور السفور، إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمرى.

فقال أرميا : يارب إتخذت إبراهيم خليلا وحفظتنا به، وموسى قرّبته نجيا

فنسألك أن تحفظنا ولا تتخطفنا ولا تسلط علينا عدونا. فأوحى الله إلي أرميا :"إنْ قومك حفظوا اليتامى والأرامل والمساكين وابن السبيل لمكـّنت الداعم لهم". فلما بلغهم أرميا رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعقاب عصوه وكذبوه واتهموه وقالوا: (كذبتَ وأعظمتَ علي الله الفرية واعتراك الجنون) وأخذوه وقيدوه وسجنوه، وعند ذلك بعث الله عليهم " بُخـتْ نـصّرْ " فأقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم فكان كما قال تعالي : (فجاسوا خلال الديار) ففتحوا الأبواب وتخللوا الأزقة وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث وسبيَ الثلث وترك الشيوخ والعجائز ثم وطئهم بالخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان وأوقف النساء في الأسواق حاسرات وقتل المقاتلة وخرّب الحصون وهدم المساجد وأحرق التوراة وقذف الكناسة والقمامة فى بيت المقدس وذبح فيه الخنازير ووطئ الشام كلها وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم فلما فرغ انصرف راجعا وحمل الأموال وساق السبايا من أبناء الأحبار والملوك وانطلق حتى قـدم أرض بابل فلما فعل ما فعل قيل له : كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم فسجنوه، فأخرجه وقال : (بئس القوم قوم كذبوا نبيهم) فخيّره "بُخـتْ نـصّر" بين الإقامة مكانه أو الحضور إلى أرض بابل – ففضل الاقامة مكانه بأرض "ابيت المقدس" وهو أرميا (إرميا) .

ومن ذلك الزمان تفرقت بنو اسرائيل فى البلاد : فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة يثرب وطائفة وادى القرى، وشرذمة الى مصر.

من مراثى إرميا :

أذكر يارب ماذا صار لنا.أشرفْ وانظرْ إلى عارنا. قد صار ميراثنا للغرباء. بيوتنا للأجانب. صرنا أيتاما بلا أب. أمهاتنا كأرامل. شربنا ماءنا بالفضة، حطبُنا بالثمن يأتى. على أعناقنا نُضطهَد. نتعب ولا راحة لنا. أعطيْنا اليد للمصريين والأشوريين لنشبع خبزا. آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم. عبيدٌ حكموا علينا. ليس من يُخلص من أيديهم. بانفسنا نأتى بخبزنا مِنْ جرَى سيفـِ البرية. جلودنا اسودّت كتنور من جرَى نيراع الجوع. أذلوا النساء فى صهيون (جبل صهيون) العذاري فى مدن يهوذا. الرؤساء بأيديهم يُعلّقون ولم تُعتبَر(توقر) وجوه الشيوخ. أخذوا الشبّان للطحن والصبيان عثروا تحت الحطب (تعثّروا من جرّاء الحمل الثقيل)..صار رقصنا نوْحا سقط إكليل رأسنا. ويل لنا لأننا قد أخطأنا. من أجل هذا حزن قلبنا (حزنت قلوبنا). من أجل

هذه أظلمت عيوننا. أنت يا رب إلى الأبد تجلس. كرسيك إلى دور فدور. لماذا تنسانا إلى الأبد وتتركنا طول الأيام. ارددنا يارب إليك فنرتد. جدد أيامنا كالقديم. هل كل الرفض رفضتنا. هل غضبت علينا جدا." (مراثى ارميا ٥)

١٠ - نبى الله دانيال (ومعناه فى العبرية : الإله يحكم أو يقضى) (٨٥)

كان دانيال فى شبابه زمن أن سار ملك الكلدانيين من بابل إلى بيت المقدس فدخلها واستولى من ما فيها وقتل وحرق وأخذ والسبايا وعاد بهم، وانتقى من ضمن السبايا شبابا وأمر بتعليمهم اللغة الكلدانية، وأثناء ذلك رفض دانيال وثلاثة من رفاقه تناول الخمر المقدمة مع الطعام.

رأى " نبوخذ نصّر " أحلاما مزعجة وحار فيها الحكماء، فرواها وفسّرها له دانيال فعرف الملك ما سيكون من شأن مملكته مستقبلا وسجد الملك لدانيال وأمر بأن يكون مقربا إليه. وتكرر ذلك فى رؤيا مرة ثانية ففسّرها له دانيال.

أيضا فى عهد الملك "بيلشاصر" بن نبوخذ نصّر" الذى رأى رؤيا حار فيها الحكماء وفسرها له دانيال فأمر بأن يرتدى دانيال الأرجوان وقلادة الذهب.

وفى عهد الملك داريوس صار وزيرا (عودة إلى قصة نبى الله يوسف وتفسير حلم ملك مصر وتولى منصب وزير) وبسبب صلاته لله فقط أوعز المقربون من الملك أن هذا الذى من (بنى سبى) لا يتقرب إلى الملك وأن هذا مخالف لشريعتهم التى لا تتغير، والمخالف يُلقى فى جُب الأسُود) فأحضروا دانيال وطرحوه فى جُب الأسود وقال الملك له : إن إلهك الذى تعبده دائما هو ينجيك، وأتى بحجر ووضعه على فم الجب وختمه وفى الصباح بكّر الملك ليرى، ونادى : يا دانيال عبد الله الحى هل إلهُك الذى تعبده دائما قدِرَ على أن ينجيك من الأسود ؟ " فردّ دانيال من قعر الجب قائلا : " ان إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرنى لأنى وُجِدْتُ بريئا قدّامه وقدّامك أيضا أيها الملك، حينئذ فرح الملك وأمر أن يُصعد دانيال، فكتب داريوس الملك : " من قِبَلى صدر أمرٌ بأنه فى كل سلطان مملكتى يرتعدون ويخافون قُدّام إله دانيال لأنه هو الإله الحى القيوم إلى الأبد وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجّى وينقذ ويعمل الآيات والعجائب فى السموات وفى الأرض. هو الذى نجّى دانيال من يد الأسُود. دانيال : اصحاح١ : ٦)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن دانيال دعى ربه عز وجل أن تدفنه أمة محمد" فلما فتح أبو موسى الأشعرى مدينة "تِستَر" فى بلاد الفرس

وجده في تابوت تضربُ عروقـُـه ووريده وهو مسجّىَ على سرير وكان الفرس إذا امتنع عنهم المطر برزوا بسريره فيُمطرون بكرامته وببركته (!) وقد ظل كذلك ثمانمائة سنة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : "من دلّ علي دانيال فبشروه بالجنة " فكان الذى دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر ابن الخطاب يخبره فكتب له عمر أنْ ادفنه وابعث إليّ حرقوص فإن النبى صلي الله عليه وسلم بشره بالجنة .

عمارة بيت المقدس بعد خرابها : (٨٦)

قال الله تعالى : " أو كالذى مرّ على قريةٍ وهى خاوية على عروشها قال أنىَ يحيي هذهِ اللهُ بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ قال لبثتُ يوما أو بعض يومٍ قال بل لبثتَ مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه وانظرْ إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف نُنشِزُها ثم نكسوها لحما فلما تبيّن له قال أعلمُ أن الله على كل شئ قديرٌ (٢٥٩ البقرة)

أوحي الله إلى أرميا " **إرميا بن حلقيا** " : "أني عامرُ بيت المقدس فاخرج" فخرج حتى قدِمَها وهي خراب فقال في نفسه : "إن هذه البلدة أخبرنىَ الله أنه عامرها ومتى يحييها الله بعد موتها" ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلة طعامه فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بخت نـَـصّر" والملك الذى فوقه " وهو لهراسب " وكان مُلكه لمدة طويلة جاء بعده ولده "بشتاسب" وبلغه عن بلاد الشام أنها خراب وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين فلم يبق بها من الإنس أحدٌ فنادى فى أرض بابل في بنى إسرائيل أنّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع وملـــّـك عليهم رجلا من آل داود وأمره أن يعمُر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها وفتح الله لأرميا عينيه فنظر إلى المدينة كيف تُبنى وكيف تعمر ومكث في نومه ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة وقد عهد المدينة خرابا فلما نظر إليها عامرة آهلة قال : "أعلم ان الله على كل شئ قدير".

وأقام بنو إسرائيل بها وردّ الله عليهم أمرَهم فمكثوا كذلك حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف.

١٠ - قصة العُزيــر : (عَزرَا) (٨٧)

(هو عَزرَا بن سرايا بن عزريا بن حلقيا بن شلوم بن صادوق) من نسل

هارون، وكان من أهل السبى إلى بابل. وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى، وقد سأل ملك فارس العودة فأعطاه سؤله، وأطلق ملك بابل نداء فى كل مملكته : " الرب إله السماء أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا. من منكم من شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم فيبنى بيت الرب إله إسرائيل. وكل من بقى فى أحد الأماكن حيث هو متغرب فلْيُنْجِدْه أهل مكانه بفضة وبذهب، وبأمتعة وببهائم مع التبرع لبيت الرب الذى فى أورشليم."(عزرا ٧)

صعد عزرا الكاهن الرأس وأعطاه الملك كل سؤله حسب يد الله الصالحة عليه لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها ولِيُعلّم إسرائيل فريضة وقضاء. ومعه صورة الرسالة التى أعطاها له الملك. وهم معفون من الجزية والخراج والخفارة (الحراسة). أما أنت يا عزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب وأمرٌ إلى ولاة الأقاليم المجاورة بالمساعدة بالفضة والحنطة والزيت والملح والخمر بدون تقييد. وصعد معه رؤوس آباء القبائل مع كل من نبّه الله روحه ليصعد ليبنوا بيت الرب. وكل الذين حولهم أعانوهم بآنية فضة وبذهب وبأمتعة وبهائم وتحف ".

وأخرج الملك آنية بيت الرب التى سبق أن أخرجها بخت نصّر من أورشليم وقت السبى وتحوى أعدادا من أوانى الذهب والفضة، يقول عزرا: " مبارك الرب إله آبائنا الذى جعل مثل هذا فى قلب الملك لتزيين بيت الرب. وقد بسط علىّ رحمة أمام الملك ومشيريه، لأننا كلمنا الملك قائلين : إن يد إلهنا على كل طالبيه للخير.وصولته وغضبه على كل من يتركه. فصمنا وطلبنا ذلك من إلهنا فاستجاب لنا.فصعدوا من بلاد فارس عائدين إلى ديارهم وأقاموا فى مدنهم وتبرعوا لاقامة بيت الرب حسب طاقتهم. واجتمعوا كرجل واحد إلى أورشليم. وقام يشوع بن يوصاداق وإخوته والكهنة وبنوا مذبح إله إسرائيل ليُصعِدوا عليه محرقات كما فى شريعة موسى رجل الله. وأقاموا المذبح فى مكانه ولم يكن هيكل الرب قد تأسس فأعطوا للنحّاتين والنجارين فضة ومأكلا ومشربا، وللصيدونيين ليأتوا بخشب الأرز حسب إذن ملك فارس لهم.

وفى عهد الملك داريوس أمر بتركهم يكملون البناء ويساعدوهم بالمساعدات السابقة "ولتعطَ لهم حسب قول الكهنة ليتمكنوا من تقريب روائح سرور لإله السماء والصلاة لأجل حياة الملك وبنيه. وقد صدر منى أمرٌ أن كلَ إنسانٍ يغيّر هذا تُسحب خشبة من بيته ويعلق عليها....أنا داريوس قد أمرتُ

فليُنفذ عاجلا "..فبنوا واكتمل البيت.

لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضي حسب رجاساتهم لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم واختلط الزرع المقدس بشعوب الأراضي وكانت يد الرؤساء والولاة في هذه الخيانة. يقول عزرا: فلما سمعت بهذا الأمر مزقت ثيابي وردائي ونتفت شعر رأسي وذقني وجلست متحيراز فاجتمع لديّكل من ارتعد من كلام إله إسرائيل من أجل خيانة المسبيين، وقمت من تذللي وفي ثيابي وردائي الممزقة جثوت على ركبتي وبسطت يديّ إلى الرب إلهي وقلت: " اللهم إني أخجل وأخزى من أن أرفع يا إلهي وجهي نحوك لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤسنا وآثامنا تعاظمت إلى السماء. منذ أيام آبائنا نحن في إثم عظيم إلى هذا اليوم ولأجل ذنوبنا قد دفعنا نحن وملوكنا وكهنتنا ليد ملوك الأراضي للسيف والسبي والنهب وخزي الوجوه كهذا اليوم. والآن كلحَيْظَةٍ كانت رأفة من لدن الرب إلهنا ليبقي لنا نجاة ويعطينا وتدا في مكان قدسه لينير إلهُنا أعينَنا ويعطينا حياة قليلة في عبوديتنا. لأننا عبيدٌ وفي عبوديتنا لم يتركنا إلهُنا بل بسط علينا رحمة أمام ملوك فارس ليعطينا حياة لنرفع بيت إلهنا ونقيم خرائبه.. ماذا نقول يا إلهنا وقد تركنا وصاياك التي أوصيت بها عن يد عبيدك الأنبياء قائلا إن الأرض التي تدخلون لتمتلكوها هي أرض متنجسة بنجاسة شعوب الأراضي التي ملأوها بها من جهة إلى جهة فلا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم للأبد لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض وتورّثوا بنيكم إياها إلى الأبد. وبعد كل ما جاء علينا لأجل أعمالنا الرديئة وآثامنا العظيمة لأنك قد جازيتنا يا إلهنا أقل من آثامنا وأعطيتنا نجاة كهذه. أفنعود ونتعدى وصاياك ونصاهر شعوب هذه الرجاسات. أما تسخط علينا حتى تفنينا فلا تكون بقية ولا نجاة ." (عزرا ٩)

فلما صلى عزرا واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جدا من الرجال والنساء والأولاد وبكى الشعب هناك بكاء عظيما.

وأجاب أحد الحضور : إنا قد خنا إلهنا واتخذنا نساء غريبة من شعوب الأرض. والآن يوجد رجاء لإسرائيل في هذا. فلنقطع الآن عهدا مع إلهنا أن نُخرجَ كلّ النساء والذين وُلِدُوا منهن حسب مشورة سيدي والذين يخشون وصية إلهنا وليعمل حسب الشريعة. قم فإن عليك الأمر ونحن معك، تشجع وافعل.

قام عزرا واستحلف رؤساء الكهنة واللاوين وكل إسرائيل أن يعملوا حسب هذا الأمر فحلفوا فقام عزرا وأطلقوا نداء فى يهوذا وأورشليم إلى جميع بنى السبى لكى يجتمعوا فى خلال ثلاثة أيام.. فاجتمع كل رجال يهوذا وبنيامين فى الموعد وجلس جميع الشعب فى ساحة بيت الله مرتعدين من الأمر ومن الأمطار. فقام عزرا الكاهن وقال لهم. إنكم قد خنتم واتخذتم نساء غريبة لتزيدوا على إثم إسرائيل. فاعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا لمرضاته وانفصلوا عن شعوب الأرض وعن النساء الغريبة. فأجاب كل الجماعة وقالوا بصوت عظيم كما كلمتنا كذلك نعمل. إلا أن الشعب كثير والوقت وقت أمطار ولا طاقة لنا على الوقوف فى الخارج والعمل ليس ليوم واحد أو اثنين، فليأتوا فى أوقات معينة ومعهم شيوخ مدينة فمدينة. حتى يرتد عنا حمو غضب إلهنا..

وفى اليوم التالى وُجد من الكهنة من اتخذ نساء غريبة من بين يشوع بن يوصاداق وإخوته وآخرين كثير ومنهن نساء قد وضعن بنين. (عزرا ١٠)

١٢ - قصة زكريا ويحيي (٨٨)

النبى زكريا عليه السلام من نسل سليمان بن داود، قال تعالى : " ذِكْـرُ رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا" (٣ مريم) وتتداخل قصتى نبى الله زكريا مع يحيا فى سياق واحد فتبدأ بمشهد الدعاء فى ضراعة وفى الخفاء وبدون حرف نداء يا فقال " رب"، إن ربه يسمع ويرى،يشكو زكريا إلى ربه : " وهن العظم " أى ضعف ـــ الذى هو قوام الجسم البشرى وأصلب شئ فيه، وانتشر بياض الشعر بدل سواده، صورتان تدلان على الشيخوخة، ويعقب : وأعترف بأن الله عودنى على الاستجابة فيما مضى والآن فأنا أحوج ما أكون إليها.

أمنًا وقد صوّر حاله وقدّم رجاءه..ذكر ما يخشاه، وعرض ما يطلبه،يخشى على الدعوة من بعده أن تضمحل وألا يسيروا على نهجه من بعده لأنه يعهدهم غير صالحين للقيام بذلك، ويطلب الولى الصالح ليتحمل عبء الدعوة ويواصل حمل الأمانة، فترتسم لحظة الاستجابة فى رعاية وعطف ورضى، فالرب ينادى عبده من الملأ الأعلى : " يا زكريا "ويعجل له البشرى " إنا نبشرك بغلام "، ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام وهو غير مسبوق..هذا الفيض من الكرم الإلهى يغدقه على عبده .

يفيق زكريا من غمرة الرغبة وحرارة الرجاء على هذه الاستجابة القريبة

لدعائه فإذا هو يواجه الواقع : كيف.. ؟ فيأتيه الجواب أن هذا هيّن على الخالق الذي أوجده هو بعد أن كان لاشئ. ومع ذلك فإن لهفته على الطمأنينة تدفع به أن يطلب علامة على تحقق البشرى، فأعطاه ربه آية : أن ينقطع عن دنيا الناس ويعيش في ذكر الله ثلاث ليال. ينطلق لسانه إذا سبّح ربه فيشير إلى قومه أن سبحوا..ونُطوَى صفحة زكريا لتُفتحَ صفحة جديدة..

١٣ ــ النبى يحيى بن زكريا : (٨٩)

يا يحيى خذ الكتاب بقوة "، إن مشهد النداء رائع يدل على مكانة يحيى عند خالقه، وعلى سرعة استجابة الله تعالى لعبده زكريا، وأول موقف ليحيى، ليحمل تبعات الدعوة وينهض بالأمانة حال صباه ــ وهى حالة تفرّد بها نبى الله يحيى عن باقى الأنبياء من قبل ولذا فقد وهبه الله الحكمة " وآتيناه الحكم صبيا " (فهل كان ذلك ليطمئن زكريا ؟ فلن ينتظر حتى يبلغ الثلاثين أو الأربعين سنة التى هى سن تكليف الأنبياء.؟) والكتاب هنا هو التوراة كتاب بنى إسرائيل من بعد موسى، وعليه كان يقوم أنبياؤهم يعلمون به ويحكمون، وقد ورث يحيى أباه زكريا ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانة مزودا بالحكمة، فكان فذا فى زاده كما كان فذا فى إسمه وميلاده وآتاه الطهارة والعفة ونظافة القلب والطبع " وكان تقيا ". ويُسدل الستار على يحيى كما أسدل من قبل على زكريا،..

والآن..إلى قصة أعجب وأشد، إنها قصة ميلاد عيسى، فإذا كان وجه العجب فى الأولى هى ولادة العاقر من زوجها الشيخ، إلى الثانية ووجه العجب فيها هى ولادة العذراء من غير زوج !!!

بيان قتل يحيي : (٩٠)

ذكروا في قتله أسبابا عدة أشهرها أن أحد ملوك دمشق أراد الزواج من بعض محارمه ممن لا يحل له تزويجها منه فنهاه يحيى عليه السلام عن ذلك فبقى فى نفسها منه، أستوهبت من الملك دم يحيى وبعثت إليه من يقتله ويحضر لها رأسه على (صينية) ويقال أنها حين رأت ذلك المشهد هلكت من فورها وساعتها ٠(*) وقيل : بل أحبّته زوجة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها فلما يئست منه تحايلت أن تستوهب دمه من الملك فتمنــع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعثت مَن قتله وأحضر لها رأسه ودمه وهناك أقاويل أخري عديدة.

١٤ - قصة مريم :

مريم ابنة عمران من نسل سليمان بن داود كان أبوها عمران صاحب

صلاة (إمام) فى زمانه وأمها حنــة من العابدات - وكانت لا تحبل فرأت طائرا يزقّ فرخا فاشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلن ولدها حبيسا فى خدمة بيت المقدس، وكانوا فى ذلك الزمان ينذرون للبيت خدّاما من أولادهم. وهبّت لم مريم مريمَ إلى البيت وسلمتها إلى العُبّاد (لتخدم فى البيت من تنظيف وما شابه) وهى بنت إمامهم وصاحب صلاتهم واختص بالإشراف عليها زكريا، لأن القرعة المتكررة ثلاثا أيّدته إذ كان أحق بها شرعا حيث كانت زوجة زكريا أخت حنة أو خالتها."يا مريمُ إن الله اصطفاكِ وطهّركِ واصطفاكِ علي نساء العالمين" (٤٢ آل عمران)

اتخذ لها زكريا مكانا من المسجد لا يدخله سواه فكانت تعبد الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سِدانة البيت وتقوم بالعبادة (٩١)، فتاة عذراء قدّيسة وهبتها أمها لخدمة المعبد لا يعرف عنها أحد إلا الطهر والعفة ولأسرتها إلا الطيبة والصلاح، تخلو إلى نفسها لشأن من شئونها، مطمئنة فى انفرادها بنفسها وتفاجأ مفاجأة عنيفة، إنه رجل مكتمل سويّ " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا "وهى تنتفض مذعورة تلجأ إلى الله تستعيذ به وتستنجد به، وتستثير مشاعر التقوى فى الرجل والخوف من الله والتحرج من رقابته فى هذا المكان الخالى " قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا " فالتقى ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، " قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " ولنا أن نتخيل مقدار الفزع والخجل، وهذا الرجل السوى الذى لم تثق بعد بأنه رسول ربها فقد تكون حيلة.... وهذه هى الهزة الثانية وتدركها شجاعة الأنثى فتسأل فى صراحة كيف ؟ " أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا " وهى لم تتصور وسيلة أخرى لأن يهبها غلاما إلا الوسيلة المعهودة وهذا هو الطبيعى بحكم التصور البشرى "قال كذلك قال ربك ولنجعله آية للناس ورحمة منا " أمر خارق لا تتصور مريم وقوعه، هيّن على الله سبحانه (بين الكاف والنون) وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس وعلامة على وجوده وطلاقة قدرته..انتهى أمره وتحقق وقوعه " وكان أمرا مقضيا".

وتمضى القصة فى مشهد جديد أشد هولا : " فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مِت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ".. وهى الآن وشيكة أن تواجه المجتمع بالفضيحة فتمنّت لو كانت شيئا غير ذى بال. " فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتكِ سريا وهزى

إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرّى عينا فإما ترينّ من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا "

يالله ! طفل وُلد اللحظة يناديها من تحتها يُطمئن قلبها ويصلها بربها ويرشدها إلى طعامها وشرابها ويدلها على حجتها وبرهانها فهل، دهشت طويلا وبهتت قبل أن تمد يدها إلى جذع النخلة، ثم أفاقت فاطمأنت إلى أن الله لا يتركها، وأن حجتها معها، هذا الطفل الذى ينطق فى المهد فيكشف عن الخارقة التى جاءت به إليها (٩٢)

١٥ – ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم البتول : (٩٣)

"فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا" (٢٧ مريم)

فلما رأوها تحمل مولودا قالوا : لقد أتيت فعلا منكرا عظيما. "فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال إنى عبد الله" (٣٠ مريم) معترفا بالعبودية لله منزّها إياه عن قول الظالمين فهو عبد لله وابن أمته، ثم برأ أمّه مما قذفوها به فقال : " آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا".فالله لا يعطى النبوة من كان كما زعموا (قبحهم الله قالوا إنه ابن زنا حملت به وهى حائض).

بيّن الله تعالى لرسوله وللعالم حقيقة أمر المسيح عيسى بن مريم أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله.فالله أراد هذا وقضى به وهو لا يُعجزه شئ فهو الفعّال لما يشاء وتنفيذ أمره بين الكاف والنون. وقوله :"إن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صرط مستقيم" (٣٦ مريم) وهذا من تتمة كلام عيسى في المهد. "فاختلف الأحزاب من بينهم" (٣٧ مريم)

اختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم : فمن قائل إنه وُلد من زانية واستمروا على كفرهم، وآخرون قالوا هو الله. وفريق قالوا هو ابن الله. وقال المؤمنون : هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

نشأته وبدء الوحي إليه : (٩٤)

ولد في بيت لحم قريبا من بيت المقدس، وظهر نجم عظيم فى السماء أشفق ملكُ الفرس من ظهوره فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا : "هذا لمولدٍ عظيم فى الأرض فبعث رسله ومعهم ذهب ومُرّ ولبان هدية إلى عيسى فلما قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم فذكروا له ذلك فسأل عن الوقت فتطابق ذلك بمولد عيسى بن مريم ببيت المقدس واشتهر أمرة بسبب كلامه فى المهد فأرسلهم إليه

بما معهم وأرسل معهم من يعرفه له ليتوصل إلى قتله إذا انصرفوا عنه فوصلوا إلى مريم بالهدايا .

علمت مريم ما سيكون فحملته وأتت به مصر فأقامت بمصر حتى بلغ من العمر اثنتى عشرة سنة وظهرت عليه معجزات وكرامات منها أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب طهور أبنائه فلما اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شرابا يعنى خمرا كما كانوا يصنعون فى ذلك الزمان فلم يجد فى جراره شيئا فشقّ عليه فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ويدُهُ على أفواهها وهى تمتلئ من أفضل الشراب فتعجب الناس وعظّموه وعرضوا عليه وعلى أمه أموالا فلم يقبلاها وارتحلا إلى بيت المقدس.

بل إن عيسي أول ما أطلق الله لسانه بدأ الكلام الذى تكلم به وهو طفل فمجّد الله تمجيدا لم تسمع الآذان بمثله ولم يدع شمسا ولا قمرا ولا جبلا ولا نهرا ولا عينا إلا ذكره في تمجيده فقال : " اللهم أنت القريب فى علوك المتعال فى دنوك الرفيع على كل شئ من خلقك. خلقتَ سبعا في (الفضاء) بكلماتك مستويات طباقا أجبْنَ وهنّ دخان من (خوفك) فأتيْن طائعات لأمرك فيهن ملائكتك يسبّحون قدسك وجعلت فيهن نورا على سواد الظلام وضياءً من ضوء الشمس بالنهار وجعلتَ فيهن الرعد يسبح بحمدك وجعلتَ فيهن مصابيح يُهتدي بهن فى الظلمات فتباركت اللهم فى مفطور سمواتك وفيما دحوْت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر فأذللتها إذلال التظاهر، فذل لطاعتك صعبُها واستحيَ لأمرك أمرُها وخضعتْ لعزّتك أمواجُها ففجّرت فيها بعد البحور الأنهار ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ثم أخرجت منها الأشجار والثمار، ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتدتها أوتادا على ظهر الماء فأطاعت أطوادها وجلمودها فتباركت اللهم، فمن يبلغ بنعمتك نعتك، أمّن يبلغ بصفته صفتك، تنشر السحاب وتفكّ الرقاب وتقضى الحق وأنت خير الفاصلين، لا إله إلا أنت سبحانك أمرتَ أن نستغفرك من كل ذنب، لا إله إلا أنت سبحانك، سترت السموات عن الناس، لا إله إلا أنت سبحانك، إنما (يخشاك) من عبادك الأكياس، نشهد أنك لست بإله استحدثناك، ولا رب يبيد ذكره ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذكرك، ولا أعانك على خلقنا أحد فنشكّ فيك، نشهد أنك أحدٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لك كفوا أحد ".

وبعد أن نطق بكل ما ذكر أمسك عن الكلام حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم

أنطقه الله بعد ذلك الحكمة والبيان، فأكثر اليهود فيه وفى أمه القول وكانوا يسمونه ابن البغيّه "وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما". (١٥٦ النساء)

كان يري العجائب في صباه إلهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمست به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحي الله إلى أمه أن تنطلق به إلي أرض مصر فذلك قوله تعالي : " وجعلنا ابن مريم وأمّه آية وآويناهما إلي ربوة ذات قرار ومعين" (٥٠ المؤمنون)

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التى ذكر الله صفتها.ولما بلغ عيسى ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من مصر إلي بيت إيليا فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى "إيليا" وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون فى بيوتهم، وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما يأتيه من العجائب، فدعاهم إلى الله فاشتهر أمرُه.

أنزل الله عليه الوحي وهو ابن الثلاثين ورُفع فى سن الثالثة والثلاثين.

ومن ضمن ما أوحى الله به إليه صفات خاتم المرسلين : "صدقوا النبى الأمىّ العربي صاحب الجمل و(العمامة) أنجل العينين صلـت الجبين واضح الخدين مقرون الحاجبين عرقُهُ في وجهه كريح المسك لم يُرْ قبله ولا بعده مثلـُه، حَسَنُ القامة طيّب الريح ذا النسل القليل، كلامُه القرآن ودينه الإسلام وأنا السلام طوبى لمن أدرك زمانَه وشهد أيامَه وسمع كلامه ".

بيان شجرة طوبي : (٩٥)

قال عيسى :" يارب وما طوبى قال :" شجرة أنا غرستها بيدى فهى للجنان كلها، أصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد الكافور وطعمها الزنجبيل وريحها المسك " قال عيسى : " يارب اسقنى منها" قال : "حرام على النبيين أن يشربوا منها حتى يشرب ذلك النبى، وحرام على الأمم أن يشربوا منها حتى يشرب منها أمة ذلك النبى". قال الله : "يا عيسى أرفعك إلىّ ثم أهبطك فى آخر الزمان لترى من أمة ذلك النبى العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال، أهبطك فى وقت صلاة ثم لا تصلى بهم لأنها مرحومة ولا نبى بعد نبيهم " قال عيسى : "يارب أنبئنى عن هذه الأمة المرحومة" قال : "أمة أحمد هم علماء حكماء كأنهم أنبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وأرضى منهم باليسير من العمل وأ دخلهم الجنة بلا إله إلا الله. هم أكثر سكان الجنة لأنه لم تذل ألسنُ

قوم بلا إله إلا الله كما ذلت ألسنتُهم ولم تذل رقابُ قوم قط بالسجود كما ذلتْ رقابُهُم. يا عيسى قضيتُ يوم خلقتُ السموات والأرض أنه من عَبَدَنى وقال فيكما بقولى أن أجعلهم جيرانك فى الدار ورفقاءك فى المنازل وشركاءك فى الكرامة، وقضيتُ يوم خلقتُ السموات والأرض أنه من اتخذك وأمّك إلهين من دون الله أجعلهم في الدرك الأسفل من النار، وقضيتُ يوم خلقتُ السموات والأرض أني مثبّت هذا الأمر علي يدَى عبدى محمد وأختم به الأنبياء والرسل، مولده بمكة ومهاجَره بطيبة وملكـه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا صخابٍ في الأسواق ولا يزر بالفحش ولا قوّال بالخنا أسدده لكل أمر جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل التقوي ضميرَه والحكمَ معقوله والوفاءَ طبيعته والعدلَ سيرتـه والحقَ شريعته والإسلامَ ملـته، اسمه أحمد أهدي به بعد الضلالة وأعلِم به بعد الجهالة وأغنى به بعد العائلة، وأرفع به بعد الضيعة وأفتح به بين آذانٍ صم وقلوبٍ غلف وأهواءٍ متفرقة وأجعل لمته خير أمةٍ أخرجت للناس ألهمُهم التسبيح والتقديس والتهليل في مساجدهم ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلـوّن لى قياما وقعودا وركـعا وسجودا ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا قرباتهم دماؤهم وأناجيلهم (يعني كتابهم) في صدورهم وقرُبانهم في بطونهم رهبانٌ بالليل ليوثٌ بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم".

إحياء الموتى وشفاء المرضي بإذن الله : (٩٦)

أول من أحيىَ عيسى من الموتي أنه مر علي امرأة جالسة عند قبر تبكي ابنة لها وحيدة ماتت قالت عاهدت ربي ألا أبرح حتي أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله لي فأنظر إليها فقال لها عيسى أرأيتِ إن نظرتِ إليها أراجعة أنت قالت نعم فصلـى ركعتين وجلس عند القبر ونادي : يا فلانة قومى بإذن الرحمن فاخرجى فتحرك القبر ثم نادي الثانية فانصدع القبر بإذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهى تنفض رأسها من التراب فقال عيسى : "ما أبطأ بك عنى"

فقالت: " فى الصيحة الأولى بعث الله لي ملكا فركـب خلقى وفى الثانية رجـع لى روحى وفى الثالثة خفت أنها صيحة القيامة فشاب رأسى وحاجباى ورموش عينى ثم أقبلتْ على أمها قائلة ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا ـ يا روح الله وكلمته سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهوّن علىّ كرب الموت فدعا عيسى ربه فقبضها إليه واستوت عليها الأرض. فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا.

أيضا تكرر ذلك في ملك من ملوك بني إسرائيل مات وحُمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام فدعا الله عز وجل فأحياه الله عز وجل فرأى الناسُ أمرا هائلا ومنظرا عجيبا.

قال تعالي : " إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس (يعني جبريل يدافع عنه ويلازمه) تـُكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني (تصوّره وتشكله علي هيئته عن أمر الله له) فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه (الذى ولد أعمى ولا سبيل لشفائه) والأبرص الذي

لا طب له) بإذني وإذ تـُخرج الموتى (من قبورهم أحياء) بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك (أي منعتهم) إذ جئتهم بالبيّنات فقال الذين كفروا منهم إنْ هذا إلا سحر مبين (حين وشوا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان وأرادوا صلبه فرفعه الله إليه وألقي شبهه على واحد من أصحابه فصلبوه وهم يعتقدونه عيسى) وإذ أوحيتُ إلى الحواريين (أصحاب عيسى والمؤمنين به حقا) أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (والمراد ألهمهم وأرشدهم ووفق قلوبهم لقبول الحق فاستجابوا). (المائدة ١١١)

"إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلي الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين. ومكروا ومكر اللهُ والله خير الماكرين. (٥١ :٥٤ آل عمران)

عيسى بن مريم هو آخر أنبياء بني إسرائيل، بشّر بخاتم المرسلين الآتي بعده ونوّه باسمه وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتبعوه إذا شاهدوه إقامة للحجة عليهم.

خبر المائـــدة : (٩٧)

قال تعالي : " إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين * قالوا نريد أن نأكلَ منها وتطمئنُ قلوبُنا ونعلمَ أنْ قــد صدقتنا ونكونَ عليها من الشاهدين * قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين * قال الله إني منزّ لها عليكم فمن يكفرْ بعدُ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ". (١١٥المائدة)

وعن ابن عباس وسلمان الفارسى وعمار بن ياسر وغيرهم من السلف أن عيسى أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموها سألوا عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبــل صيامهم وإجابة إلى طلبهم وتكون لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم ولغنيّهم وفقيرهم.فوعظهم عيسى فى ذلك وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل، فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه وتضرّع إلى الله فى البكاء. فأنزل الله تعالى المائدة من السماء تنحدر بين غمامتين والناس ينظرون إليها وجعلت تدنو قليلا قليلا وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة، وأن يجعلها بركة وسلامة، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدى عيسى وهي مغطاة فقام يكشف عنها وهو يقول : " بسم الله خير الرازقين، فإذا عليها سبعة من الحيتان (سمك) وسبعة أرغفة، ويقال : ورمّان وثمار، ولها رائحة عظيمة جدا، قال الله كونى فكانت. ثم أمرهم (عيسى) بالأكل منها فقالوا : لا نأكل حتي تأكل فقال : إنكم الذين ابتدأتــم

السؤال لها، فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء ــ فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريبا من ألف وثمانمائة فأكلوا منها، فبرأ كل من به عاهة أو آفة أو مرض مزمن، فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح لهؤلاء. ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل منها الناس أولهم وآخرهم حتى قيل كان يأكل منها نحو سبعة آلاف، ثم كانت تنزل يوما بعد يوم، كما كانت ناقة صالح، ثم أمر الله عيسى أن يقـصيرها على الفقراء والمحاويج دون الأغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم منافقوه في ذلك فرفعت بالكلية، ومُسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير.

وعن عمار بن ياسر عن النبى صلي الله عليه وسلم أنه قال : " نزلت المائدة من السماء خبز ولحم، وأمروا ألا يخونوا ولا يدّخروا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا ورفعوا فمُسخوا قردة وخنازير ". (*)

رفعه الي السماء في حفظ الرب : (٩٨)

: " إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعُك إليى ومطهرُك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلىّ مرجعُكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" (٥٥ آل عمران)

وقال تعالي : " وبكفرهم وقولِهم على مريم بهتانا عظيما * وقولِهم إنا قتلنا المسيحَ عيسى ابن مريم رسولَ الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شـبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ". (١٥٥ :١٥٩النساء)

إن قضية قتل عيسى عليه السلام وصلبه يخبط فيها اليهود والنصارى بالظنون، فاليهود : يقولون إنهم قتلوه ويسخرون من قوله : إنه رسول الله، فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية.. والنصارى يقولون إنه صُلب ودُفن، لكنه قام بعد ثلاثة أيام. و " التاريخ " يسكت عن مولد المسيح وعن نهايته كأن لم تكن.ولا يستند أى من الفريقين المذكورين إلى يقين فى تلك لفترة التى تضاربت فيها الروايات وتداخلت الأقوال بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين. إلا ما يقصّه رب العالمين.والأناجيل الأربعة التى تروى قصص تلك الفترة كـتبت كلها بعد فترة من عهد المسيح كانت كلها اضطهادا لديانته ولتلاميذه بحيث يتعذرتحقيق الأحداث فى جو السرية والخوف والتشريد، وقد كتبت معها أناجيلُ كثيرة، ولكن هذه الأناجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد واعتبُرت رسمية واعتـُرف بها لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات، لكن **إنجيل برنابا** يخالف الأناجيل الأربعة المعتمدة في قصة القتل والصلب فيقول :

" ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما. فلما رأى الخطر على عبده (يقصد الرب) أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراؤه أن يأخذوا يسوع من العالم. فجاء الملائكة الأطهـار وأخذوا يسوع من النافذة المشـرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبّح إلى الأبد.. ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعِدَ منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياما، فأتى الله العجيب بأمر عجيب **فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع** حتى اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيدى معلمُنا، أنسيتنا الآن ؟ ".

ويقرر القرآن قراره الفصل : " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شـبـّه لهم

* وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما * ". (١٥٨ النساء) فهم ما قتلوه وما صلبوه ولكن وقع القتل والصلب علي من شـــُبّهَ لهم سواه.

ولا يدلى القرآن بتفصيل فى هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة ؟ أم كان بالروح بعد الوفاة ؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين. أيضا ورد فى موضع آخر قوله تعالى : " يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى " وهذه كذلك. لا تعطي تفصيلا عما تقدم.

" وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويومَ القيامة يكون عليهم شهيدا " والضمير هنا في "موته " جعل المفسرين يختلفون فى مدلول الآية فقال جماعة : وما من أهل الكتاب من أحد إلا يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته ـــ أى قبل موت عيسى ـــ وذلك على القول بنزوله قبيل الساعة (يعني فى آخر الزمان قبل أن تقوم الساعة). وقال جماعة : وما من أهل الكتاب من أحد إلا يؤمن بعيسى قبل موته ـــ أى قبل موت الكتابى ـــ وذلك على القول بأن الميت وهو فى سكرات الموت يتبين له الحق حيث لا ينفعه أن يعلم. والقول الثانى هو الأقرب إلى (مدلول اللفظ من حيث الشمولية فى الحالة)..ويترتب عليه أن اليهود الذين كفروا بعيسى وما زالوا على كفرهم به وقالوا إنهم قتلوه وصلبوه، ما من أحد منهم يدركه الموت حتى تتكشف له الحقيقة عند حشرجة روحه فيرى أن عيسى حق ورسالته حق، ولا ينفعه إيمانه فى هذه الحالة، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا.

ظهور النصرانية : (٩٩)

يعرض الحق سبحانه وتعالى موقف الفرق والأحزاب فى أمر عيسى فيبدو هذا الخلاف مستنكرا نابيا فى ظل هذه الحقيقة الناصعة : " قال إنى عبد الله آتانيَ الكتاب وجعلنى نبيا " (٣٠ مريم) " وإن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم " (٣٦ مريم)

لقد جمع الإمبراطور الرومانى قسطنطين مجمعا من الأساقفة ـــ وهو أحد المجامع الثلاثة الشهيرة بلغ عدد أعضائه ألفين ومائة وسبعين أسقفا فاختلفوا فى عيسى اختلافا شديدا، وقالت كل فرقة فيه قولا..قال بعضهم : هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء. وقال بعضهم هو ابن الله، وقال بعضهم : هو أحد الأقانيم الثلاثة : الأب والإبن والروح القدس، وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله، وقال بعضهم : هو عبد

الله ورسوله وروحه وكلمته، وقالت فرق أخرى أقوالا أخرى.

ولما كانت العقائد المنحرفة قد قررتها مجامع شهدها جموع الأساقفة فإن السياق هنا ينذر الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحدانية الله، ينذرهم بمشهد يوم عظيم تشهده جموع أكبر، وتري ما يحل بالكافرين المنحرفين.

" فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم " (٣٧ مريم)

ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلاثمائة وثمانية اتفقوا على قول. فمال إليه الإمبراطور ونصر أصحابه وطردالآخرين وشرّد المعارضين وبخاصة الموحدين.. ولما كانت العقائد المنحرفة قد قررتها مجامع شهدتها جموع الأساقفة فإن السياق هنا ينذر الكافرين الذين ينحرفون عن الإيمان بوحدانية الله، ينذرهم بمشهد يوم عظيم تشهده جموع أكبر.

تفردت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس الذى ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فسكنوا البرارى والبوادى وبنوا الصوامع والأديرة وقنعوا بالعيش الزهيد ولم يخالطوا الملل والنـِّحل الباقية. بينما بنت فرقة الملائكة الكنائس الهائلة خاصة المبانى اليونانية وجعلوا محاريبها إلى الشرق.وبني الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح، وكان اليهود بعد أن صلبوا المصلوب وألقوا بخشبته جعلوا مكانه مطرحا للقمامة والنجاسة وجيف الميتات والقاذورات ولم يزل كذلك حتى عهد قسطنطين فجاءت أمه هيلانة فاستخرجته معتقدة أنه المسيح ووجدوا الخشبة التى صُلب عليها المصلوب وذكروا أنه ما مسها ذو عاهة إلا عوفى، فعظـّموا تلك الخشبة وغشـّوْها بالذهب واللآلئ واتخذوا الصلبان وتبركوا بشكلها وقبـّلوها. وأمرت هيلانة فأزيلت القمامة وبُني مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواع الزينة وهى الموجودة اليوم ببلدة بيت المقدس التى يقال لها " القمامة " باعتبار ما كان عندها، ويسمونها " كنيسة القيامة " يعني التى يقوم جسد المسيح منها. ثم أمرت هيلانة أم الملك أن توضع القمامة على صخرة بيت المقدس التى هى قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى جاء عمر بن الخطاب فى فتح بيت المقدس فكنس عنها القمامة وحملها بردائه وطهّرها، وصلى حيث صلى من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

****

الفصل الثانى

١ــ سيفارد سفارديم : يهود التوراة

مراحل إبعاد اليهود وانقسامهم

رحلة الشتات :

تعرض اليهود في فلسطين إلى ضربتين قاصمتين :

أ ــ ضربة السبى البابلى : التى قتلت ونفت وسحقت اليهود ثلاث مرات بقيادة " بُخْتَنْ نصـــَّر " الكلدانى عام ٥٨٦ ق.م وفي هذه الغزوة حرّف اليهود التوراة.

ب ــ ضربة التدمير الروماني : التي قتلت ونفت وسحقت اليهود بقيادة تيطس الرومانى عامى٧٠ م و١٣٥م. وبعد هذه الغزوة وضع اليهود (المشنا + الجمارا) = التلمود، وكان هذا آخر العهد بوجودهم في فلسطين حيث بدأت رحلة الشتات منذ عام ٧٠ م وقد هاجر اليهود بعد تخريب القدس إلى العراق وفارس والهند والصين والحبشة، وفى كل هذه البلاد حاولوا أن يؤسسوا دولـــة فبـــاءوا بالفشل.

* يهود التوراة (سيفارد) تتمثل فى الجماعة التى هاجرت من المـــشرق وتدفقت على أوربا ولهم رحلة طويلة بدأت فى عصر الدولـــة الرومانيـــة، ثـــم تجددت بعد سقوط القدس حيث تشتتوا في دول : انجلتـــرا، فرنـــسا، ألمانيـــا و (إيطاليا) عاصمة الدولة الرومانية، وحين أزيلوا من هذه الدول لجأوا إلى دولـــة

الإسلام في الأندلس(١٠٠)

* كانت الإمبراطورية الرومانية قد تبنـّت أواعتنقت الديانة المسيحية (عام ٣٤٠م) باعتبارها دينا رسميا للدولة تكتسب منه شرعيتها،.. ووجدت الجماعة اليهودية أنهم أقلية في دولة لها إطار عقائدى متماسك، وأن الدين السائد هو توحيدى وليس عبادة وثنية، وكان هذا أمرا جديدا على اليهودية التى كانت موجودة دائما في محيط وثنى تحارب ضده وتكتسب هويتها الدينية من صراعها معه.، وقد ازدادت العلاقة سوءا وتوتّرا بين أعضاء الجماعات اليهودية والعالم المسيحى، فتوقف النشاط التبشيرى وانطوى اليهود على أنفسهم وانصرف علماؤهم لتدوين التلمود بما يحويه من كره عميق للمسيحية ولشخص المسيح، وبما يتضمنه من سب للمسيح.

أصدر قنسطنطين (٣١٢ ــ ٣٣٧م) تشريعات لتنظيم العلاقات مع اليهود ولم تعد اليهودية بموجب هذه التشريعات " دينا مشروعا " أو مباحا، كما كان أيام الرومان، وإنما أصبح المذهب الشائن أو الشنيع، وأصبح محظورا على اليهود الزواج من المسيحيين، كما مُنع أى يهودى من التنصـّر أو التبشير بالدين اليهودى، وحظرت تشريعات لاحقة على اليهود امتلاك عبيد مسيحيين أو حتي أى عبيد على الإطلاق وهو ما كان يعنى استبعادهم من الزراعة، كما استـُبعِدوا من الخدمة العسكرية ومن الإشتغال بالطب.

وفي عام ٤٣٨م منع تيودور الثانى اليهود من شغل وظائف عامة. وبهذا يكون قد تشكل الإطار القانونى الذى يحكم علاقة اليهود بالمجتمعات المسيحية.(١٠١)

* سيطرت الكنيسة تماما على المجتمع اليهودى وعزلته عزلا تاما عن المجتمع المسيحى، وكان أخطر مقررات الكنيسة هى عزلهم في " الجيتو " (حارة اليهود) وسنّت القوانين التى تحرّم زواجهم من النصارى وفى مجمع لاترين الرابع صدرت قرارات صارمة نظرا لخطرهم الجسيم وعوامل إفسادهم مما دعا لطردهم تباعا.

هددهم الحكم البيزنطي بضرورة اعتناق دين غير دينهم بالقوة وبممارسة ضغوط أخرى عليهم ابتداء من حكم جستنيان الأول (٥٢٧ ــ ٥٦٥٦م) واتخذ شكلا قاسيا بنوع خاص تحت حكم كل من : هرقل في القرن السابع، ليو الثالث في القرن الثامن الذي أصدر أمرا يقضي بتعميد (تنصير) كل الرعايا اليهود،

مما دفعهم للفرار من بيزنطة.

* أجبر ملك الروم (٩٤٣ ــ ٩٤٤م) يهود مملكته على اعتناق المسيحية، لذلك فرَّ كثير منهم إلى بلاد الخزر. (١٠٢)

* لجأ الامبراطور ليو الرابع في القرن التاسع، وبازل، إلى إجبار الطائفة اليهودية فى أوريا جنوب إيطاليا على اعتناق المسيحية، ومن يرفض منهم كان يوضع فى معصرة الزيتون تحت مكبس خشبى ويعصرونه بنفس طريقة عصر الزيتون. مما أدى إلى فرار الكثير منهم هربا.

* أما الامبراطور رومانوس فقد فضــّل إقصاؤهم عن البلاد رحمة بهم..وكانت دولة الخزر هى الملاذ الآمن لهم فتدفقوا عليها. (١٠٣)

* وفي العرف الألمانى تم تصنيف اليهود " غرباء"، ونظرا لأن الغريب كان يتبع الملك مباشرة فقد وُضعوا تحت حمايته، ويعدّون ملكية خاصة له أو بالمعنى الحرفي (أقنان بلاط) وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يعيشون بين قوى شعبية لا تضمر لهم حبا ولا تشعر نحوهم بأى عطف (١٠٤)

ويختلف وضع اليهود فى العالم الإسلامى في العصور الوسطى حيث اندمج اليهودى فى مجتمعه على المستوى الوظيفى والاقتصادى والحضارى، كما أنه باعتباره عضوا فى جماعة دينية لم يكن فريدا بل كان ضمن أقليات دينية أخرى.(١٠٥)



١- سيفارد: يهود التوراة من القرن الأول الميلادي

ص ٤٨٧

أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب :

يُرْجِع بعض الباحثين تسرب اليهود إلي الجزيرة العربية إلي الأسباب التالية:

*كانت فلسطين بمثابة القنطرة التى تربط بين بلاد العرب وسوريا من جهة، ومصر والعراق من جهة أخرى، وكانت القوافل العربية تأتى من بلادها إلى أسواق مدن بنى إسرائيل وكنعان، وكان تجار اليهود يرحلون إلى سبأ فى عهد نبي الله سليمان وبعده.

*أيضا زيادة عدد اليهود فى فلسطين زيادة مضطردة جعلت البلاد أضيق من أن تسعهم وتتفسح لعملهم فى سبل الحياة وقد بلغ تعدادهم أربعة ملايين نسمة وهو عدد كبير لا تتسع لهم فلسطين ضيقة المساحة مما اضطرهم إلي الهجرة إلي ما حولها من البلاد كمصر والعراق والجزيرة العربية (١٠٦)

* ومنها أيضا أنه بعد حرب اليهود والرومان عام ٨٠ م التى انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتشتيت اليهود فى الأصقاع، قصدت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب كما يحدثنا المؤرخ اليهودى يوسف الذى شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعضَ وحداتها وهذا ما تؤكده المصادر

العربية التي جاء بها : (حين ظهر الروم على بنى إسرائيل بالشام وقتلوهم وسبوا منهم، خرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين إلى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشا فى المفازة بين الحجاز والشام . (١٠٧)

* كانت المدينة (يثرب) المركز الأكبر لليهود ــ عند ظهور الإسلام، كما انتشر اليهود جماعات استقروا فى مواضع المياه والعيون من وادى القـرى (وهو وادى خصيب يمر به طريق التجارة القديم الذى يصل بلاد الشام باليمن. كما أقاموا فى تيماء وخيبر وبنّوا عليها الأطام (١٠٨) لحماية أنفسهم وأرضهم وزراعاتهم من اعتداء الأعراب عليهم. وقد أمّنوا على أنفسهم بالإتفاق مع القبائل المجاورة بدفع إتاوات لهم وتقديم الهدايا إليهم لاسترضـائهم.

مــَنْ هم هؤلاء ؟ وما هي ديانتـهم ؟

* العبرانيون : الأصل اللغوي للعبرانيين فعل "عبر" وهو في اللغة العربية كما في اللغة العبرية. والعبرية لغة **العبرانيين**، وهذا هو **العبور** آية اليهود التي تميزهم علي الأمم، فالرب في زعمهم قد أمكنهم من **العبور** مرتين : فى مصر عبّر بحر سوف (البوص أو البردى)، وفي الأردن عبر نهره، ويقال إن هناك مرة سابقة فى العراق حيث عبره إبراهيم إلى (إليا) فلسطين

ويرى "مارتن بوبر" الفيلسوف اليهودى أن الأصل اللغوى لكلمة :**عابيرو** أو **هابيرو**معناها الشخص الرحالة المتجول غير المستقر. وقبائل إسرائيل كانت رحّالة..وكان إبراهيم دائم التنقل وكذا اسحق ويعقوب، وقد ارتحل يعقوب وبنوه إلى مصر. (١٠٩)

يدعي سفر يشوع أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى :"....ولمّا ارتحل الشعب من خيامهم لكي **يعبروا** الأردن والكهنة حاملو تابوت العهد فعند إتيان حاملى التابوت إلى الأردن وانغماس أرجل الكهنة حاملى التابوت فى ضفة المياه والأردن ممتلئ إلي جميع شطوطه كل أيام الحصاد، وقفت المياه المنحدرة من فوق وقامت نِدّا واحدا بعيدا جدا عن أدام المدينة والمنحدرة إلى بحر العربة بحر الملح انقطعت تماما و**عبّر** الشعب مقابل أريحا فوقف الكهنة حاملوا تابوت عهد الرب على اليابسة فى وسط الأردن راسخين وجميع إسرائيل **عابرون** على اليابسة حتى انتهى جميع الشعب من **عبور** الأردن (١١٠)

كذلك يُسميَ الإسرائيليون بالعبرانيين، لأنهم كانوا قوما رحّلا، لا يستقرون بمكان بل يعبرونه إلي آخر فسموا **بالعبرانيين**. (١١١)

* **إسرائيليون أو بنو إسرائيل** : وهم قد دُعوا **إسرائيليين، وبنى إسرائيل** نسبة إلى **إسرائيل** وهونبي الله يعقوب، **وإسرائيل** كلمة معناها " المجاهد مع الله "، وبنو إسرائيل هم ذرية يعقوب من أسباطه (أولاده) الإثنى عشر.

" **وإسرائيل** خربت وليس بها بذر" (تعبير جاء مرة واحدة عند قدماء المصريين) (١١٢)

* **يهود** : ويقال لهم (هوُد) و (هادوا) وقد تغلبت كلمة (يهود) وأصلها (يهوذا) وهو سبط من أسباط بنى إسرائيل سُموا بهذا الاسم تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سُموا إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط وأسر يهوذا فمن ثـَم دُعى جميع نسل يعقوب ــ **يهودا**. ويهوذا جد هذا السبط وهو رابع أولاد يعقوب. ومعنى هاد ــ هودا : تاب ورجع إلى الحق والجمْع هودٌ، وفي القرآن (إنا هدنا إليك) أى تبنا إليك. وهذا المسمى فى التفاسير الإسلامية فقط * **(أهل الكتاب)** والمراد بذلك أنهم أصحاب كتاب سماوى منزل وهو التوراة ويدخل فى هذه التسمية أيضا النصارى لوجود كتاب سماوى لديهم وهو الإنجيل، وهكذا فإن تسمية "أهل الكتاب" في القرآن يُقصَد به اليهود والنصارى.

* **اليهودية** :

أصبحت اليهودية على يد مُحرفيها مُعتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان، وهى دين مغلق، فلا يحق لأى إنسان أن يعتنق اليهودية، وبمعنى أوضح : أن اليهود لا يقبلون فى صفوفهم إنسانا جديدا يعتنق دينهم خلافا لجميع المبادئ والأديان التى تعمل لزيادة المؤمنين بها، ولكى يكون الإنسان يهوديا يجب أن يكون من أم يهودية،وما زالت محاكم إسرائيل ترفض الإعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودى وأم غير يهودية . (١١٣)

ويورد المؤرخ الأستاذ أنور الجندى آراء متخصصين من الأجانب والعرب أذكر منها :

يقرر الدكتور هربرى لوى اليهودى صاحب كتاب "أديان العالم الكبرى" أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لا سند لها فى اليهودية بالذات وأبرز تجاوزاتها أنها لا تتحدث عن الآخرة والبعث والحساب حيث لا يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت ولا يرد فيها شئ عن الخلود. ويعتقدون أن الجنة على الأرض، وهى خاصة بهم دون شعوب الأرض " ويشير الدكتور لوى إلى أن اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان لأن مجال

اليهودية ـ فى تقديره ليس فيما وراء هذا العالم، وأنها تعمل لهذا العالم وحده بغض النظر عن العالم الآخر..(١١٤)

ويقول ول ديورانت : " إن اليهودية استوعبت أساطير بلبل وسومر وأساطير الجزيرة العربية والفكر الفارسي وأن هذه الأساطير كانت معينا غزيرا لأسفار العهد القديم (١١٥)

واليهودية أصبحت على يد أحبار اليهود تعكس تشوها فى رؤيتها للتاريخ بفعل قصورها المبدئى عن إدراك جوهر الإله "يهوه" وخصوصا وحدانيته المطلقة، وشمول ربوبيته للبشر كافة، وذلك أوقعها فى أسر فكرة الخيرية، إذ يحكى سفر التكوين عن يعقوب ما نصّه : وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر.ولمّا رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه.فانخلع حُقّ فخذ يعقوب فى مصارعته معه.وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر.فقال لا أطلقك إن لم تباركنى.فقال له ما اسمك.فقال يعقوب.فقال لا يُدعىَ اسمك فى ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدتَ مع الله والناس وقدرتَ.وسأل يعقوبُ وقال أخبرنى باسمك.فقال لماذا تسأل عن اسمى. وباركه هناك. فدعا يعقوبُ اسم المكان فنيئيل.قائلا لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجّيتُ نفسى) (تكوين ٣٢) ـ فقد تمكن يعقوب من الحصول على وعد بالملك والاختيار أى بملكية الأرض المقدسة، وتتويج الشعب الإسرائيلى شعبا مختارا اختصه الله بألوهيته لهم، مقابل أن يختصه بنو إسرائيل بعبوديتهم له، فصار " يهوه " إله بنى إسرائيل وحدهم من بين العالمين، وفى المقابل صار بنو إسرائيل شعب يهوه وحده من بين الآلهة، وهنا نـمَتْ العنصرية كآفة مصاحبة للوثنية بل ومترتبة عليها.

وفي سياق هذه الخيرية المدّعاة عاش اليهودى تاريخه كله بإحساس ملتبس : ففي فترة من الزمن بدا " متعاليا" بها، حتى إذا ما دالت دولته وُجد يحيا " آسفا" عليها إذ يجد نفسه "عاديا" في التاريخ منذ سبَىَ البابليون أجداده، وفتك بهم الرومان، خاصة منذ أن جاء المسيح نبيا للرحمة لا للقتال، رافضا أن يكون ملكا مقدسا لهم، فاتحا شريعة موسى ودين الرب لجميع الأغيار/ الأمم، مانحا الخيرية الحقة لكل المؤمنين المنتسبين لإبراهيم بالروح لا بالجسد، وبالعقيدة لا بالعرق، ومن وقتها لم يعد اليهودى يرى فى التاريخ سوى لصا قام بسرقته، فعاش من أجل الثأر منتظرا عودة المسيح للأرض المقدسة مستردا له خيريته التى لا يستطيع رؤية الزمن إلا من خلالها إما احتفاء بحضورها، أو حسرة علي

غيابها.

واليهودية لم تستطع البراء من آفة العنصرية التى جعلت منها دينا مغلقا يرفض أتباعه التبشير به ليبقوا ــ وحدهم ــ شعب الله (المختار) لمجرد الميلاد من أصل يهودى، ولاشك فى أن هذه الخيرية السابقة على الوجود تشوه الرؤية التاريخية إذ تحرم اليهودى من حضوره الأخلاقى فى التاريخ وتصوغ موقعه فيه دون فعل أو اختيار، ليصبح هذا الحضور مكملا وعرضيا، على هامش مسار تحدد سلفا، ومن ثـَم فلا معنى هنا لحرية الإرادة الإنسانية (١١٦)

يعتبر "أرنولد توينبى "اليهودية" ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها، ويقول : " ولما فقدت اليهودية صفتها كدولة استثار هذا التحدى اليهود ليبتدعوا لأمتهم طرازا من الكيان الطائفى استعاضوا داخل نظامه عن فقدان دولتهم وبلادهم بالاحتفاظ بذاتهم فى صورة (تشتت) (وانتشار) بين ظهرانى أغلبية أجنبية (١١٧) و(حديثا) يقول كارل ماركس في كتابه " **المسألة اليهودية** " إن المال هو إله إسرائيل المُطاع وأمامه لا ينبغي لأى إله أن يعيش. (١١٨)

ويؤكد الباحثون أن القول باختصاص شعب من الشعوب بإله خاص لهم وحدهم هى فكرة وثنية وقد ظل اليهود متعلقين بهذه الفكرة ويجعلونها أساسا من أسس أيديولوجيتهم. وهذا أبرز مظاهر عنصرية **اليهودية**، وقد عمد اليهود إلى إحياء الأديان الوثنية القديمة التى أخذوا منها هذه الفكرة وهي أديان الهنود والمجوس القائمة على التعدد وإنكار البعث.

وقد تحدث جوستاف لوبون فى كتابه عن **اليهود** والحضارة عام ١٨٨٩م فأكد أن اليهود لم يكن لهم علوم أو فنون ولا حق لهم فى الأرض التى يحاولون احتلالها وهم غرباء عنها وكل تقاليدهم وعاداتهم ودياناتهم مستعارة ومقتبسة ومسروقة من الدول المجاورة لهم.

وقال إن آية القول بأنهم وحوش وقساة ما نجد فى التوراة من أنواع الوحشية والبدائية.. وفى سفر يشوع يُقال لهم : أهلِكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار. بينما نجد أن العرب كانوا ينفذون وصية أبى بكر : " لا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه " (١١٩)

ويقول د.أحمد شلبي :" إن اليهود ارتدّوا بعد سليمان إلى عبادة الأوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين، وبنوا مذبحا للأصنام فى فناء بيت المقدس ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها، وكانت مملكة يهوذا وثنية تماما وأن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطبائعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخُلق، وكتبوا سواها مما يتفق مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة (١٢٠)

يقول سير جيمس فريزر فى كتابه عن الخرافة : أن الرجل البروستانتى المتدين عندما نظر فى أساطير التوراة رآها صورة دارجة من أساطير الشعوب البدائية التى كانت ترتاع أمام الطبيعة وتتوهم القصص وتحكى النوادر وتكرر فى أساطيرها ما كان معروفا فى أماكن مختلفة من العالم القديم السابق على التوراة.

وقال : " لقد شهد كثيرون بأن العقيدة التى يتستر وراءها اليهود هى شريعة الغاب التى تقوم على تدمير المدن والقرى وحرق المساكن وقتل الأطفال والشيوخ."(١٢١)

وقد أجمعت المصادر على أن بنى إسرائيل لم يستمروا على عبادة الله الواحد الذى دعى إليه الأنبياء واتجهوا إلى التجسيم والتعدد. يقول ديورانت : " يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلة كنعان فصاغوه على الصورة التى كانوا هم عليها وجعلوا منه إلها : الإله " يهوه :، فــ" يهوه" ليس خالقا لهم بل هو مخلوق لهم، وفى يهوه صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة، ويهوه قاس ومدمر ومتعصب لشعبه لأنه ليس إله كل الشعب بل إله بنى إسرائيل فقط وهو بهذا عدو للآلهة الآخرين، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى . (١٢٢)

التـــوراة : (١٢٣)

وتعريفها لغويا : الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، وهى عند (أهل الكتاب) أسفار موسى الخمسة التى فى أول العهد القديم .

والتوراة كلمة عبرية معناها " الشريعة " أو الناموس وتطلق عند اليهود على خمسة أسفار (كتب) يقولون أن موسى كتبها قال تعالي : " الم. الله لا إله إلا هو الحيُ القيوم. نزّلَ عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل. من قبل هدي للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذوانتقام. " (١ ــ ٤ آل عمران)

وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل مَن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا"(٩١ الأنعام) وقال تعالي : " ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون " (١٥٤الأنعام)

وقال تعالي : مثل الذين حُمـلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" (٥ الجمعة)

وقال تعالي : " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (٤٤ المائدة)

وقال تعالي: "ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين " (٤٨ الأنبياء)

وقال تعالي: "فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وإنا بكل كافرون.قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه إن كنتم صادقين " (٤٨ـ ٤٩ القصص) وقال تعالي : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيـنات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون "(١٥٩ البقرة)

ويقول الكاتب الإنجليزى هـ.ج.ويلز بغضب "لا يوجد فى التاريخ ما يشهد على صدق التوراة اليهودية، وما يقوم دليلا على أن أحداثها قد وقعت فى يوم من الأيام. (١٢٤)

التوراة والتاريخ اليهودي: (١٢٥)

إن تاريخ اليهود القديم المذكور في الهكزاتوك (أى الأسفار الستة من التوراة) لا يمكن التحقق من صحته من أى مصدر آخر سوى التوراة نفسها.وأن علماء اليهود يعلنون صراحة أن تاريخهم القديم أسطورى وقد أعيد وضعه من وجهة نظر فريسية (نقلا عن الموسوعة اليهودية)

وأن اليهودية الأورثونكسية المستندة إلى شريعتهم نشأت فى بابل حوالى ٤٠٠ سنة ق.م. وأن علماء الكتاب المقدس كلهم مُجمعون على أن العهد القديم

جرى وضعه خلال وبعد النفى إلى بابل. وأن غاية الشريعة اليهودية هى أن تربط فئة قتالية غير قابلة للامتزاج مع الغير ولا تقبل المصالحة أو المهادنة معهم ولا تعرف الرحمة أو الشفقة ومنظمة تنظيما شبه عسكرى، وأن رسالة الأنبياء لليهود هى، فقط، اتباع الشريعة لكى يأتيهم (الوعد) ــ أى أن يتملكوا الأرض ومَن عليها ــ وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود.

ولا مناص أمامنا من الجزم بأن تاريخ اليهود مختلق على نطاق واسع، وقد اختلقه المتآمرون البابليون وهدفهم خلق مفاهيم قومية لها غاية قائمة بذاتها لدي المنفيين وذريتهم تفرض عليهم تنظيما باطشا تحت إمرة الشريعة وإضفاء ثوب الدين عليها لاخفاء وتبرير غايتهم الإجرامية ضد العالم.

وتقول دائرة المعارف الفرنسية تحت عنوان " توراه " بالحرف : إن العلم العصرى ولا سيما النقد الألمانى قد أثبت بعد أبحاث مستفيضة فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى وإنما كتبها أحبار لم يذكروا اسمهم عليها.. (١٢٦)

ويشير الأستاذ فيشر فى كتابه عن تاريخ أوربا فى العصر الحديث إلى الأسفار القديمة ويقول إنها غدت منذ عام ١٨٦٤م تقريبا موضع الفحص الدقيق والامتحان الشديد، وغدت التوراة كتابا عاديا لا سفرا مقدسا له مكانته الخاصة.

ويقول أنيس فريحة : هناك شبه إجماع على أن أقدم كاتب ظهر فى يهوذا فى القسم الجنوبى من فلسطين فى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد وحاول أن يكتب قصة الخليقة والخطيئة الأولى والطوفان، وقصة موسى وإخراج بنى إسرائيل من مصر ودخولهم أرض كنعان، ثم جاء بعده كاتب دينى آخر كان يسكن شمال فلسطين ويسمى بالكاتب الألوهيمى، ثم كاتب آخر من يهوذا يدوّن تاريخ العبران استعان بالمصدرين اليهودى والألوهيمى. وفى القرن السابع ق.م قام كاتب آخر يعرف سفر التثنية ثم قام كاتب يعرف بالكاتب الفكهنوتى الذى يمثل مدرسة الكهنة التى نشأت بعد خراب الهيكل عام ٥٨٦ق.م (١٢٧)

وتشير الأبحاث إلى أن القسيس الفرنسى ريتشارد سيمون وضع عام ١٦٧٨م مؤلفا مبتكرا فى نقد التوراة عنوانه : (تاريخ انتقادى للعهد القديم) أشار إلى أن العهد القديم كما هو متداول معروف يعتمد على مخطوطات ترجع إلى القرون الوسطى وإن كثيرا منها ذات مصدر مجهول أو مشكوك فيه وأن النساخ من الرهبان قد أدخلوا فيها كثيرا من الأخطاء والتحريفات.

وأشار الباحثون إلى أن النتائج التى حققتها العلوم الحديثة والعلوم الطبيعية قد أثبتت خطأ وزيف كل ما أوردته التوراة من معلومات عـن عمـر الأرض وفلك الشمس والجنس البشرى وأصل الإنسان، ولم تعد التوراة أكثر مـن أثـر أدبى وليس من كلام الله المنزل.

وفى العصر الحديث جرت مراجعات ودراسات واسـعة حـول التـوراة وعمدت الصهيونية إلى ضمها إلى الإنجيل (أو ضم الإنجيل إليها) وطبعها تحت اسم الكتاب المقدس وترجمتها إلى ٤١٢ لغة غير اللغات الأوربية.

ويشير جرجى زيدان إلى أن أقدم ترجمة للتوراة إلى اللغة العربية هـى ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومى المتوفى سنة ٩٤٣م وكان إسرائيليا من الطائفة الربانية، وفى العصر الحديث ترجمتان لتوراة قام بـالأولى منهـا المرسـلين الأمريكيين،والأخرى الآباء اليسوعيين وبينهما فارق فالأولى حرفيـة محـضة والثانية تقوم على المعانى مع تجاوز الأصل العبرانى.

والتوراة كتاب يضم تقارير عن فترات من التاريخ تبدأ من خلق آدم إلى ما قبل ظهور المسيح وهو حافل بالقصص التى تظهرهم كمشكلة لغيرهم من الشعوب القديمة : المصريين، الكنعانيين، الفلسطينيين، العماليق، الموآبيين، البابليين، الفرس،الرومان.وبعض التاريخ الروماني والمسيحى حكايات حولهم كمشكلة سرعان ما تنتقل لعرب الجزيرة وسرعان ما يظهرون أنفسهم كمشكلة للمسلمين، ويدور التاريخ دورة سريعة وتنتقل المشكلة لأوربا وتبرز في ألمانيا بالذات، ثم يدور التاريخ دورة لا تكاد تذكر ولكنها تكفي ليظهَروا علي المسرح من جديد كمشكلة ولكن في الشرق الأوسط، وهم فى كل مسرح ظهروا عليه لم تجد الشعوب من حل لمشكلتهم إلا الحرب والقتال.

التلمـود : (١٢٨)

كلمة التلمود بمعناها اللغوى هو كتاب لليهود يضم مجموعة التعاليم والتقاليد والأحكام الفقهية المنقولة شفويا عن أحبارهم القدماء وكلمة "تلمود" مستخرجه من كلمة "ليمود" التى تعنى تعاليم – وبالمجاز المرسل تعنى هذه الكلمة : الكتاب العقائدي الذي وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه .

أصل التلمود : الرابّيين (جمع رابّى وهو رجل الدين اليهودى) يعتبرون أن موسى هو المؤلف الأول لهذا الكتاب .ويفسرون ذلك مع التأكيد أنه :

بالإضافة إلى القانون المكتوب على ألواح من الحجر الذى تسلمه موسى من ربه على جبل سيناء (وهذا القانون يُدعى عند اليهوديه توراه شيبكتاف) فقد تسلم موسى أيضا من الله تفسيرات وشروح لهذا القانون أو ما يدعى بالقانون الشفوي (توراه شبعل بيه)، وفى توضيحهم للقضية يقولون : إن هذا هو السبب (أى تلقين الله ـــ سبحانه وتعالي ـــ للنبى موسى عليه السلام القانون الشفوى) فى بقاء موسى لوقت أطول مما هو محدد له على جبل سيناء. لأنه (جل وعلا) كان بمقدرته تسليم موسى القانون المكتوب خلال يوم واحد فقط. (١٢٩)

نقل موسى هذا القانون الشفوى إلى " جوشوآ" (يوشع بن نون) وهذا نقله إلى الشيوخ السبعين، وهؤلاء بدورهم نقلوه إلى "الرسل" الذين انتهوا بنقله إلى "كبير اليهود". كما يقال إن هذه "الرسالة " نقلت بالتتالى إلى عدد من الرابّيين، حتي جاء حين من الدهر بات من المستحيل استيعابها والحفاظ عليها شفويا، وحين بدأت معرفة اليهود تتناقص وأخذ هذا القانون الشفهي يندثر قام الرابي "يهودا" فى القرن الثانى الميلادى بجمعها فى كتاب "سيفرميشنا أوت " وقسمه إلى ستة أجزاء تحت مسمى " القانون المساعد" (١٣٠)

* المشنا فى الفكر اليهودى : هو الجزء الرئيسى والأساسى لـــ "التلمود" والمرجع الرسمى الموثوق به، اعتمد عليه اليهود فى كل مكان.

* الجمارا : وهى نسختان:نسخة بابل ونسخة فلسطين، وهى الشروح وتفسير المناظرات والأحكام اللاحقة المضافة إلي المشنا " توسيفوث " تضاف إلى السابق كجزء جديد. وقد أضاف الرابّى "آشير" وكذلك أضاف "موسى بن ميمون" . (١٣١)

شـــُكـــل التلمود كوحدة متكاملة من العناصر الستة التالية :

الميشنا، الجمارا، التوسيفوث، الملاحظات الهامشية للرابّي آشير، البيسك توسيفوث، البيروث هامشيني ـــ أوت. الذى وضعه موسى بن ميمون، وحين جُمِعَتْ هذه الشروح تكونت منها أسس الدين اليهودي.

جزء من الأجزاء الستة التالية يسميها اليهود: " شيشاه سيداريم " (الأقسام الستة) وينقسم كل منها إلى ١١ كتاب أو كراسة تسمى " مسيختوت " وهذه بدورها مقسمة إلى فصول "بيراكيم " كما يلى على سبيل المثال :

أ ـــ زراعيم : وهو جزء خاص بالبذور ويبحث في شئون الحبوب والفواكه والأعشاب والأشجار ويحدد كيفية الإستعمالات العامة والمنزلية للفواكه

والحبوب المختلفة.

ب ـ موعيد : خاص بالأعياد ويبحث في تحديد الأوقات التي يجب أن تبدأ وتنتهي عندها أعياد السبت وغيرها من الأعياد المشهورة.

ج ـ ناشيم : خاص بالنساء ويبحث في شئون الزواج والزوجات والمطلقات وواجباتهن وصلاتهن وكل ما يتعلق بأمراضهن :

د ـ نزيقين خاص بالأضرار والتعويض عنها ويبحث في شئون الأضرار التي تلحق بالرجال والحيوانات والتعويضات عنها وأنواع العقوبات.

هـ ـ قداشيم : خاص بالقداسة ويبحث في تقديم القرابين الإلهية وفي شئون سائر الطقوس الدينية الأخري.

و ـ طهاروت : خاص بالطهارات ويبحث في شئون قذارة الأواني وثياب النوم وغيرها من الحاجيات ونجاستها، ويعيّن طرق تطهيرها بالرمال.

ولنأخذ البند الأول السابق آ ـ وهو زيرائيم ويضم ١١ كتاب كما يلي :

١ـ بيراخوت :خاص بمنح البركات والصلوات، ويبحث في شئون القواعد والطقوس الدينية

٢ـ بيئاه : خاص بزاوية الحقل وكل ما يُلتـقط منها.... ويجب ترك الزيتون والعنب للفقير.

٣ـ دماى:خاص بالأمور المشكوك فيها والمبهمة مثلا إذا كان يجب دفع الضريبة العشرية من عدمه.

٤ـ كِلائيم : خاص بالمزائج (جمع مزيج) ويبحث في المزائج المختلفة للبذور.

٥ـ شفيعيت: خاص بالسابع ويبحث في كل ما يتعلق بـ "السنة السبتية".

٦ـ تروموت : خاص بالتقدمات الدينية والقرابين من أجل الكهنة.

٧ـ معسورت : خاص بالضريبة العشرية التي تعطي إلى اللاوين (قبيلة عبرانية)

٨ـ معسرشينى : خاص بالضريبة العشرية الثانية.

٩ـ حلا : خاص بالعجينة ويحدد حصة الكهنة منها.

١٠ـ عرلة : بمعنى غرلة أى غير المختون (الوثنى) ويبحث فى شئون ثمارالشجرة خلال السنوات الثلاث الأول بعد زراعتها.

١١ ـ بيكوريم : الثمار الأولى الواجب تقديمها إلى الهيكل.

(كان هذا علي سبيل المثال) وهكذا..

ولما كان التلمود كتاب ضخم ذا طبيعة فوضوية وكانت الحاجة ملحّة إلي إيجاد خلاصة وافية عنه تـُيسر دراسته.. فقد عمد الرابّى اسحق بن يعقوب الفاسى في سنة١٠٣٢م إلى إصدار تلمـــود مصغر عنوانه : " هالاخوث " يعني (الأعراف) بعد حذف جميع المناقشات الطويلة وحافظ فقط علي المقاطع المرتبطة بشئون الحياة العملية.

ويعتبر موسي بن ميمون أول من نشر عملا منظما عن " القانون اليهودي(١٣٢)" فلقبَ بَلقب باسم " نسر المعبد" حيث أخرج عمله الشهير سنة١١٨٠م بعنوان "ميشناه توراه" أى (إعادة القانون) أو " يد حزقا " بمعنى (اليد القوية) ويضم أربعة مجلدات تتألف من ١٤ كتابا يشتمل علـــى التلمود كله، وأضاف بحثا فلسفيا ضخما حاول فيه إيجاد تشريعات من عنده فنبذه قومه دينـــيا وحُكم عليه بالموت ففـــر إلي مصر حيث مات سنة ١٢٠٥م، بعدها اتضحت أهمية كتابـــه وظهرت نسخة معدلة من كتابه اعتبرت أفضل نـُسخ التلمود، وظهرت بعد ذلك طبعة أخرى من كتابه حُذفـــت منها جميع ابتداعاته الفلسفية وألغيت منها قوانين عتيقة عديمة الفائدة صـــدرت عام ١٣٤٠م بإجماع آراء الرابّيين سميت باسم "الأنظمة الأربعة " وهي كما يلي :

* أورها حييم : أصول الحياة " يبحث في الحياة اليومية في البيت والمجتمع اليهودي والكنيس

* يوريه ديعا : خاص بتعليم المعارف عن الطعام وتطهيراته وغيرها من القوانين الدينية.

* شوشين هامّيشبات : الأحكام الخاصة بالقوانين المدنية والجنائية.

* إيفن هعيزر : (صخرة العون) التي تبحث في قوانين الزواج.

ونظرا لاختلاف آراء المنظـــّرين ابن ميمون وابن آشير والفاسى، فقد بادر رابّي فلسطين جوزيف كارو بتعليقه على "أربعة توريم" الذي سُمي " شولحان عاروخ "أي (المائدة المُرتبة)،

بعدها قام الرابّي موسى إيسيرلس بإعداد تعليق على (المائدة المُرتبة) باسم " دارخي موشى " أى طريق موسى الذي لاقى في الغرب قبولا يوازي ما لاقاه فى الشرق كتاب جوزيف كارو (١٣٣)

وظنون المسيحيين بالتلمود مثبتة بوفرة فى كثير من المراسيم والقرارات الصادرة بشأنه وتحريمه رسميا في كثير من الأزمان وحـــُكم عليه بالحرق..

ففى سنة٥٥٣م حَرّم الإمبراطور جوستنيان نشر وتوزيع الكتب التلمودية فى جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية. وفى القرن الثالث عشر أدان كل من البابا جريجورى التاسع والبابا إينوسنت الرابع (البرئ) كُتب " التلمود" لاحتوائها على كل أنواع التحقير والتجديف ضد الحق المسيحي، وأمرا بإحراقها لأنها تؤدى لانتشار هرطقات رهيبة.

بعد ذلك أدان الكتب التلمودية كثيرٌ من الأحبار الرومانيين أمثال يوليوس الثالث، بول الرابع، بيوس الرابع، جريجوري الثالث عشر، كليمنت الثالث وغيرهم... الذين أصدروا نشرات جديدة بالكتب المحرّمة وفقا لآراء آباء مجمع الثلاثين السارية المفعول حتى يومنا هذا (١٣٤)

وفي مجمع زعماء الدين اليهودى المنعقد فى بولندا ١٦٣١م أعلن رابيّو ألمانيا وغيرهم أنه يجب ألا يُطبع أيُّ شئ يضايق المسيحيين مما يؤدى إلي اضطهاد الإسرائيليين.

وثمـّة إضافة بعض الملاحظات على كتاب آخر لليهود مشهور جدا هو " زوهار" : ووفق ما يقوله بعض الرابّيين أن موسى ــ عليه السلام ــ بعد ما عُلـّم تفسير القانون علي جبل سيناء لم ينقل هذا العلم إلى " يوشع "، ولا إلى الشيوخ بل نقله إلى هارون مباشرة، وهذا نقله إلى إليعازر.. إلى أن جُمعت التعاليم الشفوية فى شكل كتاب دُعى " زوهار"نسبة إلى " الضياء" ويتألف من ثلاثة مجلدات من القطع الكبير.

وهناك كتب كثيرة مستخرجة من التلمود بمعرفة الرابّيين تبحث فقراتها في مولد المسيح وحياته وموته وتعاليمه، لكنها لا تشير إلى اسمه بل تطلق عليه أسماء عديدة مثل : ذاك الرجل، رجل معين، الرجل الذي شـُنق، ليُمحَ اسمه وذكره، وعلي سبيل المثال :

المسيح في التلمود : (١٣٥)

الاسم الأصلي للمسيح فى العبرية هو"يشوع هانوتسرى" أي يسوع الناصرى نسبة إلى مدينة الناصرة التى نشأ بها. و"يشوع" مقتبس بحقد من تركيب الأحرف الأولي للكلمات الثلاث : " يمح شيمو فيزيكرو" يعني ليمح اسمه وذكره. والتلمود يدعو المسيحيين بالعبرية : نوتسريم : أي الناصريون.

يُدعي مسيحي من يتـّبع التعاليم الكاذبة لذاك الرجل الذي يُعلـّمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلى السبت. " نجار ابن نجار"(علي سبيل

التحقير).

حياة المسيح : (١٣٦)

ويعلــّم **التلمود** أن" المسيح كان ابنا غير شرعيا حملته أمه خلال فترة الحيض وأنه مجنون، مشعوذ، مُضلــّل، صُلِب ثم دُفن في جهنم فنصّبه أتباعه منذ ذاك الحين وثنا لهم يعبدونه ".

" أخيرا فقد لقى ميتة حقيرة بشنقه علي صليب في ليلة عيد الفصح اليهودى عقابا له علىٰ جرائمه وعقوقه ".

" الناصرى هو الذى يتــّبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة فى اليوم الأول التالي للسبت ". وهناك الكثير جدا من مثل هذه السباب مثل (ابن غير شرعى، حملته أمه وهي حائض).

سرّية التلمــود : (١٣٧)

الدين اليهودي بعد تحريفه بمعرفة الكهنة علي مرّ العصور أصبح منظمة قتالية تلبس لبوس الدين غايتها الاحتفاظ بنقاوة الشعب اليهودي، وليس هناك أي ضرر أن حُطمت بعض الحقائق طالما أن الأساس لم ولن يُمس وطالما أن الذى يحطمه اليهود بمحاولاتهم العلمية هذه ليست كتبهم المقدسة بل فى الواقع هو كتاب المسيحيين المقدس، اذ دُمِجَ "العهد القديم" إلى "العهد الجديد" ليصبحا "الكتاب المقدس" لدى المسيحيين، أما كتاب اليهود المقدس الحقيقى فهو كما نعلم "التلمود" أما "التوراة" فهى كتاب تاريخى أسطورى فى معظمه. ولا خوف مطلقا على التلمود طالما أنه لم ولن يقع في أيدي العامة، حتى اليهود منهم، وطالما أن ما كــُتب فيه منذ أقدم العصور لا تجرى مناقشته أو تحريفه ولاحتى تعديل صفحاته فى الطبعات المتتالية.

وهناك حادثة فريدة وقعت تعطينا فكرة واضحة عن حرص اليهود على سرية التلمود: ففى حادثة الراهب توما الذى قــُتل فى دمشق عام ١٨٤٠م قــُبض على الحاخام موسى أبوالعافية الذى اعتنق الإسلام فيما بعد وقام بترجمة نصوص سرية من التلمود وأعطاها إلى الوالى شريف باشا ومستشار قنصلية فرنسا الذى كان يتابع القضية باهتمام بالغ، فلما بلغ الأمرُ أعيانَ اليهود فى دمشق حاولوا رشوة المدعو/ خليل الصيدناوى وهو صاحب حانة فى حى اليهود بمبلغ نصف مليون قرش ذهبى وذلك بحضور قنصل النمسا وبواسطة اسحق بتسوتو، لاتهام نفسه بالجريمة ثم يعطوه بعد ذلك الأمان الكامل من العقاب على

الشكل الذى يطلبه، أما الشرط الذى طلبه اليهود فهو "عدم الفحص والتدقيق الجارى فى كتب ديانتهم، ويلتمسوا عدم ذكر التفسيرات التى استخرجها أبو العافية من الكتب العبرانية ــ بجرنال القضية، بل ويترجّوا إعدامها نهائيا، لأن ذلك مهين للطائفة "، وأن الجائزة لأجل ذلك خمسمائة ألف قرش.. وقد شمل "جرنال" القضية مـــــــن

الصفحة ٢٤ الي ٢٩، ومن ٣٠ إلى ٣٥ فقرات مطولة من التلمود ترجمها إلى العربية العامية الحاخام السابق أبو العافية وصادق علي صحتها يعقوب العينتابي وهو ربّى اليهود فى الشام فى ذلك الوقت •

أيضا ذكر الدكتور حسن ظاظا نفس الواقعة (١٣٨) وأن النائب الفرنسى المحامي أدولف كريمييه كان عضوا في مجلس النواب الذي أثار حملة ضد محمد على باشا – الوالى العثمانى على مصر والشام بسبب " فتنة الدم" فى دمشق عام ١٨٤٠م عندما اختفى الأب الراهب الفرنسيسكانى توما، رئيس ديرهم في دمشق واتهم الجمهورُ الجالية اليهودية بذبحه واستعمال دمه في طقوس سحرية فى إعداد خبز عيد الفصح. فأمر محمد على عامله على الشام "شريف باشا" بالتحقيق فى هذه التهمة، وقام "كريمييه " بتحريض الصحف الأوربية علىّ محمد علي وعلى الأساليب الوحشية المتبعة فى التحقيق مع المتهمين فى بلاد المسلمين. وأيضا خاضت انجلترا فى هذه "الفتنة " فى ذلك الوقت مع المحامي اليهودي "كريمييه"، وتراجع محمد على أمام هذه الكتلة المعادية له وآثر اللين والتفاهم، ودعا " كريمييه" الفرنسي للمفاوضة فى قصر رأس التين بالاسكندرية فحضر هو واللورد مونتفيورى البريطانى، وبصحبتهما المهندس الزراعى شارل بنتر والمستشرق سالومون مونيك وهما يهوديان، وأمر محمد على بإطلاق سراح المتهمين وإعطاء منحة من بيت مال المسلمين تعويضا عن الأضرار التي لحقت باليهود أثناء هذه الفتنة. بل حصل "كريمييه" علي إقرار كتابى من محمد على بتبرئة اليهود من "تهمة الدم "، وأخذ مونتفيورى هذا الإقرار إلى اسطامبول حيث اعتمده السلطان العثمانى، وفى الفاتيكان أعطى منحة دسمة لرئيس رهبانية الفرنسيسكان مقابل أن يأمر بإزالة لوحة حجرية على حجرة الراهب توما فى دمشق تقول "قتلته يد يهودية أثيمة لإدخال دمه في إعداد خبز الفصح"، فتمَّ له ما أراد.

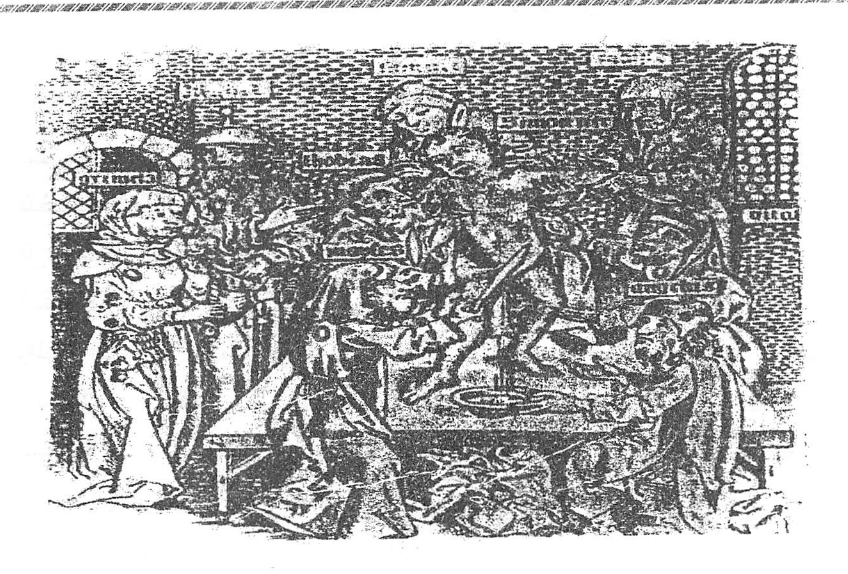
تهمة الدم في أوربا : (١٣٩)

وقد وُجهت تهمة دم إلى أعضاء الجماعات اليهودية فى نوروويتش بانجلترا عام ١١٤٤م بأن بعض أعضائها قد ذبحوا طفلا يدعى ويليام عمره أربعة أعوام ونصف في الجمعة الحزينة.

(وقد نصّب وليام هذا قديسا فيما بعد)، وقد أشار أحد اليهود المتنصرين إلى أنه من المعتاد أن تقوم إحدى الجماعات اليهودية فى إحدي مدن أوربا بذبح طفل مسيحى فى يوم عيد الفصح المسيحي (إيستر) الذى يقع عادة فى نفس تاريخ عيد الفصح اليهودى (بالعبرية : بيساح).

أيضا وُجهت "تهمة دم "أخرى فى مناطق مختلفة من إنجلترا بين عامي ١١٦٨ و١١٩٢. وقد تسربت الفكرة إلى فرنسا فوجهت التهمة إلى الجماعة اليهودية فى " بلوا " عام١١٧١م، كما وجهت التهمة خمس عشرة مرة فى القرن الثالث عشر ومن بينها حالة هيو من بلدة لنكولن عام١٢٥٥م التى ذكرها تشوسر فى حكايات كانتربرى، وقد استمر توجيه التهم حتى منتصف القرن العشرين ومن أشهرها حالة دمشق ١٨٤٠م (السابق ذكرها) وقضية بيليس ١٩١١م

وتقوم فلسفة التلمود علي العمل على إذلال البشرية وتسخيرها لليهود ونسف جميع المدنيات والحضارات وإزالة الأديان السماوية لتحل محلها الفلسفة الحاقدة على البشرية وليقوم مُلك اسرائيل ٠



بعض اليهود يتزفون دم طفل مسيحى لاستخدامه
فى احتفالات عيد الفصح (مخطوطة مصورة
من ألمانيا فى القرن الخامس عشر)

وأول من جمّع تفسيرات المشنا هو الحاخام "بوخاس"، وقد ترجم يوسف مويال مبحثا واحدا من القسم الرابع وهو مبحث " الآباء " (بيرقى آثوت).

والتلمود لا توجد له ترجمة عربية حتى الآن، **وإنما توجد ترجمة كاملة لمتن التلمود إلى العربية قام بها الدكتور مصطفى عبد المعبود سيد الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية بجامعة القاهرة وهى ترجمة أقسام المشنا الستة.** (*)

وقد طبعت نسخة أورشليم مرتين فى سنة ١٥٢٠ م في البندقة إيطاليا).

وكان للتشتت الذي تعرض له اليهود بعد مذبحة الرومان سنة ١٣٥م أثره في بناء هذا الفكر الذي قام علي أساس التآمر علي البشرية.

وقد وضعت تراجم عديدة للتلمود إلي عدة لغات لكنها محذوفة الحواشى والأقسام التى لا يجوز الإطلاع عليها لغير الحاخاميين المتقدمين فى اللاهوت، أما النسخة العبرية الأصلية من تلمود بابل فيجرى إعادة طبعها فى إسرائيل فقط وتطبع كل مائة سنة.

الشريعة : (١٤٠)

من خلال روايتهم عن موسى، فرض المؤلفون البابليون على شعبهم "الشريعة" المنزلة من الله وقد تُوّجت بتعليمات رهيبة على اليهود اتباعها لكى يستحقوا "الوعد" وغاية هذه "الشريعة" كما يظهر للقارئ تنظيم الشعب اليهودى تنظيما قتاليا يجعلهم أهلا للسيطرة على أعدائهم من الجوييم."والشريعة" تركزعلى الحقد الأبدى الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين، أى "الجوييم" : "والزنابير أيضا يرسلها الرب إلهك عليهم (!) حتى يفنى الباقون والمختفون من أمامك.لا ترهب وجوههم لأن الرب إلهك فى وسطك إله عظيم ومخوف. ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلا قليلا.لاتستطيع أن تفنيهم سريعا لئلا تكثر عليك وحوش البرية. ويدفعهم الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطرابا عظيما حتى يفنوا.ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو إسمهم من تحت السماء".(تثنية٧)

هذه خلاصة "الشريعه" لنيل "الوعد". وأوامر القتل الجماعى هذه تتكرر فى كل التوراة التى تنظم حياة وتفكير اليهود وعاداتهم.

وكلم الرب موسى قائلا انتقم نقمة بنى إسرائيل من المديَنيّين (أهل مديَن)... فقاتلوا مديَن كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر.. وسبىَ بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، لكن موسى رغم ذلك لم يكن راضيا عن كل ما حدث فقد ترك جندُهُ الأطفالَ أحياء.... فسخط موسى وقال لهم : " فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة، أما إناث الأطفال فاستبقوهن لكم. (عدد ٣١)

ونحن نعلم أن موسي حين هرب من مصر استقبله فى مديَن كاهنها "يترو " (النبى شعيب) وآواه وزوّجه إحدى ابنتيه..! فهل يكون هذا رد الجميل من موسي!!.

وهكذا..إلههم " يهوه " يدفع إليهم بكل شعوب " الجوييم "ليفعلوا بها ما فعل موسى بمديَن، فقد سمع الرب صوت إسرائيل ودفع إليهم الكنعانيين فأبسلوهم هم ومدنهم، وكذلك دفع إليهم بأريحا فأبسلوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ وحتى البقر. (يشوع ١٢)

المدراش : (١٤١)

هو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه تعمّق في الدراسة وهو علي نوعين : مدراش حلخا المتعلق بالنصوص التشريعية، ومدراش هاجاداه، وقد تناقلهما العلماء اليهود شفاهة من جيل إلى جيل إلى أن

جرى تدوينهما فى القرن السادس الميلادى، **والمدراش** توسع شفهى فى نص توراتى بكثير من التصرف فى معظم الأحيان لكنه بعد تدوينه يصبح جزءا من التراث اليهودى.

الأمـــم : (١٤٢)

يستعمل اليهود عند تكلمهم بالعربية كلمة **(الأمم)** بمقابل كلمة **(جوييم)**، ولعل أوضح تفسير لمعني كلمة "**جوييم**" أو "**الأمم**" ما ذكر الدكتورأسد رستم في كتاب" الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد على "الصفحة ٢٠من الجزء ٥ (طبعة الجامعة الأمريكية بيروت ١٩٣٣) بنصه الحرفى : "الاثنين ١محرم ١٢٥٦هــ الموافق ١٥ آذار مارس ١٨٤٠ م بحضور الخواجه بودين كونسلير قنصلاتو فرنسا سُئل محمد أفندى أبو العافيه (وهو الحاخام موسى أبو العافيه) الذي أسلم أثناء المحاكمة :

- فى التلمود فى دين اليهود ماذا يقولون عن " **الأمم**" التى خارجا عن بنى إسرائيل؟ جاوب : (يقولوا تفسير لكلمة "**جوييم**" أو"**الأمم** "يقولون عنهم بهايم وحواوين).

(ومن ذلك تحقق لهم أن بقية " **الأمم**" بهايم وهم (أى بني اسرائيل فقط بشر) نفس المرجع السابق ص ٢٧ يقول المرجع أن الحاخام السابق أبا العافيه ترجمها من الورقة ٣٥ من سفر" عابودا زاره" من التلمود وقد صادق على هذه الترجمه الحاخام يعقوب العينتابى الحاخام الأكبر للشام وكذلك ترجم النص التالى من الورقه ٦٢ من "سفر عروبين" وصادق على ذلك الحاخام العينتابى.

الجوييـــم : (١٤٣)

المفرد جويي والجمع **جوييم** وقد ترجمت هذه الكلمه في النص الإنجليزي الى **الأمم** أو الشعوب من غير اليهود أو الغرباء الذين لم يقبلوا اليهودية كدين، وتعني كلمة **جوييم** بالنسبة لليهودي تارة : العدو العالمي المكروه ٠ وطورا : السعادين الحليقة المحتقــَرة والحبيبات البشرية، أو قطع **الجوييم** أو الإرث الذي وعدهم به " يهوه "

اسماء يطلقونها علي غيرهم :

*جوى : عرق، أو شعب (غير يهودي)

*نوخريم : الأجانب الأغراب ويستعمل للدلالة علي جميع من ليسوا يهودا.

*عام ها آرتس : وتطلق على اليهود الذين لا يعرفون أحكام التوراة ولا التلمود،

أى الشريعة بشكل عام.
*باسار قدام : لحم ودم (الرجال غير الروحيين) كُتب عليهم الهلاك فى قرار الجحيم.
*أبيقوريم : أبيقوريون ويطلق هذا الإسم على جميع الذين لا يطيعون الله وأوامره.
*كوثيم : سامريون (نسبة إلى السامرا فى فلسطين) علي اليهودي ألا يرافق الأغيار لأنهم مدمنوا إراقة الدماء. (!!)

الكتبة : (١٤٤)

وهم مدونو الشريعة وبالعبرية "سوفير" أى كاتب الأسفار ويُقصد بكلمة كتبة بشكل خاص ــمدونو الشريعة والكتب المقدسة بعد السبى إلي بابل ــ إلي جانب الفريسيين، ولهؤلاء فى " العهد الجديد" سمعة سيئة جدا إذ يحمّلهم المسيح وتلاميذه على السواء مسئولية التحريف الكبير في الكتب المقدسة السابقة ويشار إليهم دوما فى العهد الجديد بكثير من الاحتقار والازدراء : " الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون". لكنهم عند اليهود الأورثونكس (الملتزمون) ويتمتعون بسمعة ممتازة واحترام زائد.

الفريسيون : (١٤٥)

كلمة مشتقة من الأرامية وتعني المنشقين. تقول الموسوعة اليهودية : " وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين (أسرى بابل) منظمة حسب تعليمات الفريسيين وأعطيَ وجه جديد للتشريعات السابقة (السنهدرين)

إله إسرائيل : (١٤٦)

على الأبرياء من المسيحيين أن يتذكروا دوما ما هو مفهوم اليهود لإلههم القبلى " يهوه"، وأن يتذكروا أيضا أن الجويم ليس لهم الحق فى تسميته إلها لهم، أى إله لغير اليهود. إنه رب إسرائيل، وإسرائيل وحدها، قدّوس إسرائيل الأوحد : لأنك أنتَ شعبٌ مقدّس" للرب إلهك.إياك قد اختار الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التى على الأرض (تثنية ٧) أنا الرب إلهكمالذى فرزكم من بين الأمم، ويتساءل المر بشئ من الاستغراب من هو الذى اختار الآخــــــــر أهو الرب الذى اختار شعبه أم هو الشعب الذى اختار ربه ؟ (العدد ٥٥:٣٣)

أما الآلهه الأخري فقد أتي ذكرها باستمرار في العهد القديم أذ أضاف الفريسيون فكرة جديدة أخاذة الي مفهوم الرب القــبَلي السامي لدي اليهود :

سيقوم (**يهوه**) علي تحطيم الآلهة الأخري ويحكم حينئذ وحده دون غيره من الآلهه اذ يكون قد انتصر عليهم فيستأصل جميع آلهة الأرض ويُسجد له ٠

يهـوه : (١٤٧)

" **يهوه** " هو اسم إله اليهود القبلي وطريقة لفظ هذه الكلمة مجهولة وتطلق عليها عبارة " الكلمة الرباعية " وتكتب YHWH دون أحرف علة، وتكتب أحيانا YEHOUAH باعتبار أنها أقرب الي طريقة لفظها المقدرة ٠

يتفق العلماء علي نظرية أكثر من غيرها تقول أن إله اليهود " **يهوه** " هو تطور طبيعي وبطئ في مرحلة تعدد الآلهة التي مر بها اليهود شأنهم شأن القبائل البدائية، وقد يكون نتيجة هذا التطور تلك الحرب الشعواء التي شنها " **يهوه**" من خلال التوراة علي غيره من الآلهة التي بقيت آثارها عالقة في أذهان اليهود المتعددي الآلهة بالفطرة ٠

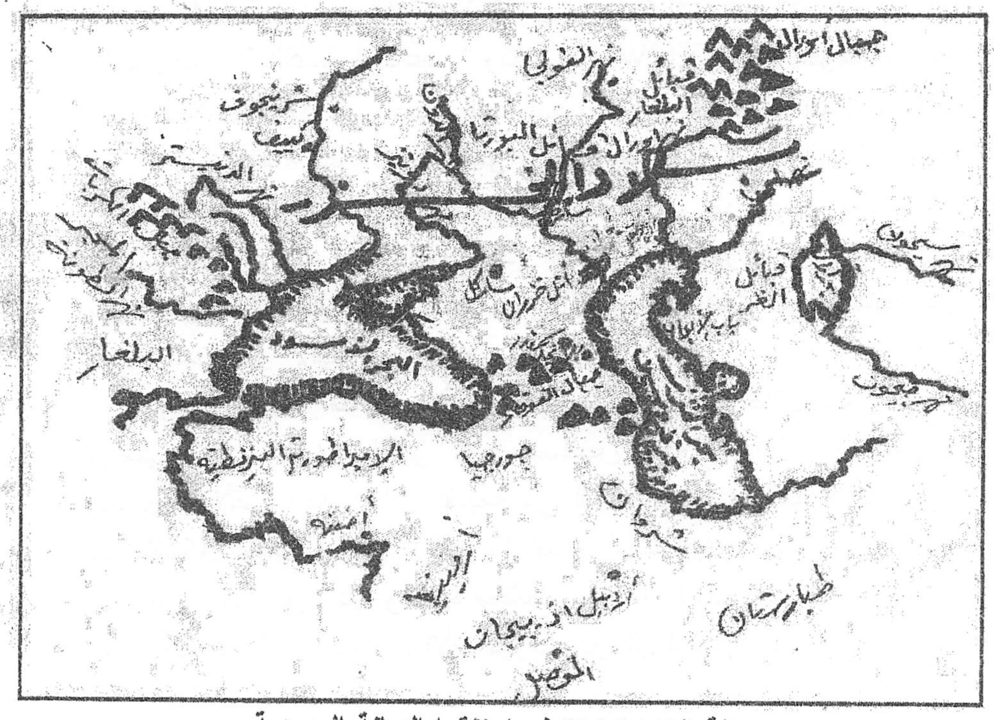
ويقول هومير سميث : (وقد اتخذ " **يهوه** " لنفسه خلال تطوره البطيء في فوضي تعدد الأديان الكثير من خصائص آلهة إسرائيل المتعددة) والصفة المشتركه لأكثر آلهة القبائل القديمة هي الحجر والنار، وتشترك هاتان الصفتان معا لتشكلا جبلا بركانيا : "هو ذا إسمه الرب (**يهوه**) يأتي من بعيد غضبه مضطرم والحريق شديد وشفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكلة وروحه كسيل طاغ يبلغ الي العنق فيغربل الأمم بغربال من البوار" (إشعياء ٣٠)

*****

الفصل الثالث

٢ ـ أشـــكناز

ليسوا من نسل إسرائيل ويمثلون تسعة أعشار يهود العالم



دولة الخزر ـ وكيف اعتنقوا الديانة اليهودية

* ظهور المسألة اليهودية

كنا فى الفصل الأول صحبة العلامة ابن كثير الذى طوّف بنا من بابل إلى الشام والحجاز، ومصر، حياة أبينا إبراهيم خليل الرحمن واستقر بنا المقام معه فى بيت المقدس، سفر طويل وزمن أطول بكثير، وقد عرّفنا على ذرية خليل الله إبراهيم من أنبياء ومرسلين، اتحدوا فى دعوة شعوبهم إلى الله، واختلفوا فى تلقى ما أفاء الله عليهم من النعم وما ميّز الله به بعضَهم على بعض. وانتهى بنا المقام عند نبى الله عيسى عليه السلام معجزة الله فى الخلق ـ والرفع. واختلاف الناس فيه وتفرقهم إلى مذاهب شتى.. كان الشرق الأوسط تحت حكم الدولة الرومانية وبعد رفعه عليه السلام بمدة طويلة اعتنقت الدولة الرومانية الديانة النصرانية (*) كدين رسمى ورأى بنو إسرائيل الذين كانوا فى الماضى هم الفئة

الوحيدة على دين.. أنهم أصبحوا أقلية، وقد مَسَخوا ديانتهم التى جاء بها موسى والتى اختارهم الله لحملها ونشرها فى زمن جهالة الآخرين من البشر فهم حُمّلوا التوراة كتاب الله إلى موسى، فلم يحملوها بل جعلوها وراء ظهورهم.

وفي الفصل الثانى اقتربنا من بنى إسرائيل وتعرفنا على مسمياتهم والقليل من عناصر ديانتهم، وظروف إخراجهم من بيت المقدس وحرق نسخ التوراة بمعرفة بخت نصّر واستيطانهم فى عواصم ومدن الدولة الرومانية منذ القرن الأول الميلادى، وعلاقاتهم بحكومات ومواطنى هذه الدولة.

وفى هذا الفصل الثالث يصحبنا د. آرثر كيستلر ــ من دولة المجر ــ الذى يؤكد لنا بكل الوسائل أن يهود اليوم هم من الخزر وموطنهم القوقاز ولا يمتــّون بصلة إلى فلسطين. ومن خلال المؤلف سنتعرف على آراء مؤرخين أجانب ورحالة عرب كثيرين. فسيرافقنا(عبر صفحات كتابه، الأسرع من ابن فضلان، وليكن هو مرشدنا فى بلاد الخزر.

لم يكن خاقان الخزر فى نظر السياسة الخارجية للإمبراطورية البيزنطية (المجاورة) أقل شأنا من شارل العظيم. وقد شَغلت بلاد الخزر ــ وهم شعب من أصل تركى ــ موقعا استراتيجيا رئيسيا فى المدخل الحيوى من البحر الأسود وبحر قزوين، وبذلك تكون قد حمت الدولة البيزنطية (المجاورة لها) من غارات قبائل البربر الأشداء من أهل السهوب الشمالية، ثم من الفايكنج الروس. كما وقفت قوات الخزر سدا منيعا ضد زحف المسلمين العرب على أوربا الشرقية عقب وفاة النبى محمد صلى الله عليه وسلم.

جذور المسألة الخزرية :

فى القرن الأول الميلادى، وعلى الحدود الغربية لدولة الصين، طارد سكان هذه المناطق جيرانهم المزعجين من قبائل الهون ــ ودفعوهم غربا.. وبهذا تكون قد بدأت واحدة من تلك الإنهيارات المدمرة التى اندفعت بقوة من آسيا نحو الغرب لعدة قرون فى مرحلة التكوين (حوالى أربعة قرون).

إذن فالخزر قبيلة تركية انطلقت من السهوب الآسيوية فى القرن الخامس الميلادى.وإسم(الخزر) والاشتقاقات الحديثة التى أثارها يُرجّح أن اللفظ مشتق من اللفظ التركى " جاز" وهو فعل معناه يتجوّل، يعنى (البدوى) أو الهائم على وجهه، والاشتقاقات الحديثة منه هى : القوزاق الروسى، والهوزار المجرى وكلاهما يعنى الفرسان المحاربين وكذلك اللفظ الألمانى " كتزر" ومعناه المارق.

وبذا يكون من الواضح أن الخزر كان لهم تأثير ما على خيال مختلف شعوب القرون الوسطى.

وهناك مجموعة حوليات فارسية وعربية تضم جملة من الأساطير والأقاويل تُرجع أصول الخزر إلى يافث بن نوح، فإذا دخلنا مجاهل التاريخ، فأقدم هذه الحوليات هي لزكريا رايتور ـ كتبها شخص مجهول وأسندت إلى مؤرخ إغريقي وترجع إلى منتصف القرن السادس الميلادىوجاء فيها ذكر الخزر أنهم يسكنون إقليم القوقاز، بل إن هناك مصدر أقدم يفيد وجود الخزر على مسرح الحياة قبل ذلك بقرن، ويُعتبر بريسكس من المصادر الرئيسة التى تؤرخ لقبائل الهون.(بما فيهم الخزر) وعن عاداتهم وتقاليدهم، يقول بريسكس : "إن الخزر والمجر وقبائل أخرى انحدروا من جماعة " أتيلا ".

مات أتيلا وترك انهيار امبراطورية الهون فراغا فى ميدان القوى ـ شرق أوربا. وهناك اندفعت موجات متتالية من الشرق إلى الغرب ومن أشهرهم الأوجور، الآفار، ويبدوا أن الخزر كانوا فى تلك الفترة مشغولين مغتبطين بغزوهم أقاليم غنية عبر القوقاز هى جورجيا وأرمينيا، وراحوا يجمعون منهم غنائم نفيسة. وأصبحوا خلال النصف الثانى من القرن السادس الميلادى سلطة مهيمنة من بين قبائل شمال القوقاز وامتصوا قبائل مثل السابير والساراجوار والسامندر والبلانجار..فلم يعد لهذه القبائل ملامح أو ذكر فى المصادر، ومنذ هذا التاريخ أخضعهم الخزرلحكمهم وأذابوهم، ورغم أن البلغار الأقوياء شنّوا أعنف مقاومة لكنهم هُزموا حوالى سنة ٦٤١م ونتج عن ذلك أنهم انشطروا جزئين : فريق منهم هاجر نحو نهر الدانوب إلى إقليم بلغاريا الحديث، واتجه الفريق الآخر إلى الشمال الشرقى نحو وسط نهر الفولجا. وبقى هذا الفريق تحت سيادة الخزر، وسوف نصادف فى كتب التاريخ أحيانا ذكر بلغار الدانوب وبلغار الفولجا وقبل أن يصبح الخزر دولة ذات سيادة، كانوا تحت سيادة مملكة "تركوت" التى كانت اتحادا جمع قبائل توحدت على يد حاكم قوى هو "الخاقان" وهو نفس لقب الحاكم الذى اتخذه الخزر فيما بعد. عاشت تلك الدولة التركية الأولى قرنا من الزمان تقريبا (٥٥٠ ـ ٦٥٠ م) ثم تفككت دون أن تترك أثرا.

كان الخزر قد خضعوا لسيادة الهون فى البداية، ثم لنفوذ الترك.. فلما سقط الترك فى منتصف القرن السابع الميلادى جاء دور الخزر فى حكم " مملكة الشمال" هذا المسمى الذى أطلقه عليهم الفرس والبيزنطيون.

مما سبق نستنتج أن لدينا ثلاث قوى فى تلك الفترة بالمنطقة : دولة الفرس، الدولة البيزنطية ودولة الخزر. كان لدى الملك الفارسى العظيم خسرو أنو شروان (يعنى المبارك) ثلاثة عروش ذهبية فى قصره خصصها لضيوف أباطرة (الصين وبيزنطة والخزر) حتى إذا قام أيهم بزيارة للفرس يستعمله، ولكن ذلك لم يحدث. (١٥/١٤٨)

عقد الإمبراطور الرومانى هرقل حلفا عسكريا مع الخزر سنة ٦٢٧م لمحاربة الفرس، وبناء عليه نقل الخزر خيامهم من سهول الفولجا إلى جبال جورجيا واستقبلهم هرقل قرب تفليس (العاصمة الجورجية) وقد عرض هرقل زواج ابنته للقائد والأمير التركى "زيبل" تأييدا لهذا التحالف إلا أن هذا الزواج لم يتم لوفاة زيبل أثناء إعداد العروس للزفاف.(١٦/١٤٩)

وهذه أيضا فقرة مثيرة فى حولية أرمنية نقلت نص ما يمكن تسميته " أمر تعبئة " أصدره حاكم الخزر للحملة ضد فارس، وكان الأمر موجها إلى : "جميع القبائل والشعوب (التى تحت حكم الخزر) وسكان الجبال والسهول الذين يعيشون فى بيوت أو فى الهواء الطلق، والذين حلقوا رءوسهم أو تركوا شعورهم طويلة (١٧/١٥٠)

كانت السطور السابقة كلها مقدمات لنتيجة هى كيف تبلورت الأوضاع والمواقف وأدت الأحداث إلى ظهور الخزر كدولة ثم كإمبراطورية.. والآن ظهرت لنا أول إشارة إلى التركيبة العرقية المتغايرة والمختلفة العناصر التى تألفت منها إمبراطورية الخزر والتى سنتعامل معها بهذا المسمى..والآتى سيبين لنا مدى قوتها والدور الذى قامت به فى المنطقة.

كانت مملكة الخزر محاطة بسلسلة محكمة من الحصون التى شكلت قوسا نصف دائرى تقريبا من القرم عبر السهوب المنبسطة فى الشمال أدنى نهرى الدونتز والدون ــ إلى نهر الفولجا وفى الجنوب جبال القوقاز ومن الغرب البحر الأسود، ومن الشرق بحر الخزر أو بحر قزوين، وكانت سلسلة التحصينات الشمالية تمثل سورا داخليا لحماية قلب بلاد الخزر المستقر، أما الحدود الفعلية لسلطانهم على قبائل الشمال فقد تذبذبت وفقا لنتائج الحروب، (وهو ما يمارسونه الآن فى فلسطين وما حولها من الدول الدول العربية، معتمدين على مساندة الغرب بكل ما يملك الغرب من وسائل) حيث سيطروا أو فرضوا الجزية ــ وهم فى أوج قوتهم ــ على ثلاثين عشيرة وقبيلة على أطراف حدودهم الشمالية والشرقية والغربية والمستعمرات القوطية والإغريقية فى القرم، والقبائل

الصقلبية فى الغابات الشمالية الغربية.

وفيما وراء هذه الأراضى الشاسعة الخاضعة لسيطرتهم قامت جيوشهم بشن هجمات على أرمينيا وجورجيا، وتوغلت فى أراضى الخلافة الإسلامية حتى الموصل جنوبا.

وحتى القرن التاسع الميلادى لم يكن للخزر منافس لسيادتهم على الأقاليم الواقعة شمال بحر قزوين وأقاليم السهوب والغابات المتاخمة لنهر الدنيبر. بل كانوا هم أصحاب السيادة العليا فى النصف الجنوبى لقارة أوربا الشرقية طيلة قرن ونصف من الزمان، وشكلوا سدا منيعا يحول دون أى زحف قادم من آسيا عبر المدخل القائم بين الأورال وبحر قزوين وصد الهجمات الآتية من الشرق (١٥١/ ١٠)

العرب والخزر :

لمـّا كانت بلاد الخزر تقع فى مسار الخط الطبيعى لزحف العرب فى أطواره الأولى عقب وفاة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ــ التى تدفقت شمالا مكتسحة كل شئ وصولا إلى الحاجز الكبير الذى هو جبال القوقاز، ولو تم لهم عبوره لأصبح الطريق أمامه مفتوحا لأراضى شرق أوربا، لكن العرب تقابلوا على خط جبال القوقاز مع قوات دولة عسكرية منظمة منعتهم من مد فتوحاتهم فى هذا الاتجاه، وما من شك فى أنه لولا وجود شعب الخزر فى الإقليم الشمالى من القوقاز لالتفـّت الجيوش العربية حول بيزنطة ــ حصن الحضارة الأوربية فى الشرق ــ ولتغير وجه التاريخ ولصار الإسلام بحق شيئا مختلفا جدا عما نعرفه اليوم. (١٥٢/٣)

إذن فقد حلـّت الجيوش العربية المسلمة (حديثا) محل دولة الفرس بعد فتحها إياها، فى الوقت الذى تفكك فيه الاتحاد الكونفدرالى التركى إلى عناصره القبلية. وبذا يكون قد ظهر مثلث جديد : دولة الخلافة الإسلامية، بيزنطة المسيحية، ومملكة الشمال الخزرية التى قـُدّر لها أن تتحمل وطأة هجوم جيوش المسلمين فى مراحله الأولى من هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سنة٦٢٢م وأن تحمى سهول أوربا الشرقية من الغزاة.

فتح العرب فارس ، والشام، والعراق، ومصر، وطوقوا قلب الأراضى البيزنطية فى نصف دائرة صعبة المراس امتدت من غرب البحر المتوسط ــ إلى القوقاز والشواطئ الجنوبية لبحر قزوين، وكانت جبال القوقاز عائقا طبيعيا

ولكنها لم تكن أشد وعورة من جبال البرانس (غرب المتوسط)..فجبال القوقاز يمكن التغلب عليها بعبور ممر داريل (ممر كازبك) أو بسلوك طريق جانبى عبر ممر " داربند " أو باب الأبواب، الضيق على طول شاطئ بحر قزوين، والذى كان بمثابة بوابة تاريخية اخترقها الخزر منذ أزمنة سحيقة خلال هجماتهم على البلاد الواقعة فى الجنوب بغية السلب والنهب ثم عادوا وانسحبوا منها واحتموا خلفه.

والآن حل الدور على العرب، ففى الفترة من سنة٦٤٢ ــ إلى سنة ٦٥٢م اخترق العرب بوابة " داربند " وتوغلوا في بلاد الخزر محاولين الاستيلاء على "بلانجار" أقرب مدنها، حتى يقيموا لهم موقعا على الجانب الأوربى من القوقاز. يكون بمثابة مركز انطلاق لزحف جديد، لكن ذلك لم يحدث حتى عام ٦٥٢م حيث خسر العرب المعركة فتوقف الزحف طيلة ثلاثين أو أربعين سنة تالية بأية محاولة ضد لخزر.

أخذ العرب يوجهون هجماتهم الرئيسية نحو بيزنطة وفى مرات عديدة حاصروا القسطنطينية (سنة٦٦٩، ٦٧٣، ٦٧٨، ٧١٧، وآخرها ٧١٨م) وفيها حاصروها برا وبحرا واستطاعوا أن يلتفوا حول العاصمة عبر جبال القوقاز وحول البحر الأسود وكان من المحتمل وقتها أن يتقرر نهائيا مصير الإمبراطورية الرومانية. (١٥٣)

فى هذا الظرف أخضع الخزر الشعوب المجاورة : البلغار والمجر وأوكرانيا والقرم، بقصد ضمّهم والحصول منهم على ضرائب، فأصبحت الدولة متماسكة بدرجة تمكنهم من اتخاذ موقف الهجوم على العرب.

حرب العرب الثانية (٧٢٢ ــ ٧٣٧م) وفيها انتحرت مدينة خزرية بكاملها (١٥٤) أشعل أهلـُها فيها النارَ رافضين الاستسلام. ومنها معركة أردبيل سنة ٧٣٠م التى وصلت قوات الخزر فيها إلى ديار بكر أكثر من نصف الطريق إلى دمشق العاصمة، ثم تقهقروا عائدين. وفى العام التالى تقدم مسلمة بن عبد الملك ــ الذى سبق له أن حاصر القسطنطينية بجيوشه ــ واستولى على بلانجر ووصل حتى سمندار لكن عجز أن يقيم قاعدة عسكرية دائمة فاضطر للإنسحاب عبرَ الجبال (١٥٤/أ) فتنفست الإمبراطورية الرومانية الصعداء فى شكل حلف أسَرى مع الخزر تمثل فى زواج وريث عرش الإمبراطور البيزنطى من أميرة خزرية.

آخرها كان بقيادة مروان (الخليفة مروان فيما بعد) الذى فاجأ الخاقان بهجومين فتقهرت جيوش الخزر حتى نهر الفولجا وأُجبرَ الخاقان على طلب الصلح فطلب منه مروان اعتناق الإسلام واستجاب الخاقان لطلب الخليفة، لكن كان ذلك مجرد كلام كاذب حيث لم يرد أىُ ذكر لهذا فيما بعد، وإذ قنع الخليفة مروان بالنتائج رحل عائدا عبر الجبال دون أن يترك وراءه حامية أو حاكما أو أى جهاز إدارى.. كانت الدوافع التى أثارت شهامة مروان موضع جدل شأنها شأن أمور أخرى كثيرة فى هذا الفصل الغريب من فصول التاريخ . (١٥٥)

وهكذا قُدّر لهذه الكماشة الإسلامية الهائلة (من جبال البرانس غربا – إلى جبال القوقاز فى شرق أوربا) أن تتوقف فى الطرفين فى حوالى الوقت نفسه، وفى هذه النقطة يتفق عالم الآثار المؤرخ أرتامونوف السوفييتى والمؤرخ الأمريكى دانلوب اتفاقا تاما، يقول دانلوب : " لولا الخزر لطوّق العرب بيزنطة حصن الحضارة الأوربية تجاه الشرق ولا اتخذ التاريخ مجرى مختلفا ". (١٥٦) ويرى أرتامونوف الرأى نفسه فيقول : " كانت بلاد الخزر أول دولة إقطاعية فى أوربا الشرقية تحتل مرتبة واحدة مع الإمبراطورية البيزنطية والخلافة العربية وكان لهجمات الخزر الفعّالة وحدها الفضل فى تحويل تيار الجيوش العربية إلى القوقاز وبذلك استطاعت بيزنطة أن تصمد أمامها". (١٥٧)

أيضا فى هذا السياق يقول أستاذ التاريخ الروسى فى جامعة أوكسفورد ديمترى أوبولنسكى : " كانت الخدمة الأساسية التى قدّمها الخزر لتاريخ العالم هى نجاحهم فى الصمود والدفاع عن خط القوقاز ضد انقضاض العرب نحو الشمال ". (١٥٨/١٨)

ابن فضلان..والبداية من بغداد : (١٥٩/١١)

من بلاط الخليفة العباسى المقتدر فى بغداد بدأت رحلة البعثة الدبلوماسية عبر فارس وبخارى – إلى أرض بلغار الفولجا – وكانت الذريعة الرسمية لهذه البعثة المهيبة : خطاب ملك البلغار يطلب فيه إلى الخليفة العباسى أن يرسل إليه فقهاء ليهدوا شعبه إلى الدين الإسلامى، ويبنى له مسجدا، وأن يشيّد له الخليفة حصنا يمكنه من تحدّى سيده ملك الخزر، فاستجاب الخليفة لكل ما طلب، فلنستمع لابن فضلان : " واختـُرتُ لقراءة رسالة الخليفة إلى الملك ولأسلمه الهدايا، ولأشرف على عمل المدرسين ومفسرى الشريعة، فبدأت البعثة رحلتها فى ٢١يونية سنة ٩٢١ م "

يروى محدثنا ما شاهده فى الطريق ويصف القبائل التى مر بها، إن الطريق المباشر من بغداد إلى الفولجا يتجه عبر القوقاز وبلاد الخزر، وقد تحاشت البعثة هذه البلاد فاضطرت أن تقوم بالتفاف كبير حول الشاطئ الشرقى لبحر الخزر ــ بحر قزوين ــ ورغم ذلك فقد نبّه أعضاء البعثة على نحو متواصل إلى قرب شعب الخزر منهم وإلى أخطاره الكامنة. وحين لاح فى الأفق خطر الخزر الجسيم ــ قام أعضاء البعثة بحركة التفاف أخرى شمال بحر قزوين قبل أن يصلوا إلى مخيّم البلغار القائم فى بقعة قرب التقاء نهرى الفولجا وكاما، وهناك كان ملك البلغار وقادتهم ينتظرونهم فى تلهف شديد.

الأسباب :

حالما انتهت مراسم الاستقبال والحفلات البهيجة استدعى ملك البلغار ابن فضلان وعرّفه أن ابنه قد أخذه ملك الخزر رهينة لديه، وبلغ ملك الخزر أن لملك البلغار ابنة جميلة فأرسل رسولا ليخطبها فراح ملك البلغار يتعلل بمعاذير تبرر عدم موافقته، فأرسل ملك الخزر رسولا ثانيا وأخذ ابنة ملك البلغار غصبا وهو يهودى وهى مسلمة ولكنها ماتت عنده ــ وأرسل ملك الخزر رسولا جديدا وطلب يد ابنة ملك الصقالبة الثانية ولكن حدث فى الساعة التى وصل فيها رسول الملك أن سارع ملك البلغار بتزويجها إلى أمير "أسكل" الذى كان خاضعا له ــ وقد فعل ملك البلغار ذلك خشية أن يأخذ ملك الخزر ابنته الثانية بالقوة كما فعل بأختها من قبل ــ هنا نصل إلى السبب الذى دفع ملك البلغار إلى الكتابة للخليفة المقتدر. وأن ملك البلغار عليه أن يدفع الجزية السنوية إلى الخزر وقدرها : فراء سمّور عن كل أسرة فى مملكته (وكان عدد الأسر البلغارية " عدد الخيام " يقدر بحوالى خمسين ألف) وكان فراء السمّور باهظ القيمة فى أنحاء العالم.

ونلاحظ هنا أن ابن فضلان لم يدخل بلاد الخزر وما سيقصّه علينا عنهم مبنى على أخبار جمعها أثناء الرحلة ومعظمها من بلاط البلغار أى بطريق غير مباشر :

ملك الخزر : (١٣/١٦٠)

الخاقان هو لقب ملك الخزر الذى ليس له علاقة بالجمهور، فقط يظهر عليهم مرة كل أربعة أشهر ويطلقون عليه "الخاقان العظيم" ويخضع له البلغار وجميع جيرانهم حيث كانوا، وهم يبجّلونه ويطيعونه طاعة عمياء إلى حد أنه إذا

بدا له أن من صالحه أن يموت واحدٌ من وجهائه وقال له اذهب واقتل نفسك فإن الرجل عندئذ كان يذهب على الفور إلى بيته ويقتل نفسه طوعا لأمر مولاه، ولا يُسمح لأحد من الدنو منه إلا لعمل هام وعندئذ ينبطح الشخص أمامه ويمسح وجهه فى الأرض حتى يصدر له الأمر بالدنو منه والتكلم إليه، واعتاد ملك الخزر أن تكون له خمسة وعشرون زوجة كل منهن إبنة ملك من الذين يدينون له بالولاء، ويتزوجهن بالرضا أو بالقوة، وستون فتاة محظيات كل منهن ذات جمال فاتن.. وينبغى أن يكون الخاقان دائما من العرق الإمبراطورى..ومن عائلة الوجهاء " أسرة أسينا" (١٦٠أ/٤١) وللخاقان عرش ومقصورة من الذهب ولا تجوز هذه الأشياء لغيره، وقصر الخاقان أكثر ارتفاعا من المبانى الأخرى (١٦٠ب/٤٢). وعندما يموت الخاقان يُشيَّد له مبنى عظيم من عشرين حجرة وتحفر فى كل منها مقبرة له، وتُفتّت أحجار حتى تصير مسحوقا يُنثر على الأرضية ويُغطىَ بالقار (الأسفلت) ويجرى تحت المبنى نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة، ويحولون ماء النهر إلى فوق القبر ويقولون إنهم يعملون هذا حتى لا يستطيع أن يصل إلى القبر شيطان أوإنسان أو دودة أو أية كائنات زاحفة — وبعد أن يتم دفن الملك تُضرب أعناق من دفنوه حتى لا يعرف أحد فى أية حجرة يقع قبره. ويُطلق على القبر إسم الجنة : " إنه دخل الجنة "، وكل الحجرات مكسوّة بقماش مقصّب يتخلله نسيج من خيوط الذهب.

ويساعد الملك " **خاقان بك** " الذى يَمْثُـل فى حضرة الخاقان العظيم يوميا فى احترام وتواضع حافى القدمين ويجلس عن يمينه وهذا هو الذى يدير أمور الدولة ويقود الجيوش فى الحروب ويموّنها، ويظهر للجمهور،وله سلطة اعتقال الناس وإطلاق سراحهم وفرض العقوبات وحكم البلاد ويليه فى المكانة رجلِ يُطلق عليه " كندر خاقان ".

الجيش :

فى الجيش الخزرى يمتطى سبعة آلاف من الفرسان صحبة الملك (١٦١) أو اثنا عشر ألف (١٦٢) بعضهم رماة السهام يلبسون الدروع الواقية لصدورهم والخوذات والمزرودات، وبعضهم حاملو الرماح مجهزون على غرار ما فى أيدى المسلمين من آلات السلاح. جيش محترف دائم وحرس إمبراطورى خاص سيطر وقت السلم. سيطرة فعالة على الخليط العرقى فى البلاد، وكوّن فى وقت الحرب النواة الأساسية للحشد المسلح الذى ازداد أحيانا إلى مائة ألف (**) وكان

للإمبراطور البيزنطى بورفيروجينيتوس فرقة مختارة من الحرس الخزرى تجرس بوابات قصره وكانوا يحصلون على مكافآت سخية (١٦٣)

المسلمون فى جيش الخزر :

من ضمن الجيش الملكى فرقة من المسلمين وهم الذين هاجروا من الأقاليم المجاورة لخوارزم ــ فمنذ زمن بعيد عقب ظهور الإسلام ــ وقعت حروب فى بلادهم وأصابها جدب ووباء فنزحوا إلى بلاد ملك الخزر،وحين يحارب جيش الخزر المسلمين يكون هؤلاء المهاجرون المسلمون فى فرقة مستقلة حتى لا يحاربوا أبناء دينهم. (١٦٤)

العاصمة : (١٦٥)

عاصمة ملك الخزر هى مدينة "أتل " وتقع على ضفتى نهر الفولجا وهى ثنائية نصفها الشرقى باسم " خزران" ويعيش بها عبدة الأوثان والمسلمون وبها مساجدهم، ويتولى شئونهم موظف مسلم من قِبَل الملك ويسهر على قضاياهم وكذا قضايا التجار الوافدين من الخارج، كما يحوى هذا الجزء الشرقى من العاصمة المساجد والأسواق والحمامات وغيرها. والنصف الغربى من المدينة "أتل" حيث يقيم الملك وحاشيته وخدمهم وأصحاب الدم الخزرى الخالص، ويحيط بقصورهم سور من الآجر له أربع بوابات إحداها تواجه النهر (١٦٦/٣٨)، وقد جرى العرف فى عاصمة الخزر أن يكون بها سبعة قضاة منهم اثنان للمسلمين واثنان للخزر يفصلان فى القضايا طبقا للتوراة (شريعة موسى) واثنان للمسيحيين يفصلان فى القضايا طبقا للإنجيل، وقاض للصقالبة الروس وسائر الوثنيين، ويعيش فى مدينة الخزر مسلمون بين تجار وحرفيين ولهم مسجد رئيسى له مئذنة يفوق ارتفاعها القصر الملكى علاوة على مساجد أخرى بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم (١٦٧/٣٨).

سكان بلاد الخزر :

كان "أتيلا" (جدهم الأعلى) مجرد ملك لمملكة خيام (١٦٨)، وقد صمدت مملكة الخزر طيلة الجزء الأكبر من أربعة قرون، عاشوا هم أيضا فى خيام ولكن كانت لهم مستوطنات حضرية وخاضوا عملية التحول من قبيلة من المحاربين الرُحّل ــ إلى شعب من الفلاحين ومربّى ماشية وزرّاع عنب وتجّار وحرفيين مهرة، وقد كشف علماء الآثار السوفييت عن أدلة تثبت وجود حضارة متقدمة نوعا ما (١٦٩/٧) وعثروا على آثار قرى تنساح أميالا عدة وبها منازل

تتصل بأروقة تؤدى إلى سقائف فسيحة للماشية وحظائر للغنم وأخرى للجياد بها أعمدة تحمل أسقفا (٨/١٧٠) ومحاريث كانت تجرها الثيران وبعض المصنوعات الصغيرة مثل السروج والمشابك المزخرفة ووجدت أساسات البيوت المشيدة بشكل دائرى ترمز إلى مرحلة الخيام، ثم تطورت إلى مستطيلة أى من حياة بدوية إلى حياة مستقرة أو شبه مستقرة لأن المصادر تفيد وجود أساسات البيوت وقد شيدت فى شكل دائرى، ثم مستطيلة (٩/١٧١)، والخزر لم يمكثوا فى المدن ـ حتى العاصمة ـ أتل إلا فى أثناء الشتاء فإذا حل الربيع حزموا خيامهم وتركوا بيوتهم وانطلقوا مع غنمهم وماشيتهم إلى السهوب وأقاموا مخيمهم فى حقول القمح أو الكروم التابعة لهم فى الأقاليم الخصبة حيث تمتد ضياعهم لمسافة ستين إلى سبعين ميلا وتنتشر مزارع الكروم وبساتين الفاكهة خاصة فى مدينة "سمندار " ويمتد الريف من " دار بند" إلى "سرير" وأغلبها يُنتج عنبا، وتكثر قطعان الأغنام، وتنتج كميات وفيرة من العسل وأنواع ثمينة من الفراء.

التجارة والحاصلات : (١٧١ أ / أ)

كانت التجارة الخارجية هى المصدر الرئيسى لدخل الخزانة الملكية، وقد أشار ابن فضلان إلى حجم قوافل التجارة التى تذرع طريقها بين آسيا الوسطى وإقليم الفولجا / أورال التى تتكون من المنسوجات، الفواكه المجففة، العسل، الشمع، التوابل. وهذه لعبت دورا هاما فيما يبدو، أيضا يوجد طريق ثان هام للتجارة عبر القوقاز إلى أرمينيا وجورجيا وفارس وبيزنطة، أما الطريق التجارى الثالث فهو الذى احتوى التجارة المتزايدة لأساطيل تجارة الروس النازلة فى نهر الفولجا ـ إلى سواحل بحر الخزر الشرقية والتى كانت تحمل أغلبها الفراء الثمين الذى كان يتهافت على شرائه صفوة من المسلمين، أيضا كانت الأساطيل الروسية تحمل الرقيق لبيعهم فى سوق العاصمة أتل، وتشير بعض المصادر إلى وجود سلع خزرية فى بغداد، ووجود تجار خزر فى القسطنطينية والإسكندرية، بل وفى سامراء وفرغانة.

وقد فرض حاكم الخزر ضريبة ١٠% من قيمة السلع المارة ببلاده بما فيها الرقيق، إضافة الى الجزية المفروضة على قبائل البلغار والمجر والبورتا، مما يوحى بأنها كانت مزدهرة، وذلك يعتمد على قوتها العسكرية وما أضافته من هيبة ووقار على رجال الجمارك والضرائب حيث تمثل التجارة الخارجية مصدرا رئيسيا لدخل الخزانة. ومنه يتضح أن بلاد الخزر لم تكن معزولة عن

العالم المتمدين بل كانت بلادا متحررة ومفتوحة لمختلف الثقافات والأديان، وقد نقلتنا الصفحات السابقة متجولة بنا من قصر الخاقان إلى العاصمة الثنائية، وعشنا بين ظهرانيهم فى مزارع القمح والكروم الممتدة، ورأينا القوافل البرية والأساطيل النهرية تذرع الفولجا بما تحمل من حاصلات روسية. ومع ذلك فقد ظلت تدافع عن استقلالها ضد القوتين الروحيتين مما مهد السبيل للتطور المفاجئ والمثير، أو قل (الإنقلاب الفكرى) الذى أرسى اليهودية دينا رسميا للدولة، فلنستمع لصوت الرحّالة والعلماء ذوى الختصاص : كتب المؤرخ الإخبارى ابن سعيد المغربى يقول : " أما عن الخزر فهم ينزلون فى شمال الأرض المأهولة قرب الإقليم السابع بحيث يقع برج الدب الأكبر فوق رؤوسهم وبلادهم باردة مطيرة ولذا فإن بشرتهم بيضاء وعيونهم زرقاء وشعرهم كثيف ضارب إلى الحمرة وأجسامهم ضخمة وطبائعهم باردة وينم مظهرهم العام عن كونهم غلاظا همجا (١٧٢/١١).

وهناك حولية جورجية تردد رواية مأثورة قديمة تعتبر الخزر جمهرة يأجوج ومأجوج : " هم رجال متوحشون بشعو الوجوه آكلو الدماء " (١٧٣/١٢).

كما يشير كاتب أرمينى إلى جماهير الخزر أنهم : " أصحاب الوجوه الوقحة العريضة الخالية من أهداب العيون ذوو الشعور الطويلة المتدلية كالنساء (١٧٤/١٣)

دوافع اعتناق الخزر لليهودية

إن تحول الخزر إلى ديانة " يهوه " إله اليهود يعتبر حادثا فريدا فى التاريخ (١٧٥/١).

اعتنق ملك الخزر الديانة اليهودية سنة ٧٤٠م تقريبا وتبعته الحاشية والطبقة العسكرية الحاكمة وأصبحت اليهودية هى الدين الرسمى لدولة الخزر. ولا شك أن معاصريهم أصابتهم الدهشة لهذا القرار بالقدر الذى أصاب الباحثين العصريين حين اطلعوا على الدليل الذى يثبت ذلك فى المصادر العربية والبيزنطية والروسية والعبرية. وسيجد القارئ مجموعة من التعليقات والتحليلات :

ومن أحدث التعليقات ما رواه المؤرخ المجرى دكتور انتال بارتا فى كتابه " المجتمع المجرى فى القرنين الثامن والتاسع" حيث خضع المجريون لحكمهم أغلب هذه الفترة ـــ ومع ذلك فقد يتناول المؤلف اعتناق الخزر الديانة

اليهودية فى عبارة واحدة تنم عن حيرة واضحة جاء فيها " لا يمكن لأبحاثنا أن تتناول مسائل تتعلق بتاريخ الأفكار ولكن يجدر بنا أن نوجه نظر القارئ إلى مسألة الديانة الرسمية لمملكة الخزر فقد أصبحت العقيدة اليهودية الديانة الرسمية للطبقة الحاكمة فى المجتمع، ومن نافلة القول أن نذكر أن قبول العقيدة اليهودية ديانة رسمية لشعب غير يهودى عرقيا يمكن أن يكون عرضة لتأملات مثيرة، وسوف نقتصر على الملاحظة القائلة بأن هذا التحول الرسمى إلى دين جديد على الرغم من التبشير المسيحى على يد بيزنطة والتأثير الإسلامى من الشرق ـ وعلى الرغم من الضغط السياسى لهاتين الدولتين ـ لم يكن له سند من أية سلطة سياسية، بل كان دينا مضطهَدا من الجميع تقريبا. وجاء مفاجأة لجميع المؤرخين المهتمين بشعب الخزر، ولا يمكن اعتبار هذا التحول أمرا عرضيا بل يجب أن يُنظر إليه على أنه علامة على السياسة المستقلة التى مارستها تلك المملكة ". (٤/١٧٥)

وهذا أمر يجعلنا أكثر حيرة نوعا ما عما كنا عليه من قبل إلا أنه بينما تختلف المصادر فى التفاصيل الثانوية فليس هناك خلاف على الحقائق الأساسية. (١٧٦) وإن التحول إلى الديانة اليهودية يتطلب عملا عبقريا. (١٧٧)

وإن من أشد الدعاة تطرفا فى الفرضية التى تُرجِع أصول الشعب اليهودى إلى الخزر هو أ.ن بولياك أستاذ التاريخ اليهودى فى العصور الوسطى فى جامعة تل أبيب وقد ضمّنها كتابه "خزاريا" الذى نشره باللغة العبرية سنة١٩٤٤م فى تل أبيب وصدرت طبعته الثانية سنة١٩٥١م والذى يقرر فى مقدمته أن الحقائق تتطلب طريقة جديدة لتناول موضوع العلاقات بين الشعب اليهودى الخزرى والمجتمعات اليهودية الأخرى، وأيضا معالجة مسألة "إلى أى حد يمكننا أن نعتبر أن هذا الشعب اليهودى (الخزرى) نواة لمستوطنة اليهود الكبرى فى شرق أوربا"، وإن سلالة هذه المستوطنة ـ أعنى أولئك الذين بقوا حيث كانوا والذين هاجروا إلى الولايات المتحدة وإلى غيرها من الدول، ثم أولئك الذين توجهوا إلى إسرائيل ـ كل أولئك يؤلفون فى الوقت الحاضر غالبية يهود العالم لعلهم بالدرجة الأولى من أصل خزرى ـ فإن كان الأمر كذلك فهذا يعنى أن أجدادهم لم يجيئوا من الأردن، بل من نهر الفولجا.. أجل لم يجيئوا من أرض كنعان، بل من القوقاز التى أعتُقِد فيما مضى أنها مهد الجنس الآرى، ثم إنهم من حيث التركيب الوراثى أقرب إلى قبائل الهون والأجور منهم إلى ذرية

إبراهيم وإسحق ويعقوب. فإذا ثبت أن هذا هو الأمر الواقع فإن تعبير معاداة السامية يكون خلوا من معناه القائم على سوء فهم من جانب السفاكين وضحاياهم على حد سواء. إن قصة إمبراطورية الخزر وهى تبزغ على مهل من الماضى تبدأ فى أن تبدو كأنها أكبر خدعة اقترفها التاريخ فى أى وقت مضى (١٧٧ أ/٥)

ولى تعليق على (فرضية) بولياك أقول : " لماذا يعتبرها فرضية بينما هو نفسه توصّل إلى أنها حقيقةٌ جذورها وأصولها، وقد عبّر فى مستهل الفقرة بقوله (إن الحقائق تتطلب طريقة جديدة) ولماذا يلجأ إلى تعبير (فإن كان الأمر كذلك) أى يجعلها فى نطاق المُحتمل) بينما هى حقيقة ناصعة وواضحة لا لبس فيها.

لكن ترى ما الباعث على هذا الحادث الفريد ؟

لا شك أن حاكم الخزر عند اعتناقه الديانة اليهودية كان مدفوعا ببواعث سياسية ؛ إن اعتناقه الإسلام يجعله التابع الروحى للخلفاء الذين حاولوا فرض دينهم على الخزر، كما يكمن الخطر فى اعتناق المسيحية أن يصبح تابعا كنسيا للإمبراطورية الرومانية الشرقية.

إذن أمامه الديانة اليهودية : لها كتب مقدسة احترمها المسلمون والمسيحيون، ترفعه فوق البرابرة الوثنيين وتصونه ضد تدخل القوتين، ولم يتخذ تعصب اليهودية فسمح لشعبه البقاء فى عالمهم الوثنى وعبادة آلهتهم الزائفة. (٢/١٧٨)

يقول د. كيستلر : " ليس من اليسير علينا أن نتعرف على دخيلة (أفكار) أمير خزرى ــ وأن نكشف عن خباياه. لكن إذا وضعنا الموضوع فى قالب سياسة القوة التي تمتثل غالبا للقواعد نفسها خلال العصور، فسوف يكون هناك تشابه مقبول إلى حد ما ــ لنرى :

سادت فى تلك الفترة سياسة التدمير والفتح العسكرى ــ ومثلت إمبراطورية الخزر قوة ثالثة متكافئة وأثبتت ذلك سواء كانت خصما أو حليفا. وانحصر سبيلها الوحيد فى الإستقلال فى ألا تتخذ المسيحية، أو الإسلام دينا لها.. إن اعتناق أى الديانتين معناه خضوعها بطريقة آليه إما لسلطان الخليفة فى بغداد، أو للإمبراطور الرومانى والكنيسة.(١٧٩)

ولم يتوان أى من القوتين العظميين عن بذل الجهود لتحويل الخزر إلى الإسلام أو المسيحية لكن كل هذه الجهود لم تتعد مجاملات دبلوماسية أو تزاوج بين الأسر وعقد أحلاف عسكرية متغيرة تقوم على مصلحة شخصية متبادلة (بين الخزر وبيزنطة).

ونظرا لأن مملكة الخزر بوصفها القوة الثالثة زعيمة شعوب السهوب الغير مرتبطة بأى من القوتين العظميين، واعتناق أى من الديانتين كان لابد وأن يعنى الخضوع ونهاية الإستقلال وبالتالى كان الحل هو اعتناق ديانة ثالثة، وتمثل الأساس المبجل لكليهما.

ولم يحدث ذلك بين عشية وضحاها أن اعتنق اليهودية الملك ومستشاروه وكبار رجال الدولة فهم كانوا من قبل على دراية ومعرفة طيبة باليهود وشعائرهم الدينية، منذ قرن سابق، عن طريق تدفق اليهود الفارين من الإضطهاد الدينى فى بيزنطة، وأيضا الوافدين من بلاد آسيا الصغرى، وقد كانت بلاد الخزر متمدينة نسبيا بين برابرة الشمال، فأصبحت بذلك هى المأوى الطبيعى لهجرات جماعات اليهود المتكررة والتى جاءت هربا من الحكم البيزنطى الذى مارس ضغوطا عليهم بدءا من حكم جستنيان الأول (٥٢٧ــ ٥٦٥م) وزادت قسوته فى عهد هرقل فى القرن السابع، وليو الثالث فى القرن الثامن، وبازل وليو الرابع فى القرن التاسع، ثم رومانوس فى القرن العاشر. (١٨٠)

فمثلا ليو الثالث الذى أصدر أمرا يقضى بتعميد (أى تنصير) كل رعايا اليهود ــ مما دفع أعدادا كبيرة من اليهود إلى الفرار من بيزنطة، وفى هذا يقول المسعودى : "هناك فى هذه المدينة (أتل عاصمة الخزر) مسلمون ومسيحيون ويهود ووثنيون ــ أما اليهود فهم الملك وحاشيته والخزر من جنسه (يقصد القبيلة الحاكمة من الخزر البيض)، ولقد أصبح ملك الخزر يهوديا فى عهد هارون الرشيد ــ ولحق به يهود جاءوا من بلاد الإسلام ومن مملكة الروم (بيزنطة) ــ وحقيقة الأمر أن ملك الروم الحالى (٩٤٣ــ ٩٤٤م) أجبر اليهود فى مملكته على اعتناق المسيحية مما أدى إلى فرار كثير من اليهود من بلاد الروم إلى بلاد الخزر" (١٨٠/٣ أ).

وفى أوريا جنوب إيطاليا لجأ الإمبراطور الرومانى "بازل" لإجبارهم على اعتناق المسيحية أو عصرهم بمعاصر الزيتون تحت مكبس خشبى (١٨١)، وجاء من بعده من يُقصيهم عن البلاد رحمة بهم. (١٨٢) لقد كانت بلاد الخزر قبل اعتناق سكانها الديانة هى الملجأ الآمن للفارين، وبعدها أصبحت بمثابة الوطن القومى لهم(١٨٣)، وقد جلب المنفيون معهم الفنون والحرف البيزنطية والطرق المتقدمة فى الزراعة والتجارة والفنون والأحرف العبرية لاستخدامها فى الكتابة

حيث أوفت بالغرض.(١٨٤) وبينما جاء التحول إلى اليهودية دون شك بسبب دوافع انتهازية بوصفه مناورة سياسية بارعة ــ فقد جلب فى أعقابه تطورات ثقافية لم تكن فى الحسبان، وكانت الأبجدية العبرية هى أولى التطورات (١٨٥/١٠)، وبعد ثلاثة قرون بدأ تدهور دولة الخزر بقيام حركات متكررة لأبناء صهيون تتبئ بالمسيح المخلص الذى ينقذ العبرانيين، وظهور مخلـّصين مزيفين قاموا بحروب " دون كيشوتية " (وهمية) لإعادة فتح بيت المقدس ومنهم داود آل روى ــ الذى تنسب إليه نجمة داود (١٨٥)

إن تحول الخزر إلى اعتناق الديانة اليهودية سنة٧٤٠م ذلك الحدث العجيب لكى ندرك حقيقته يلزمنا فكرة ولو إجمالية عن عاداتهم وأعرافهم وحياتهم اليومية قبل تحولهم إلى اليهودية.

إن ظروف التحول إلى اليهودية قد أبهمتها الأساطير لكن الروايات الرئيسية العربية منها والعبرية ــ اتفقت فى صورها الأساسية .

وفى تأريخه لهذه الدولة استمد المؤلف بياناته من مصادر عربية : رسالة ابن فضلان والعديد من الرحالة والمؤرخين العرب مثل البلخى وياقوت وابن حوقل والإصطخرى والمسعودى والبكرى وابن مسكويه وابن رسته واليعقوبى وابن النديم والدمشقى وابن العديم.

مصدر بيزنطى : مؤلفات الإمبراطور البيزنطى المؤرخ قسطنطين بورفيروجينيتوس السابع (٩٤٠ــ ٩٥٩) ومؤلّفه الشهير كتاب " إدارة شئون الإمبراطورية " الذى حوى الكثير عن دولة الخزر.

مصادر روسية : وأقدم مصدر هى الحولية الروسية واسمها " السنوات الغابرة "، التى تم جمعها فى القرن الثانى عشر الميلادى وهى نسخة معدلة لحوليات أقدم. ومخطوطة لينِنجراد التى هى جزء من مجموعة "جنيزة القاهرة " بالعبرية.

الرسائل الخزرية : رسائل عبرية بعث بها من الأندلس حسداى بن شبروط (وهو غالبا من سلالة يهود الشتات الذين أخرجوا من بيت المقدس فى القرن الأول الميلادى عقب سقوط القدس وتشتتوا فى انجلترا وفرنسا وألمانيا ثم أزيلوا عنها فاعتصموا بالدولة الإسلامية فى الأندلس) طبيب ووزير الخليفة عبد الرحمن الناصر (٩١٢ ــ ٩٦١م) ــ إلى يوسف ملك الخزر يستعلم فيها عن بلاده وشعبه وجيشه ونظام حكمه ويبدى استعداده لترك منصبه والسفر إليه

ليكون فى خدمته رغم ما يتمتع به يهود الأندلس من طيب المقام وحسن المعاملة من العرب المسلمين، وردّ الملك عليه مرحّبا بقدومه. (٢/١٨٦)

١ ـ المصادر العربية

فُقِد مؤلــّفُ المسعودى، لكن هناك روايتان تقومان على أساسه : الدمشقى يكرر القول أنه فى عهد هارون الرشيد أجبر الإمبراطور البيزنطى اليهود على الهجرة من بلاده ـ فوفدوا على بلاد الخزر ووجدوا شعبا ذكيا وغير مثقف فعرضوا عليه ديانتهم فاعتنقوها (١١/١٨٦)

الرواية الثانية وردت عن البكرى : الممالك والمسالك يقول : " كان ملك الخزر وثنيا واعتنق المسيحية فأدرك بهتانها، فاستدعى من المسيحيين أسقفا، وكان مع الملك يهودى بارع فى الجدل أغراه بدخول المناظرة فسأل الأسقف : " ماذا تقول فى موسى بن عمران ؟ " أجاب الأسقف : " أن موسى رسول وأن التوراة تنطق بالحقيقة "، فسأله الملك : " وبماذا تؤمن أنت ؟

أجاب الأسقف : " أقول أن عيسى المسيح بن مريم هو الكلمة وأنه أوحى بالأسرار باسم الرب " هنا قال اليهودى للملك إنه يبشر بمذهب لا أعرفه على حين يقر أقوالى. ولم يكن الأسقف قويا فى إبراز حجته. ثم أرسل الملك يستدعى مسلما فأرسلوا إليه عالما ذكيا برع فى المناقشات ولكن اليهودى رشا شخصا ما دس له السم فمات وهو فى طريقه إلى الملك ـ وهكذا نجح اليهودى فى كسب ملك الخزر إلى عقيدته فاعتنق اليهودية (١٢/١٨٦) وهنا يعقب المؤلف بقوله : " ولو أن العالم المسلم اشترك فى المناظرة لكان مصيره الوقوع فى نفس الفخ الذى وقع فيه الأسقف، (ولايدرك مؤلفنا أن رسولنا الكريم تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وأن الإسلام لا يحتاج إلى كثير من الجهد فى الإقناع والوصول إلى نتيجة فهو دين الفطرة التى فطر اللهُ تعالى الناسَ عليها، وما يدريك ياسيدى لعل العالم المسلم قد فتــّح للحوار أبوابا أخرى عديدة وأقنع حاكم الخزر فأسلم، وعندها كان يتغير وجه تاريخ شرق أوربا والعالم).

٢ ـ المصدر اليهودى الرئيسى : المعروف باسم :

رسائل الخزر : (٣/١٨٧)

وهى خطابات باللغة العبرية تبودلت بين حسداى بن شبروط ـ اليهودى أهم وزراء خليفة قرطبة ـ ويوسف ملك الخزر أو قل بين كاتبيهما،وقد كانت مصداقية هذه الرسائل موضع خلاف لكنها أصبحت مقبولة، جرى تبادل تلك

الرسائل بعد سنة ٩٥٤م وقبل سنة٩٦٠ م، كان حسداى ألمع شخصية فى العصر الذهبى لليهود فى أسبانيا (الأندلس) (٩٠٠ ــ ١٢٠٠م) وقد نجح عبد الرحمن الناصر وكانت عاصمة ملكه قرطبة تمثل عظمة (الأندلس) ومجدها، وبها مكتبة مفهرسة تحوى أربعمائة ألف مجلد.(ونترك التعريف بابن شبروط مؤجلا فى نهاية هذه الدراسة.

طبقا لرواية حسداى نفسه : " أول مرة علم فيها بوجود مملكة يهودية مستقلة.. خبرا سمعه من بعض تجار القوافل من خراسان / فارس لكنه شك فى صحة خبرهم وراح بعد ذلك يسأل أعضاء بعثة دبلوماسية فقدموا له المزيد من التفاصيل عن مملكة الخزر بما فى ذلك إسم يوسف الملك الحالى.

أرسل خطابا إلى يوسف ملك الخزر مستفسرا عن دولة الخزر : شعبها ــ نظام حكومتها ــ قواتها المسلحة.. بما فى ذلك السؤال : " عن أى قبيلة (سبط) من القبائل الإثنى عشرة ينتمى الملك يوسف (ظنا من حسداى أن يهود الخزر هم أصلا من فلسطين شأنهم شأن اليهود الأسبان فربما يمثلون واحدة من القبائل (الأسباط) الضائعة، ولمــا كان يوسف ملك الخزر لا ينحدر من أصل يهودى ولا ينتسب بطبيعة الحال لأى من القبائل.

كلف حسداى رسولا يصل إلى ملك الخزر بخطابه، لكنه رجع من القسطنطينية دون أن يصل،لأنه (ليس فى صالح ملك القسطنطينية عقد تحالف بين الخزر ورئيس وزراء الأندلس اليهودى). ثم سنحت الفرصة لحسداى بحضور بعثة من شرق أوربا وبها يهوديان تطوعا أن يحملا خطاب حسداى إلى الملك يوسف. والذي سلــّمه له شخص ثالث. وجاء ردّ الملك :

* بعد مدح يوسف لجده الأعلى الملك بولان بوصفه الفاتح العظيم، " طرد السحرة وعبدة الأوثان من بلاده " فظهر ملاك للملك بولان فى أحلامه راح يحثه على أن يعبد الإله الصحيح الواحد، ووعد مقابل ذلك أن الإله سوف " يبارك ذرية بولان ويزيدها ويلقى بأعدائه بين يديه ويبقى على مملكته حتى نهاية العالم " (الرواية أوحت بها قصة العهد القديم فى سفر التكوين، ثم هى أن الخزر فى مرتبة الشعب المختار الذين صاغوا عهدهم مع الإله رغم أنهم ليسوا من نسل إبراهيم، وهنا تأخذ الرواية منحى غير متوقع، ففى حوار الملك بولان مع الإله : "إن شعبى لهم آراء وثنية فهل سيصدقونى..؟ وتوسل للإله أن يرسل كذلك للأمير ليحثــه على تأييده، فاستجاب الخالد الأحد وظهر للأمير أيضا فى

الحلم الذي جاء إلى الملك في الصباح وقص عليه رؤياه.(وفى ذلك إشارة لموسى حين طلب من الله إشراك أخيه هارون).

* مرة ثانية ظهر الملاك للملك بولان وأمره أن يشيّد مكانا للعبادة يمكن للرب أن يقيم فيه "لأن السماء والسماوات التى تعلوها ليست متسعة إلى حد كاف لتحتويني ". (!) (أنظر خيمة الاجتماع والهيكل)، فيجيب بولان أنه لا يملك ذهبا ولا فضة اللازمين لمشروع كبير مثل هذا فيطمئنه الملاك بأن يقود جيوشه إلى أردبيل وداريبيلا فى أرمينيا وهناك سيجد كنزين (ويتفق هذا مع المصادر العربية التى ذكرت إغارة "بولان" والتى سبقت تحول الخزر إلى اليهودية.. وسيطرت الخزر على مصادر الذهب والفضة فى القوقاز.

* ينفذ الملك بولان ويعود من أرمينيا منتصرا ومعه الغنائم فيبنى هيكلا متنقلا (خيمة) للعبادة مجهزا بصندوق مقدس (تابوت العهد) وشمعدان ومذبح وأدوات مقدسة لازالت محفوظة فى عهدة الملك يوسف. (أيضا إشارة إلى موسى وبناء خيمة العهد ومحتوياتها.. سرقات بالجملة)

* ذاعت شهرة الملك بولان وبلغت أخباره ملك إيدوم (بيزنطة) وملك بني اسماعيل (الخليفة) فأرسلا إليه مبعوثان فوق العادة وكان الملك حكيما فأرسل فى طلب يهودى واسع العلم وجمع الثلاثة معا لمناقشتهم (كهيئة خبراء أو مؤتمر مائدة مستديرة) وأيد ذلك ماجاء فى المسعودي.

ثم ناقش كلا منهما منفردا، وبدأ بسؤال المسيحى : أى الديانتين الأخريين أقرب إلى الحقيقة ؟ فأجاب المسيحي : " ديانة اليهود ". ثم واجه المسلم بذات السؤال : وحصل منه علي الرد نفسه.

* جاء فى ختام خطاب حسداى الفقرة التالية : " أحس بدافع يحثني على أن أعرف حقيقة ما إذا كان هناك مكان على الأرض يمكن لإسرائيل المنهكة أن تتولى حكم نفسها ولا تكون خاضعة لأحد، فإذا قُدّرَ لى أن أعرف لهذه البقعة وجودا فلن أتردد فى أن أتخلى عن كل ما أتمتع به من امتيازات، وأن أستقيل من منصبى وأهجر أسرتى وأجتاز الجبال والسهول وأخوض البر والبحر حتى أبلغ الأرض التى يحكمها مولاى الملك (اليهودى). وإلتماسى : عما إذا كان لديكم أى علم بالتاريخ المحتمل للمعجزة الختامية (قدوم المسيح المخلص) التى ننتظرها طيلة تجوالنا من بلد إلى آخر، وقد لحقنا الذل والهوان فى شتاتنا فلزامًا علينا أن ننصت لأولئك الذين يقولون : لكل شعب أرضه الخاصة وأنتم وحدكم

لا تملكون ثمة شبح بلد على هذه الأرض ".

وردا علي الفقرة السابقة جاء فى خطاب الملك يوسف : " نحن نرقب حكماء الفرس وبابل، ورغم أننا نعيش بعيدا عن صهيون (جبل صهيون) إلا أننا علمنا أن التكهنات خاطئة نظرا لوفرة الخطايا بدرجة كبيرة ونحن لا نعرف شيئا وإنما الخالد وحده هو المسيطر علي كل شئ، وليس لدينا شئ ننتظره غير تنبؤات النبى دانيال..نسأل الخالد أن يعجل خلاصنا ".

يقول المؤلف : " وباستعراض المصادر العبرية التى وصلت (إليه) عن الخزر، كان يحس برد فعل مختلط (أو مزدوج) بين الحماس والشك، وفوق ذلك كله يحس بالحيرة ولابد أن شعبا محاربا من اليهود الأتراك قد بدا للحاخامات شعبا غريبا.

ثم يواصل الملك يوسف رده فيقدم بيانا بسلسلة نسب أبناء قومه وأصل سلالتهم، ورغم كونه قوميا يهوديا متعصبا ـــ فهو لا يُرجع أصلهم إلى سام بل يُرجعه إلى يافث الإبن الثالث لنوح أو بعبارة أدق إلى حفيد يافث : " لقد عثرنا فى سجلات الأسرة التى تركها آباؤنا أنه كان لتاجورما عشرة أبناء (ويُدمج الملك الأسماء ما بين سفر التكوين مع الروايات المأثورة القبلية التركية. ثم يوجز بعض الفتوحات الحربية التى قام بها أسلافه حتى بلغوا نهر الطونة، وبإسهاب يروى قصة اعتناق بولان اليهودية... ويختم خطابه المطوّل بسعادته باستقبال محدثه، : " وسوف نسلك النهج الذى تشير به طبقا لنصحك الحكيم " لكن وردت عبارة تتناول أمورا سياسية يقول الملك يوسف : " بفضل معونة المولى جل شأنه فإنى أتولى حراسة مصب نهر الفولجا ولا أسمح بالمرور للروس الذين يفدون فى سفنهم لغزو أرض العرب.... وإنى أقاتلهم (أى الروس) فى حروب عنيفة، ذلك لأنى لو تركت لهم الحبل على الغارب فسوف يدمرون أراضى إسماعيل (يقصد أراضى العرب) حتى بغداد نفسها ونلاحظ هنا أن يوسف يظهر وكأنه حامي خلافة بغداد ضد الغزاة النورمان (أى المُدافع عن الإسلام بغض النظر عن الخلاف الشديد القائم بين الخلافتين الأموية فى قرطبة (التى كان حسداى فى خدمتها ـــ والخلافة العباسية فى بغداد).

كما توجد بعض المصادر التى لا تخرج عما سبق : مثل وثيقة كمبردج التى تحوى رواية أسطورية عن تحوّل الخزر إلى اليهودية وحرب شنّه شعب الآلان على الخزر، وبعد ذلك بقرن كتب جودا هاليفى (١٠٨٥ ـــ ١١٤١م)

كتابه " الحجج والدليل لنصرة الدين الذليل " وكتاب" الخزر " باللغة العربية (٨/١٨٧) وهو بحث فلسفي يقرر فيه أن الشعب اليهودى هو الوسيط الوحيد بين الله وسائر الجنس البشرى (!) وأن كل الشعوب الأخرى ستتحول فى نهاية الأمر إلى اليهودية وأن تحول الخزر إلى هذه الديانة هو رمز أو علامة على هذا الحدث النهائي ـ وعلى الرغم من عنوان الكتاب فإن البحث لا يورد شيئا يذكر عن بلاد الخزر نفسها بل اتخذها ستارة خلفية لرواية أسطورية عن اعتناق الخزر الديانة اليهودية، وهو إما يكون قد قرأ رسائل الخزر أو لديه مصادر أخرى، وهو حصيلة هزيلة من الحقائق وسبب ذيوعه بين يهود العصور الوسطى هو ما احتواه من أساطير، ونفس السبب ينطبق على الرحالة الألمانى بتاكيا حاخام رانزيون الذى زار شرق أوربا وكتابه : " رحلة حول العالم " وقد شاهد يهود الخزر يمارسون طقوسا بدائية : ليلة السبت يقطعون الخبز الذى يأكلونه يوم راحتهم، وعبادتهم السبت، وهم يأكلونه فى الظلام، ويجلسون طوال يوم السبت فى مكان واحد، وتقتصر صلواتهم على المزامير فقط . (١٧/١٨٧). واشتد سخط الحاخام على الخزر حيث أنه فيما بعد تجوّل فيها ثمانية أيام " سمع خلالها نباح الكلاب وعويل النساء ". (١٨/١٨٧)

وهكذا أخذت بلاد الخزر وضعها فعلا " على الخريطة" بالمعنى الحرفى والمجازى ـ فإن زعماء كهنوت اليهودية الشرقية اهتموا بها اهتماما بالغا، وفى نفس الوقت كان يُنظر إلى أهلها الخزر بشئ من الريبة سواء من الناحية العرقية أو بسبب ميولهم إلى الهرطقة القرائية، وهذا ما شرحه مؤلف عبرى اسمه يافث عاش فى القرن الحادى عشر، شرح لفظ "مامزر " أى الإبن غير الشرعى أو الزائف ـ وبالتمثيل بالخزر الذين أصبحوا يهوداً، دون أن ينتسبوا إلى العرق اليهودى .

مصدر مسيحي وهو أقدم من سابقيه : (١٨٧)

فى سنة ٨٦٤ م كتب الراهب المسيحى " آلو يستيفالى دروثمار " رسالة باللغة اللاتينية عنوانها "عرض لإنجيل متى " يقول فيها : " هناك شعب يعيش تحت السماء فى أقاليم لا يمكن العثور فيها على مسيحيين ويُعرف باسم " يأجوج ومأجوج، وهم هون ومنهم قوم يسمّون الخزر يخضعون لشعيرة الختان ويمارسون الديانة اليهودية بحذافيرها ". وتقع هذه الملاحظة بمناسبة ما جاء فى إنجيل متى الإصحاح ١٤/٢٤ الذى ليس له صلة واضحة به ـ ثم لم يسمع عن

الموضوع

وفى نفس الوقت حاول مبشر مسيحى مشهور أرسله الإمبراطور البيزنطى – أن يحول شعب الخزر إلى الديانة المسيحية وهو القديس " سيريل "، وقد عهد إليه بهذه المهمة وإلى أخيه الأكبر "ميثودس" وبغيرها من البعثات التبشيرية التى أرسلها الإمبراطور ميخائيل الثالث وقد تمكن من مقابلة الخاقان وجرت عدة مناظرات لاهوتية، تركت أثرا حسنا لدى خاقان الخزر لكنه لم يقتنع بالديانة، فقط أفرج عن مائتى أسير مسيحي دلالة على شعوره الودى لمبعوث الامبراطور.

الإضمحلال

- بلغت امبراطورية الخزر أوج مجدها فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى، ولا يعنى هذا أنهم يدينون بنجاهم إلى الديانة اليهودية، بل العكس هو الصحيح – فقد استطاعوا أن يكونوا يهودا لأنهم كانوا أقوياء اقتصاديا وعسكريا. (١/١٨٨)
- مرت فترة مليئة بالمؤامرات والدسائس كان الزواج والخطوبة خلالها أمر محفوف بالمخاطر وكثيرا ما كان سببا فى إشعال حرب أو سببا لنشوبها، والذى بدأ هذه البدعة جدهم الأعلى " أتيلا" سنة ٤٥١م فقد أرسلت إليه "هونوريا " شقيقة الإمبراطور الرومانى الغربى "فالنتينيان" رسالة مرفقا بها خاتم خطوبة متوسلة إليه أن يأتى لخطبتها وينقذها من مصير ينتظرها وهو إجبارها على الزواج من عضو مجلس شيوخ عجوز، فاستجاب أتيلا وطالب بها عروسا ونصف مملكته مهرا لها، فلما رفض شقيقها ذلك غزا أتيلا بلاده.
- وقد علمنا سبب بعثة ابن فضلان التى بدأت من بغداد متوجهة إلى بلغار الفولجا : أن حاكم الخزر أخذ ابنة ملك البلغار قسرا ليتزوجها – فلما ماتت عنده، طلب شقيقتها.

أيضا روى الطبرى أنه فى سنة ٧٩٨م قام خليفة المسلمين بإقناع حاكم أرمينيا أن يتزوج إبنة خاقان الخزر ليضمن تأمين حدود بلاده..وتوفيت الزوجة فى المخاض ومات المولود وألمح أعضاء حاشيتها إلى الخاقان أنها ماتت مسمومة فانطلق الخاقان يغزو بلاد أرمينيا..فاضطر الخليفة أن يُطلق سراح آلاف المجرمين من السجون ويزوّدهم بالسلاح ليوقف زحف الخزر.

ـ أيضا تذكر الحولية الجورجية حادثا مماثلا ولكن بدلا من دس السم للأميرة تقوم هى بالانتحار حتى تنجو من مضجع الخاقان.. وإن تكرار إشارة الحوليات إلى عرائس المقايضة والملكات المسمومة بين حكام الدول أثار من الخيال ما ترك أثره فى عقول الناس وأفكارهم، ولعل من أثره ما امتد إلى الأحداث السياسية فأثر سلبا. (١٨٩ /٣)

= إذن من مجموع هذه الرويات فى هذا المجال نخرج ببند واحد هو :

عرائس المقايضات والملكات المسمومة وما يعترى ذلك من دسائس ومؤامرات أدت إلى حروب .

ـ انتهى القرن الثامن الميلادى ولم يعد هناك حروب بين الخزر والعرب، ونعم الخزر فى القرن التاسع إلى منتصفه تقريبا حيث أرسل الخاقان حاكم الخزر إلى الإمبراطور الرومانى يطلب تزويده بمعماريين وحرفيين مهرة لبناء قلعة على اللسان الممتد أدنى نهر الدون فاستجاب الإمبراطور فى سرعة وحزم وعن طيب خاطر وأرسل أسطولا عبر البحر الأسود وبحر آزوف وصعد إلى مصب نهر الدون إلى المكان المقترح لبناء القلعة (قلعة ساركل) وظهرت إلى الوجود بجهود مشتركة من الدولتين تحسبا للعدو المحتمل الجديد الذى ظهر على مسرح العالم وهو (الفايكنج) أو النورسمن (أهل الشمال) أهل اسكندناوة، سماهم الشرق روس وسماهم العرب الفرنجة.

= من موضوع بناء الخزر قلعة ساركل بمساعدة الدولة الرومانية نخرج بالبند الثانى من عوامل إضعاف الدولة هو :

تحسب الخزر للخطر المحتمل القادم إليهم من الروس ببناء قلعة ساركل بمساعدة الجارة بيزنطة (٥/١٩٠)

الوافدون الخطرون الجدد على مسرح العالم الذين أطلق عليهم الغرب إسم الفايكنج أو النورسمن (أهل الشمال) أهل شبه جزيرة اسكندناوة وأطلق عليهم العرب إسم الفرنجة.

وتأملوا هذا المشهد العجيب : (قبل قرنين زحف العرب الفاتحون على العالم المتمدين فى حركة كماشة ضخمة وصل فكها الأيسر جبال البرانس (غرب المتوسط) ـ وفكها الأيمن بحر القوقاز.. والآن فى غضون غارات الفايكنج بدأ التاريخ مسارا جديدا وكأنه مرآة تعكس أحداث ذلك الدور الجديد من أدوار التاريخ حين بدأ العرب ينحدرون فى فتوحاتهم الإسلامية عبر الصحراء

العربية شمالا عن طريق البر بحرب مقدسة ـ وزحف النورسمن جنوبا عن طريق البحر والمجارى المائية (الأنهار) بهجمات للسلب والنهب والقرصنة. واعتدى فيه الروس على الخزر وعلى الروم الشرقيين ..حتى كان الغرب يبتهلون : " خلصنا من الخوف يا ربنا " وفى جزيرة هولمجارد بنوا مستوطنة أصبحت فيما بعد مدينة نوفجورود ومنها واصلوا غارات السلب والنهب متجهين جنوبا فى نهر الفولجا إلى بحر قزوين، وفى نهر الدنيبر إلى البحر الأسود وجمعوا بين القرصنة والتجارة التى يفرضونها بحد السيف والفأس. وفى تلخيص هذا البند يقول ماك إيفدى :

" كان نشاط جماعة الفايكنج ـ الفرنجة الذى امتد من إيسلندة إلى حدود التركستان ومن القسطنطينية إلى الدائرة القطبية نشاطا يفوق حد التصديق لكنه مجهود تبدد فى السلب والنهب ولم ينزل الأبطال الشماليون إلى ميدان التجارة إلا حين فشلوا فى قهر غيرهم ـ فقد فضلوا الذهب البراق الملطخ بالدم على ربح تجارى ثابت (١٩١/ ١٠)

كانت قوافل سفن الروس المبحرة جنوبا فى فصل الصيف بمثابة أساطيل تجارية وحربية فى نفس الوقت بحيث تقوم بالعمليتين معا ومن المستحيل التكهن متى تتحول أساطيل التجار إلى أساطيل محاربين ـ وكان حجم هذه الأساطيل ضخما. ويحدثنا المسعودى عن قوة عسكرية من الروس دخلت بحر قزوين من الفولجا (سنة ٩١٢ ـ ٩١٣ م) مؤلفة من حوالى ٥٠٠ سفينة كل منها عليها مائة شخص ومن هؤلاء لقى ٣٥ ألف مصرعهم فى القتال.. ونظرا لعدم إمكان التنبؤ بنوايا هؤلاء الغزاة الخطرين وغدرهم الذى كان مضرب الأمثال. فقد كان لزاما على أهالـــى كل من بيزنطة والخزر " التصرف طبقا لما يصل إلى آذانهم "، ومن هذه الفقرة نخرج ببند :

شُيِّدت قلعة ساركل فى الوقت المناسب فمكنتهم من مراقبة تحركات أساطيل الروس على طول الأجزاء الدنيا من نهر الدون ومعبَرة الدون والفولجا (الطريق الخزرى) ونستطيع القول أن غارات السلب والنهب كانت موجهة ضد البيزنطيين وأن الغنائم كانت وافرة لأن علاقاتهم مع الخزر كانت قائمة على أساس تجارى (يدفعون جمارك ١٠% من الغنائم عند الرجوع بها).

أثـّر الخزر ثقافيا فى أهل الشمال فمثلا أطلقوا على الحاكم عندهم لقب (الخاقان) فى نوفوجورود (خاقان الروس) وأن الروس قلدوا طريقة الحكم

الثنائي (القائم في دولة الخزر وهو الخاقان والخاقان بك).وإن بقي هذا التأثير على السطح ولم ينفذ إلى جوهر الثقافة الروسية

الحدث الهام فى تاريخ الروس هو استيلائهم على مدينة كييف من سلطة الخزر ــ وفى الغالب بدون حروب تذكر. وبسرعة أصبحت كييف أم المدن الروسية ، وكان توسع الروس له الأثر المباشر على الخزر.

ويقول أرتامونوف فى أروع مؤلفاته : " لقد تفسّخت مملكة الخزر، وانقسمت إلى أجزاء اندمجت منها الغالبية مع شعوب تربطها بها صلة قرابة، واستقلت الأقلية فى أتل وفقدت صفتها القومية وتحولت إلى طبقة طفيلية يهودية الصبغة ". (١٩٢/٩٥)

الخزر والمجر :

طوال الفترة السابقة كان المجريون حلفاء للخزر منذ فجر إمبراطورية الخزر. وأصل المجريين لنهم كانوا ذووا قرابة بالفنلنديين من جهة اللغة وموقع الإقامة (جبال الأورال) وفى تاريخ مجهول طُردت هذه القبيلة البدوية من موطنها السابق فى جبال الأورال فهاجرت جنوبا عبر السهوب واستقرت فى الإقليم الواقع بين نهرى الدون وكوبان، وبالتالى صار المجريون جيرانا للخزر حتى قبل أن يرتفع شأنهم وقضوا فترة ضمن اتحاد فيدرالى ضم شعبا شبه بدوى هم الأونوجور (السهام العشرة : القبائل العشرة) ويُعتقد أن اسم " هنجارى "هو ترجمة سلافية لتلك الكلمة (١٩٣/١٩) وأن اسم "مَجَرى " هو الذى أطلقوه على أنفسهم منذ زمن سحيق.

إذن فإن المجريون رعايا ضمن إمبراطورية الخزر مسالمون على طول مدتهم ولا يُعرف عنهم أى مشاكل مع الخزر بل إن الخزر كانوا يكلفون المجريين بتحصيل الإتاوة من القبائل المحيطة بهم كوكلاء عنهم، فكان ذلك مصدر دخل للمجر. (١٩٤/٢١)

كانت سياسة الخزر زرع المجريين فى هذا الموقع (غرب نهر الدون) لأسباب استراتيجية فاستطاع المجريون فى هذا الموقع صد زحف الروس نحو الجنوب الشرقى والجنوب وهى خطة مكملة لبناء قلعة ساركل على الضفة الشرقية لنهر الدون (١٩٥/٢٢) وقد نجح هذا التنظيم لمدة نصف قرن ــ ولو أن قدوم الروس غير من هذا الوضع تغييرا جوهريا ــ لكن توثيق العلاقة بين المجر والخزر أسفرت عن حادثين تركا أثر بصماتهما الدائمة على شعب

المجر :

* **تنصيب "أرباد " ملكا :**

نجح التنظيم السابق بصورة مرضية لمدة نصف قرن فزادت العلاقة توثقا بين المجر والخزر وأراد الخاقان مكافأة المجريين الذين كانوا يشكلون سبع قبائل على كل منها شيخها وكان ألمعُهم هو " ليبيدياس" فمنحه الخاقان زوجة خزرية لينجب منها أولادا ولكن ذلك لم يحدث وأخفق هذا التحالف الأسرى ولكن الخاقان وطد العزم على تدعيم العلاقة والروابط مع المجر فطلب إلى المجريين أن يبعثوا له كبير شيوخهم فحضر ليبيدياس فقال له الخاقان : " لأنك كريم وشجاع ولأنك الرجل الأول بين قومك يمكننا أن نعلى من شأنك لتكون أول حاكم لبنى جنسك وأن تكون خاضعا لقوانيننا وأوامرنا.

ويبدو أن ليبيدياس كان معتزا بكرامته فرفض هذا العرض بعبارة مناسبة عرفانا بالجميل، رفض أن يكون ملكا دمية ألعوبة فى يد الآخرين واقترح بدلا منه أن يمنح هذا الشرف إما لشيخ زميل آخر اسمه " الموس" أو لـــ " أرباد بن الموس" فارتاح الخاقان لهذا واختارت قبائل المجرــ" **أرباد ملكا** " (١٩٦/١٠٠) ونصّبوه ورفعوه فوق دروعهم وفق عادات الخزر، ففتح هنجاريا (المجر) وتولت أسرته الحكم حتى سنة ١٣٠١م، ويحفظ أطفال المدارس اسمه إلى اليوم. (هذا هو الحادث الأول).

* انخرط بعض القبائل الخزرية فى سلك المجريين وغيروا صفتهم العرقية تغييرا عميقا بما في ذلك اللغة، وذلك نتيجة تمرّد ثلاث قبائل من سلالة الخزر أنفسهم على الحاكم وهجرتهم وإقامتهم بين ظهرانى المجريين. (وهذا هو الحادث الثانى).(١٩٧/٢٣)

فى أواخر القرن التاسع نزلت بالبشنج كارثة حيث طردهم من بلدهم جيرانـــهم الشرقيون (الغز) فاضطر البشنج إلى محاولة الإستقرار فى بلاد الخزر، فردّهم الخزرُ على أعقابهم فواصلوا هجرتهم الجماعية نحو الغرب وعبروا نهر "الدون" وغزوا إقليم المجريين، فاضطر المجريون إلى التقهقر غربا، مابين نهرى الدنيبر وسيريث، واستقروا بها سنة٨٨٩ م. وفى سنة٨٩٦ أعاد البشنج ضربتهم متحالفين مع بلغار الدانوب، فانسحب المجريون إلى ما يُعرف اليوم بالمجر، واضطر المجريون فى عملية الاستيلاء علي وطنهم الجديد الدائم إلى طرد شاغليه السابقين أي الموراقين وبلغار الدانوب، فانتقل هؤلاء إلى

الأقاليم التي لا يزالون يعيشون فيها أما السلاف الآخرون وهم الصرب والكروات فقد كانوا تقريبا في موطنهم الأصلي.

وهكذا..نتيجة لسلسلة ردود الفعل التى بدأت فى جبال الأورال النائية حيث : طارد الغزُ البشنجَ، وطارد البشنجُ المجريين، وطارد المجريون البلغارَ والموراقيين. نقول نتيجة لذلك بدأت خريطة وسط أوربا الحديث تتشكل. وبطرد المجر أمكن للروس السيطرة علي "كييف"بسهولة حيث انكشف الجانب الغربي للخزر، وبدأ صعود الروس إلى السلطة، وأدى ذلك إلى هجوم على القسطنطينية.

أصبح في وسع أمير كييف بعد تقهقر المجر، حرمان الخزر مما كانت تحصل عليه من إتاوة من القبائل السلافية (الصقلبية) التى تقطن حوض الدنيبر واستباح رجاله مدينة أتل، وتقبل الخزر ضياع سيطرتهم فى الغرب وتزامن هذا مع اعتداء روسى متزايد على الشرق أدني الفولجا وإلي الأقاليم حول بحر قزوين (بحر الخزر) حيث البلاد الإسلامية على النصف الجنوبى لبحر قزوين .

سقوط دولة الخزر

كان على الخزر تقبل ضياع سيطرتهم على الجانب الغربى، وهناك اعتداءات روسية تتزايد على الشرق أدني نهر الفولجا وحول بحر قزوين حيث البلاد الإسلامية أذربيجان، طبارستان، شيروان،جورجان، التى كانت هدفا مغريا لأساطيل الفايكونج سواء للسلب والنهب أو لتبادل السلع التجارية مقابل دفع نصف ما يحصلون عليه من غنائم من شعوب شاطئ البحر، وسفك الروس دماء النساء والولدان وأخذوا الغنائم وشنوا الغارات وخربوا البلاد وأشعلوا الحرائق واستباحوا مدينة أردبيل وغرق آلاف المسلمين. فلما عادوا إلى مصب نهر الفولجا وأخطروا الخاقان بما حصلوا عليه وسلموه نصيبه من الغنائم، علم الجنود المسلمون فى جيش الخزر وطلبوا من الملك أن يسمح لهم بقتال الروس الفايكنج انتقاما لما فعلوه بالمسلمين، ولم يستطع الملك أن يخالفهم، وانضم إليهم عدد من مسيحى أتل وتقابلوا معهم فنزل الروس من سفنهم استعدادا للقتال، وظل القتال ثلاثة أيام انتصر فيها مسلمو جيش الخزر وهرب باقي الروس لكنهم لم

ينجوا من القتل علي يد البورتا والبلغار (١٩٨/١٢).

" إني قادم إليكم "

كان قائد الحملة سفياتوسلاف أمير كييف الذى سبق له أن قام بحملات عديدة، يتحرك بخفة النمر وقضى معظم سنوات حكمه فى حروب، لايصطحب معه عربات ولا أوانى للطهو، لكنه يقطــّع اللحم إلى شرائح يشويها على النار ولم تكن له خيمة، يفرش تحته حرام جواده ويتوسد السرج ورجاله مثله، كان يكره أن يهاجم سرا بل يرسل مسبقا من يبلغ مقدما بالعبارة المذكورة أعلاه (١٩٩/٤).

وهناك الحملة التي شنــّها الروس على الخزر بقيادة أمير كييف سفياتوسلاف عام٩٦٥موتدمير مدينة " بيبلا فيزا " أى القلعة البيضاء ــ وهو الإسم السلافى لمدينة ساركل، يقول ابن حوقل : " إن خزر أتل هربوا من الروس إلى باكو ولكنهم عادوا فيما بعد إلى أتل وخزران بمعونة شاه شروان المسلم " وقد اعتنق جميعهم الإسلام.(٢٠٠)

انتهت سيطرة الخزر على القبائل الصقلبية النائية ولكن بقي قلب بلاد الخزر سليما وهي الأرض الممتدة بين القوقاز والدن والفولجا، وظلت الطرق المؤدية إلى بحر قزوين مغلقة فى وجه الروس. وقد قــُتِل أمير كييف وتقاتل أولاده على السلطة من بعده فى حرب أهلية وتم تنصيب ابنه فالدمير.

فى بدايات القرن الحادى عشر حملة ١٠١٦م أسطول بيزنطى يعاونه جيش من الروس وقد اتصف الخزر بصفات " عفريت القمقم " النابعة من أصلهم التركى أو من دينهم الموسوى (٢٣/٢٠١)

ويورد المؤلف عن شاعرين فارسيين فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر مستدلا بهما أن دولة الخزر كانت لا تزال باقية وهما : خاقانى : حوالى عام (١١٠٦ ــ ١١٩٠م) ونظامى وهو الأكثر شهرة حوالى (١١٤١ــ ١٢٠٣م)

وآخر إشارة تذكر الخزر مؤرخة بين (١٢٤٥ ــ١٢٤٧م) وكان المغول مكتسحين وبنوا عاصمتهم "ساراى باتو" وهى ساسكين سابقا، وهذه كانت أتل سابقا..

ثم أسدل الستار على الخزر اليهود. ولم يتبق من تاريخهم (الأسود) سوى أساطير تنعتهم بــ " اليهود الحمر ".

وقد اشتاق اليهود الغربيون إلى قصص خيالية تدور حولهم بسبب اصطباغ

بشرة الكثير من الخزر بصبغة مغولية طفيفة (٣٢/٢٠٢)

نجمة داود نتيجة أحدى القصص الخرافية :

وهذه إحداها فقد نشأت فى بلاد الخزر محاولة بدائية لصليبية يهودية هدفها فتح فلسطين بقوة السلاح بمعرفة شخص يهودى خزرى يدعى سليمان بن دوجى (أو روحى أو روى) يساعده ابنه مناحم وكاتب فلسطينى، حرروا خطابات لمجموعة من اليهود فى البلاد حولهم قالوا فيها : " إن الوقت قد حان ليجمع الله بنى إسرائيل شعبه من كل البلاد فى مدينة القدس المقدسة. وأن سليمان كان إيليا وابنه المسيح المخلص (وبعد عشرين سنة) انتحل الشاب مناحم اسم " داود آل روى "وكذا لقب المسيح المخلص " وانتقلت أخبار الحركة إلى كردستان وهنا جمع داود جيشا كبيرا من اليهود المحليين يعززهم عدد من الخزر ونجح فى الاستيلاء على حصن (أمادى) الاستراتيجى شمال شرقى الموصل، ولعله كان يأمل أن يقود جيشه من هذا المكان مواصلا القتال عبر سوريا إلى الأراضى المقدسة.. ولا ريب فى أن داود هذا أثار آمالا درامية لدى يهود الشرق الأوسط فقد جاء إلى بغداد شخص من طرفه وربما كان مفرطا فى حماسه نبّه على اليهود من مواطنيها أن يجتمعوا في ليلة محددة فوق أسطح منازلهم — ومنها سوف يطيرون فوق السحاب إلى مخيم المسيح المخلص. وبناء عليه قضى عدد ضخم من اليهود تلك الليلة فوق الأسطح منتظرين الطيران المعجز.

إلا أن هيئة الأحبار فى بغداد وقد خشت انتقام السلطات فاتخذت موقفا عدائيا نحو المخلص الزائف وهددته بالحرمان — وليس عجيبا أن داود آل روى قـُتِلَ وهو نائم وقيل إن حماه هو الذى قتله حيث رشته جماعة لها دوافع شخصية فى إتمام هذا العمل.

بقيت ذكراه موضع التقدير والاحترام — فعندما تجوّل الرحالة بنيامين التطيلى فى فارس بعد عشرين سنة من الحادث كتب يقول : " إنهم لا يزالون يتحدثون عن عقائدهم بحب وحنان، ولكن الإعجاب الذى يقارب العبادة لم يقف عند هذا الحد فهناك نظرية تقول : " إن درع داود المسدس الأركان الذى يزين علم إسرائيل الحالى بدأ أن يكون رمزا قوميا مع صليبية داود آل روى.، وكتب الأستاذ بارون أنه : " منذ ذلك الحين قال إن " درع داود المسدس الأركان والذى كان قبل ذلك تصميما للزينة ورمزا ساحرا بدأ يتطوّر ليكون الرمز القومى الدينى لليهود، ونظرا لأنه استخدم لأمد طويل بالتبادل مع النجمة

الخماسية أو خاتم سليمان.. فقد نُسِب إلى داود فى المؤلفات الألمانية الصوفية والأخلاقية وذلك ابتداء من القرن الثالث عشر فصاعدا. وقد ظهر على العلم اليهودى في " براغ" سنة ١٥٢٧م . (٣٣/٢٠٣)

النجمة السداسية مصرية

" استخدمها المصريون القدماء فى عصر ما قبل الأسرات حيث هى خاتم الملك " ثيش " الذى أمر بصنع مجموعة من خبز القربان ثم ختمها بالشارات الملكية، وسلمها لكاهن المراسم بالمعبد الكبير ليوضع فى موضع القرابين بالمعبد لتصبح عادة وطقسا بعد ذلك خاصا بالمملكة فاحتفظ به كاهن المراسم بالمعبد للتبرك به كأول خبز للقربان قدمه الملك للمعبد وإثبات اشتراكه الفعلى فى هذا الطقس. اكتـشُف هذا الأثر بأحد مقابر مدينة " أون " عين شمس والمطرية فى عهد ما قبل الأسرات ولن صاحب المقبرة هو كاهن المراسم بالمعبد الكبير بالمدينة وتمثل رغيف قربان ويوجد منفردا فى صندوق بغطاء شفاف وكان هذا الخبز من الوجبات المقدسة التى عرفتها العقيدة المصرية القديمة " دكتور سعيد محمد ثابت : باحث أثرى ورئيس جمعية محبى الآثار المصرية

" كانت النجمة تستخدم كشكل زخرفى خاصة فى عصر ما قبل الأسرات وظهرت بوضوح فى عصر الأسرتين ٢١ و ٢٢ وكانت النجمة بأنواعها تقام على واجهة ومبانى العمائر الشهيرة."دكتور محمد ابراهيم بكر رئيس هيئة الآثار سابقا

" النجمة السداسية ترتبط بالنبى سليمان وهى ترمز لعدد أيام مراسم زواجه من ابنة الملك شيشنق بالأسرة ال٢٢ الفرعونية ".دكتور الحجاجى ابراهيم : رئيس قسم الآثار بجامعة طنطا

" النجمة السداسية رمزا هيروغيفيا لأرض الأرواح وللإله " إمسو" الذى كانوا يعتقدون أنه أول إنسان تحول إلى إله وأصبح إسمه " حورس".
الباحثة مها صلاح : عضو الجمعية

تحقيق كتبه وجيه الصقار : جريدة الأهرام الثلاثاء ٢٨ ديسمبر ٢٠١٠ م ص ٦

(٢٠٤)

الخروج من أرض الخزر – هربا من جنكيز خان

هُزِمَ الخزرُعلى يد الروس سنة ٩٦٥م وفقدوا إمبراطوريتهم ولكنهم ظلوا حتي وقت كبير من القرن الثالث عشر محتفظين باستقلالهم داخل حدود أضيق

وكذا بدينهم اليهودى.

سقطت دولة الخزر فريسة لغارات المغول العاصفة التي شنها محاربو "جنكيز خان" (سيد الأرض) في منتصف القرن الثالث عشر والذي يعتبر بمثابة الزلزال الذى تبعه انهيار هائل، كان جيش جنكيز خان يذبحون سكان مدن بأكملها تحذيرا لغيرهم ليكفوا عن المقاومة، ودمروا شبكة رى دلتا الفولجا التى كانت تمد الخزر بالأرز والأغذية الأخرى، واستخدموا الأسرى ستارا بشريا وحولوا السهوب الخصبة إلى أراضي بور وصفها الروس فيما بعد بأنها : مساحة لا حد لها بلا فلاحين أو رعاة لا يمر بها إلا فرسان مرتزقة أو هاربون (٢٠٥/ ٦).

وكان الخزر قد أرسلوا فروعا كثيرة من سلالتهم إلى البلاد السلافية التي لم تخضع للمغول وبذلك ساعدوا على إقامة المراكز اليهودية الكبيرة فى شرق أوروبا مهد الجزء الأكبر من الشعب اليهودى الحديث .

إن تدفق الخزر إلى المجر كان مجرد جزء من الهجرة الجماعية أو الفرار الجماعى من السهوب الأوراسية نحو الغرب أى نحو أوربا الوسطى أو الشرقية.

عجّل الطاعون الأسود (١٣٤٧ـ ١٣٤٨م) بتناقص السكان المضطرد فى الجزء الأساسى من بلاد الخزر على اتساعها، وبعد أن وصلت ثقافة السهوب إلى أوجها، هناك كان الانتكاس إلى البربرية أكثر عنفا من الأقاليم المجاورة.

وكانت الهجرة هى الوسيلة الوحيدة المتاحة للسكان الذين أرادوا أن يصونوا حياتهم وأرزاقهم (٢٠٦/٨) وكانت الهجرة إلى مراعى أكثر أمنا عملية طويلة ومتقطعة استمرت عدة قرون وكان خروج الخزر جزءا من الصورة العامة، وقد سبق ذلك تأسيس مستعمرات ومستوطنات خزرية في أماكن مثل أوكرانيا وفى طريق هجرة الخزر نحو الغرب إلى بولندا ولتوانيا تخلفت بعض الجماعات فى القرم والقوقاز حيث كونت مراكز يهوديه لاتزال قائمة حتى اليوم .

بولندا بعد الخزر :

وجد المهاجرون اليهود وطنا جديدا شرق أوروبا الوسطى، ففي عام ٩٦٢ م بدأ يبزغ نجم بولندا حيث كان اليهود مصدر قوة لاقتصاد البلاد وإدارة الحكومة تحت حكم أسرة " بياست " (٩٦٢ - ١٣٧٠) وأيضا جيرانهم اللتوانيين الذين سارعوا إلى توزيع حدودهم فكانوا فى حاجة إلى مهاجرين يستعمرون

الأراضي التابعة لهم • فشجعوا أولا الألمان، ثم السلاف والخزر ــ الذين منحهم حاكم بولندا " بوليسلاف " سنة ١٢٦٤م كل تشجيع لمشروعاتهم وشرح لهم ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق والاحتفاظ بمعابدهم ومدارسهم وامتلاك الأراضي والعمل في أية حرفة أو مهنة، كما منحهم " ستيفن باتوري" سنة ١٥٧٥م برلمانا خاصا بهم يجتمع مرتين في العام وكانت لهم سلطة فرض الضرائب علي أقرانهم في الدين •

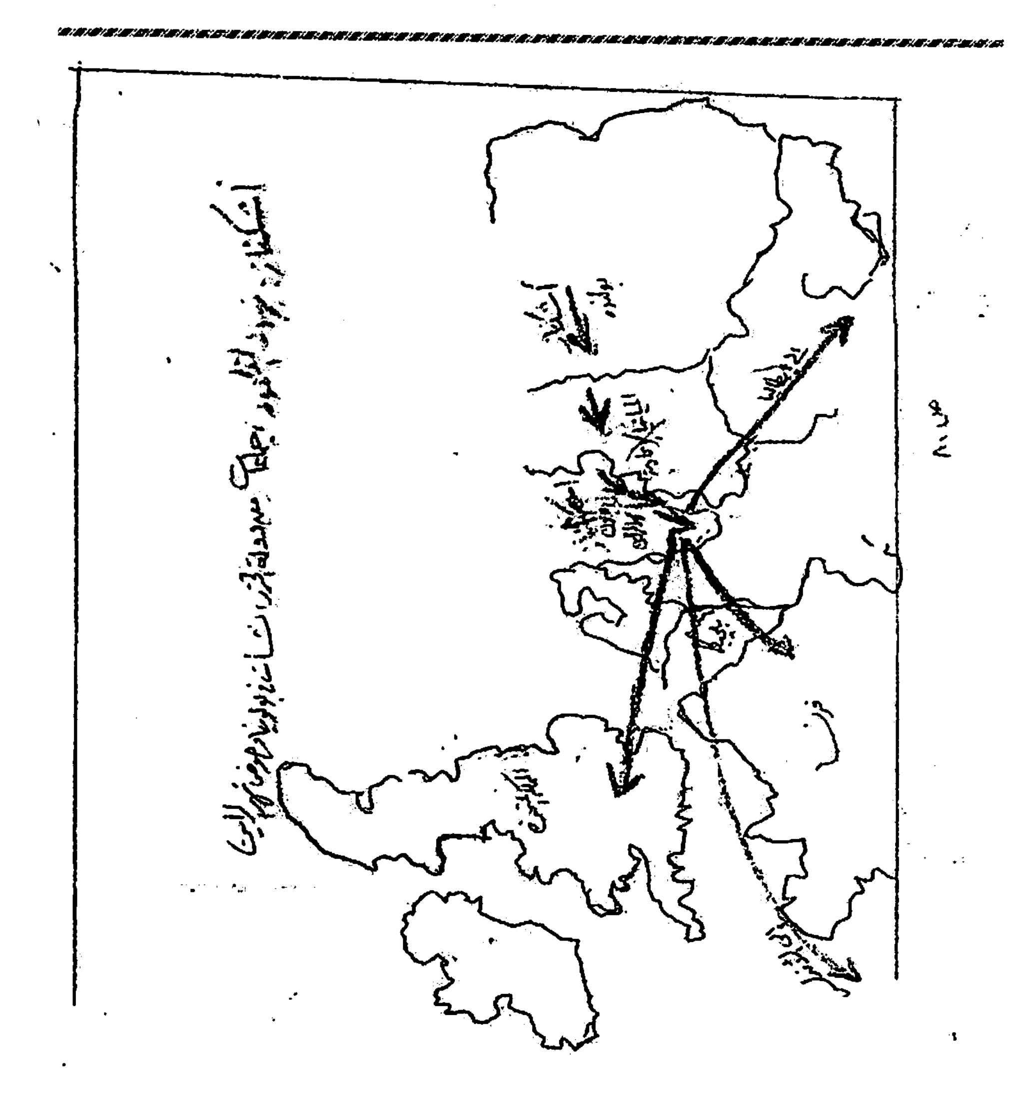
وهكذا دخل اليهود الخزر – بعد تدمير بلدهم – فصلا جديدا في تاريخهم. واستمرت الهجرات الخزرية الطويلة عن طريق أوكرانيا وبولندا ولتوانيا بدءا من تدمير ساركل ثم ازدادت سرعة هذه الهجرات خلال الغزو المغولى، وانتهت تقريبا خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر حيث خلت منهم السهوب **وتم إزالة الخزر من على وجه البسيطة** بعد أن تم تدمير أخر قرى الخزر القديمة على نهر الدنيبر بمعرفة تشملنسكى (١٩/٢٠٦)

وأقول معقبا : إن تجمّعًا نشأ على السطو والنهب، وتوسّعَ فانتشرَ كسرطانٍ بالظلم والقتل فصار دولةً، وتجبّرَ وظلـَمَ وقـَهَرَ وفرضَ إتاواتٍ على القبائل المحيطة فصارت إمبراطورية، ثم سلـّطَ الله عليهم غيرَهم فانكمشت الإمبراطورية فعادت دولة بعد أن قـُصّتْ أطرافُها، ثم جاءهم من يذبحون قرىً بأكملها، فغادرَ من استطاع، وتشتتوا.. وخلت منهم السهوب.." وتم إزالة الخزر من على وجه البسيطة ". عبارةٌ قليلة كلماتُها ــ لكن كم تحوى من معانٍ..

امبراطوريةٌ تُزالُ زوالا ساحقـًا ماحقـًا.

" وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ".

وصدق الله



يقول المؤرخ البولندى " آدم فيتولانى" :

يتفق العلماء البولنديون على أن أقدم هذه المستوطنات أسسها مهاجرون يهود من دولة الخزر ومن روسيا على حين بدأ اليهود من جنوب أوربا وغربها فى الوصول إلى بولندا والإستقرار فيها منذ فترة من الزمن فقط، ثم إن نسبة معينة على الأقل من السـكان اليهود (الجزء الأساسى فى العصور الأولي) نشأت من الشرق ومن بلاد الخزر وكوّنوا مدنًا يهودية صغيرة (شتاتل) ٠ وأن تحول اليهود الخزر إلى يهود بولنديين لم يستلزم أى قطيعة جسيمة من الماضى أو ضياع الهوية.. بل كان عملية تغيير عضوية تدريجية حافظت على بعض

التقاليد الأساسية لحياة الخزر الطائفية فى موطنهم الجديد • وقد شغلوا مناصب حكومية مثل رؤساء فى دار سك النقود ومديرين للدخل الملكى ومراقبين لاحتكار الملح وجباة للضرائب ومرابين – أى مصرفيين وذلك لأن التجارة الداخلية والضرائب الجمركية كانت المصدر الرئيسي لدخل الخزر فى الماضى (خبرة سابقة) وهناك فلا بأس من مشاركتهم فى مالية البلاط وأموال النبلاء وكانت العملات التي سُكت فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر عليها نقوش بولندية بأحرف عبرية. (٢٠٧/٢٢)

وقد وفرت التكتلات شبكة محطات تجارية أو مدن أسواق قامت بالوساطة بين حاجيات المدن الكبرى والريف، فكانت لها أسواق منتظمة للبيع أو المقايضة الخ..كما كانت السلع المصنوعة فى المدن ومنتجات صناعة الأكواخ الريفية مراكز ينكبّ فيها الحرفيون مثل صناع العجلات والحدادين وصناع الفضة والخياطين والجزارين والطحانين والخبازين وصانعى الشمعدانات وكاتبى الرسائل وخانات للمسافرين ومدارس للأطفال ورواة ملحميون وخاصة تجارة الأخشاب التى كانت أساسية فى بناء بلادهم الأولى وهي سلعة هامة من سلع الصادرات وكان النقل من الحرف التى احترفها اليهود فيسرت سبل توزيع السلع المصنوعة فى طول البلاد وعرضها عن طريق عربات تجرها الخيول ظلت حتي بدأت السكك الحديدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

يقول بولياك : " بعد الفتح المغولى حين هامت القرى السلافية نحو الغرب انتقلت معها القرى الصغيرة الخزرية، يحتمل أن رواد المستوطنات الجديدة كانوا تجارا خزرا أثرياء دأبوا على السفر عبر بولندا سالكين الطرق التجارية المعتادة من المجر فان هجرة قبائل الماجيار والكابار إلى المجر فتحت الطريق للمستوطنات الخزرية المتزايدة فى بولندا وحولت بولندا إلى منطقة عبور وكلتاهما تضم جماعات يهودية وهكذا كان التجار المتجولون ملمين كل الإلمام بأحوال المناطق المتوقع إعادة الاستيطان فيها وقد أتيحت لهم الفرصة للاتصال بملاك الأراضي الذين يبحثون عن مستأجرين، وقد يعقد المالك اتفاقا مع هؤلاء اليهود الأغنياء الذين سوف يستقرون فى أراضيه ويجتذبون مستوطنين آخرين – متمشيا مع العرف سوف يختارون أناسا من البقعه التى كانوا قد عاشوا فيها من قبل والذين هم خليط من الفلاحين والصناع والحرفيين، فشكلوا بذلك مجتمعا مكتفيا بذاته تقريبا • وهكذا نُقلت المدينة الصغيرة الخزرية من تربتها لتُغرس

من جديد وتصبح مدينة صغيرة بولندية •

وبذلك اتبعت نواة اليهود الحديثين الوصفة القديمة : " اندفعوا بقوة ونشاط نحو آفاق جديدة ولتتماسكوا وليظل بعضكم مخلصا لبعض". (٣٢/٢٠٨)

استنتاج

من العرض السابق تتضح لنا حقيقتان أساسيتان :

* زوال شعب الخزر من موطنه التاريخى (بلاد الخزر)، وفى الوقت نفسه..
* ظهور أكبر تجمع لليهود فى الأقاليم المجاورة إلى الشمال الغربى منذ أوائل الشتات •

ونظرا لأن الحقيقتين مرتبطتان على نحو واضح فإن المؤرخين يُجمِعون على أن :

الخزر هاجروا إلى بولندة بجموع غفيرة

هذا الاستنتاج أيدته الأدلة إلى جانب تدفق اليهود الغربيين وتأثيرهم في التكوين الوراثي للمجتمع اليهودى الحديث.

اليهود الغربيون

عودة إلى القرن الأول الميلادى وعصر الإمبراطورية الرومانية والفترة بعد تدمير هيكل بيت المقدس وشتات يهود السفاريم (وهم اليهود الأصليون من نسل أسباط يعقوب) الذين تشتتوا فى مدن وعواصم أوربا مثل المدن الإيطالية والفرنسية وعبروا المانش إلى :

* **انجلترا** (٢٥٠٠فرد)، استقروا فى المدن الكبيرة وعلى مر الزمن تحولوا إلى مرابين ملكيين حيث كانت وظيفتهم الأساسية توفير الاعتمادات المالية لتنفيذ المشروعات السياسية والاقتصادية. وبعد أن جمعوا ثروات طائلة نتيجة فرض فوائد عالية على ما يقدمونه من قروض تم إجبارهم على رد هذه المبالغ إلى خزانة الدولة، وإن طول المدة أعمى المراقبين حتى المتمرسين — عن ملاحظة الكراهية المتزايدة فى قلوب جميع طبقات الشعب، ومن اعتماد اليهود الكلى على أسيادهم الملكيين.. فتحولت همسات السخط إلى ثورات غضب عنيفة بلغت ذروتها فى ثورات سنة١١٨٩/١١٩٠م تلك التى أنذرت بالمأساة النهائية وهى : **طرد اليهود من انجلترا سنة ١٢٩٠م**..وإن الفترة بين ما حققه اليهود فى انجلترا من ازدهار — وتدهورهم العاجل لم تتعد قرنين وربع (٢/٢٠٩)

ومؤلفنا فى هذه الفقرة يوعز سبب فشلهم وطردهم من انجلترا إلى أنهم قلة وليس لهم قاعدة شعبية من الصناع وصغار المهن.. لكنه الربا الفاحش المنهى عنه فى توراتهم.!

* وفى فرنسا لاقوا نفس المعاملة : الترحيب والتدليل وإصدار المراسم الخاصة لهم وإغداق الإمتيازات ومختلف أنواع الرعاية فهم أشخاص مقبولون ــ وبمرور الزمن سيطروا، يقول سيسل روث : " فى العصور المظلمة كانت تجارة أوربا الغربية فى أيدى اليهود على نطاق واسع ودون استثناء تجارة الرقيق.. وكان استخدام لفظ "يهودى" ولفظ "تاجر" اصطلاحين مترادفين ولكن مع نمو طبقة التجاريين أصحاب البلد أصبح اليهود شيئا فشيئا مبعدين لا عن المهن المنتجة فقط بل عن أشكال التجارة التقليدية، ولم يتبق لهم سوى عملية إقراض المال مقابل ربح (٢١٠/٤و٥) وامتص اليهود مال البلاد، وأجبروا بين حين وآخر على ردّه لخزانة الدولة.

(٢١١/ ٦) وهكذا وجدت شخصية شايلوك قبل عصر شكسبير بزمن طويل.

عانت فرنسا من أزمة اقتصادية وحاول فيليب لوبل علاجها بإثقال كاهل اليهود ففرض عليهم دفع مبالغ طائلة.. ثم قرر أن يعالج المشكلة بحل جذرى فوقّــع أمرا سريا بالقبض على اليهود فى مملكته فى يوم محدد وصادر أملاكهم وطردهم من البلاد.. وبذلك أصبحت فرنسا **مثل انجلترا نظيفة من اليهود**

وطرد فيليب لوبل اليهود من مملكة فرنسا سنة ١٣٠٦م

*فى **ألمانيا** : نجت الجماعة اليهودية بشق الأنفس من إبادة كاملة أثناء انفجار غضب الجماهير الذى صاحب الحروب الصليبية الأولى سنة١٠٩٦م، وقد صورّ ف. باركر عقلية الصليبي بأسلوب مثير قلما يوجد فى أعمدة دائرة المعارف البريطانية (٢١٢/٩) يقول نصا: " ربما ذبَحَ الصليبي الجميعَ حتى خاض فى الدم إلى كاحله (كعب رجله) فإذا حل الليل ركع باكيا من الفرح أمام مذبح الآثار المقدسة ــ ألم يكن أحمر اللون من معصرة خمر المولى ؟ "

وقع يهود أرض الراين (ألمانيا) فريسة فى تلك المعصرة التى كادت تعصرهم حتى الموت وعلاوة على ذلك أصابهم نمط مختلف من الهستيريا الجماعية : قل هو توقٌ رهيب للإستشهاد (للموت) فقد واجه يهودماينز الخيار بين التعميد (التنصير) أو الموت على يد الجماهير..

(بلغ عدد المنتحرين من ٩٠٠ إلى ١٣٠٠ منتحر) ومئات قليلة فضلوا

التعميد والحياة. (٢١٣/١٠و١١و١٢)

لقد انتقمت جماهير ألمانيا منهم وهاجمت بعنف من لم يصبهم الطاعون، وأعملت فيهم الحديد والنار ــ فلما زالت الأوبئة كانت **ألمانيا** على حد قول المؤرخين **خالية فعلا من اليهود** (٢١/٢١٤)

وينفى مؤلفنا هجرة يهود ألمانيا بأى أعداد نحو شرق ألمانيا فما بالك إلى بولندة البعيدة شرقا بل كان **شرق ألمانيا نظيفا من اليهود**

الطاعون الأسود :

فى الفترة مابين ١٣٤٨ ــ ١٣٥٠م قضى مرض الطاعون الأسود على ثلث سكان أوربا وفى بعض الأقاليم على الثلثين. وهذا المرض تسلل إلى أوربا من شرق آسيا عن طريق تركستان، وكان انتشاره فى أوربا وما أنزله بها رمزا لحماقة الإنسان أو جنونه.. إن قائدا تتاريا حاصر مدينة "كافا" بالقرم سنة١٣٤٧م وكانت وقتها ميناء لتجارة "جنوه"، وتفشى الطاعون فى جيشه بدرجة دفعته أن يقذف الضحايا المصابين بالمنجنيق إلى داخل المدينة فانتقلت عدوى المرض إلى أهلها، وحملت السفن الجنوية الفئران وبراغيثها القاتلة غربا إلى موانئ البحر المتوسط ومنها انتشرت إلى داخل البلاد.

بعد أحداث اليهود وذبح الأطفال المسيحيين (واستنزاف دمهم لعجن فطير صهيون) اتهموهم بتسميم آبار المياه لينتشر الطاعون الأسود فانتشرت هذه الأسطورة بسرعة فاقت سرعة الفئران فكانت النتيجة : **حرق اليهود جملة فى سائر أنحاء أوربا.**

ومرة أخرى أصبح الإنتحار عن طريق التضحية المشتركة وسيلة شائعة بين اليهود هربا من الحرق وهم أحياء. ونتيجة للهجوم الثنائى من الفئران ومن الإنسان لم يبق من اليهود سوى عدد قليل .

يقول ميزس : " وبعد أن أبيدت فعلا الجماعات اليهودية العريقة فى فرنسا وألمانيا على إثر الطاعون الأسود **بقى غرب أوربا نظيفا من اليهود لمدة قرنين.** باستثناء أسبانيا ــ والواقع أن الذين أسسوا الجماعات اليهودية الحديثة فى كل من فرنسا وانجلترا وهولندا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر هم سلالة مختلفة تماما من اليهود ــ هم يهود أسبانيا (السفرديم).

لغة البيدش :

هى اللغة الشائعة بين اليهود، ولا تزال تستخدم بين الأقليات التقليدية فى

الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي السابق.

ولغة البيدش هى مزيج غريب من العبرية والمانية العصور الوسطى والسلافية وعناصر أخرى ــ تكتب بالأحرف العبرية ــ وهى الآن فى طريقها إلى الزوال وأصبحت موضوعا لأبحاث أكاديمية فى الولايات المتحدة وإسرائيل ولكنها بقيت إلى مدة طويلة من القرن العشرين تعتبر فى نظر اللغويين مجرد لغة غريبة لا تستحق دراسة جدية ــ وعلى حد قول الأستاذ هـ سميث : " لم يُعر العلماء لغة البيدش اهتماما يُذكر، وبصرف النظر عن مقالات قليلة نشرت فى المجلات فإن أول دراسة علمية لهذه اللغة جاءت على يد الأستاذ ميزس فى مؤلفه " النحو التاريخى " الذى نشر سنة ١٩٢٤م ومما له مغزى أن آخر طبعة للنحو التاريخى للغة الألمانية والذى يعالج هذه اللغة من حيث لهجاتها ــ يقتصر عند حديثه عن لغة البيدش على اثنى عشر سطرا.

وكيف أن لهجة ألمانية وسطى شرقية ممزوجة مع عناصر عبرية وسلافية أصبحت اللغة المشتركة لليهود الشرقيين الذين نفترض أنهم من أصل خزرى ؟.

وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من أخذ عدة عومل فى الاعتبار أولها أن تطور لغة البيدش كان عملية طويلة ومركبة يحتمل أنها بدأت فى القرن الخامس عشر وربما قبل ذلك إلا أنها بقيت لمدة طويلة لغة الكلام أو قل نوعا من اللغة المشتركة ولم تظهر مكتوبة إلا فى القرن التاسع عشر، ولم يكن لها قبل ذلك قواعد ثابتة للنحو، وكان الأمر متروكا للفرد ليدخل عليها ألفاظا أجنبية كما يشاء، أيضا لم يكن لها شكل ثابت لنطق ألفاظها أو لهجائها ويمكن لبيان الفوضى التى شابت الهجاء بالرجوع إلى القواعد التى جاءت فى الدليل اليهودى للشعب الذى ينص على:

١ ــ أكتب كما تتكلم.

٢ ــ اكتب بحيث يمكن لليهود البولنديين واللتوانيين أن يفهموك.

٣ ــ راع اختلاف هجاء الكلمات المتحدة فى الصوت والمختلفة فى المعنى. (١١/٢١٥)

وهكذا نمت لغة البيدش عبر القرون عن طريق نوع من التوالد الغير مقيد بحيث يمتص بشدة تلك الألفاظ والجمل والتعبيرات الاصطلاحية التى تؤدى غرضها أحسن أداء بوصفها لغة مشتركة. ونظرا لأن الألمان (فى بولندة) كانوا هم العنصر الغالب ثقافيا واجتماعيا فى بيئة بولندة فى العصور الوسطى وكان

الحكام يبذلون قصارى جهودهم لجذب المهاجرين وتشجيعهم على أن يستعمروا البلد ويقيموا " مدنا حديثة ". يقول بولياك : " لقد استورد حكام البلد هذه الجماهير من الأجانب المغامرين الذين كانوا فى أشد الحاجة إليهم ويسّروا لهم الاستيطان وفقا لأسلوب الحياة التى ألفوها فى بلادهم الأصلية : المدينة الألمانية والمدينة الصغيرة اليهودية (الاشتتل). وهناك دعاء لأحد الأحبار يقول : نسأل الله أن يملأ هذا البلد بالمعرفة وأن يتكلم جميع اليهود باللغة الألمانية (١٥/٢١٦)

وأقول : (أنه لما كانت بولندة الوعاء الذى احتوى عناصر من الألمان وعناصر من اليهود الخزر وكلاهما مهاجرون فقد نشأت هذه اللغة بعنصريها من واقع تعامل الفئتين معا).

أما أفراد سلالة الأسباط الوارد ذكرها فى التوراة فهم المثل الكلاسيكى للتكيف اللغوى، ففى بادئ الأمر تكلموا العبرية، وفى فترة الأسر البابلى تكلموا الكلدانية، وفى عهد المسيح تكلموا الأرامية، وفى الإسكندرية (عهد البطالمة) تكلموا اليونانية، وفى اسبانيا (الأندلس) تكلموا العربية ثم فيما بعد تكلموا اللادينو التى هى مزيج من الإسبانية والعبرية وكتبت بالأحرف العبرية..فهى المعادل السفردى للغة اليدش، ولكنهم غيروا اللغات طبقا لما يلائمهم.

الــــزى :

لاشك أن زى اليهود البولنديين التقليدى هو من أصل شرقى، فالقفطان الطويل الحريرى النمطى محاكيا للرداء الذى كان يلبسه النبلاء البولنديون والذى كان بدوره منقولا عن ثوب المغول فى القبيلة الذهبية، وقبل ذلك بزمن طويل كانت رداء بدو السهوب. ويلاحظ أن الطاقية الضيقة التى يلبسها المتدينون اليوم أخذها الخزر من قبائل الخاشاك، وكما ذكر من قبل أن تجارة فراء الثعلب والسمور مزدهرة فى بلاد الخزر، أيضا القبّعة المستدير ة وحافتها المحلاة بالفراء. وكان النساء يلبسن عمامة طويلة بيضاء كما نساء الخاشاك والتركمان. (٢١٧)

وفى نهاية كتابه هذا يؤكد مؤلفنا دكتور آرثر كيستلر على أن الأدلة التى وردت فى الفصول السابقة تدعم آراء أولئك المؤرخين الحديثين سواء كانوا نمساويين أو إسرائيليين أو بولنديين، فقد رأى كل منهم على حدة أن غالبية اليهود العصريين ليسوا من أصل فلسطينى بل هم من أصل قوقازى فإن التيار الأساسى للهجرات اليهودية لم يتدفق من البحر المتوسط عبر فرنسا وألمانيا إلى

(شرق أوربا) ثم العودة مرة أخرى.. بل اتجه التيار على نحو ثابت إلى الغرب من القوقاز عبر أوكرانيا – إلى بولندة ومن هناك إلى أواسط أوربا، وعندما نشأت فى بولندة تلك المستوطنات الجماعية التى لم يسبق لها مثيل لم يكن هناك فى الغرب أعداد من اليهود تكفى لتفسير تلك الظاهرة، على حين كان هناك فى الشرق (شرق أوربا) أمة بأسرها تتحرك نحو حدود جديدة. وأن ما تجمّع من البراهين يجعل المرء ميّالا إلى الإتفاق مع إجماع المؤرخين البولنديين على أنه : " فى الأزمنة المبكرة نشأت الكتلة الأساسية من اليهود أصلا من بلاد الخزر " ومن ثم فلابد أن تكون مساهمة الخزر فى التركيب الوراثى لليهود مساهمة جوهرية بل ومهيمنة فى كل الاحتمالات. (١٧٧/٢١٨)

كما أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه – خلافا للرأى الشائع – ليس هناك جنس يهودى حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التى أجريت على مجموعات من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافا بيّنا فى كل الخصائص الجسدية الهامة : القامة – الوزن – لون البشرة – الدليل الرأسى – الدليل الوجهى – وفصائل الدم..

وهذا هو رأى علماء الأجناس والذين بنوا رأيهم فى عدم وجود جنس يهودى، وهذه فقرة مقتبسة من سلسلة الكتيبات الرائعة التى التى نشرتها منظمة اليونسكو عن : " قضية الجنس فى العلم الحديث " وفيها ينتهى مؤلفها الأستاذ جوان كوماس إلى النتيجة التالية فى ضوء ما لديه من بيانات احصائية : " رغم أن الرأى الشائع فإن اليهود متغايروا الخصائص من حيث الجنس – والواقع أن هجراتهم المتواصلة وعلاقاتهم مع أكبر عدد من الأمم والشعوب سواء كانت اختيارية أو غير ذلك – قد أنتجت هجينا هائلا بحيث أن ما يُعرف بشعب إسرائيل يمكن أن يبرز لسمات نمطية لكل شعب – وكدليل على ذلك يكفى على سبيل المثال – أن نقارن يهودى روتردام الضارب إلى الحمرة القوى الضخم البنية بزميله فى العقيدة يهودى سالونيك بعيونه ذات الومضات الخاطفة ووجهه الشاحب وجسمه الهزيل وبنيته العصبية المزاج – وبناء على ذلك وفى ضوء ما لدينا من معلومات يمكننا الجزم بأن اليهود جملة يُظهرون درجة كبيرة من التباين المورفولوجى (فرع من العلوم الحيوية يدرس شكل وهيكل الكائنات وخواصها الهيكلية) بين أنفسهم مثل ذلك الذى يمكن تواجده بين أفراد جنسين مختلفين أو أكثر.(٣/٢١٩)

ويطرح " فيشبرج " تساؤلا : " هل هم جنس نقى تغير نوعا ما بمؤثرات بيئية، أم أنهم طائفة دينية مؤلفة من عناصر عرقية واكتسبت بالتحول من دين لآخر وبالتزاوج وذلك فى أثناء نزوحهم إلى مختلف أنحاء العالم ؟ "

" ابتداء من الدليل الوارد فى (كتابهم..) وما رددته الروايات يبدو أنه حتى فى بداية تكوين قبيلة بنى إسرائيل كان هؤلاء يتألفون فعلا من عناصر عرقية مختلفة.. فنجد فى آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين فى ذلك العصر كثيرا من الأجناس : نجد الأموريين وكانوا شقرا مستطيلى الرأس طوال القامة، ونجد الحيثيين وكانوا جنسا أسمر البشرة يُحتمل أنهم من نمط منغولى، ونجد الكوشتيين وهم جنس شبه زنجى، ونجد أجناسا كثيرة أخرى. هذا وقد تزاوج العبرانيون القدامى مع كل هؤلاء كما تشهد على ذلك فقرات كثيرة وردت فى (كتابهم..).

وقد توعد الأنبياء ضد " الزواج من بنات يعبدن إلها غريبا، إلا أن الإسرائيليين المتخلطين لم يكترثوا بهذه التهديدات وكان قادتهم أول من أعطى القدوة السيئة، بل إن سيدنا يوسف تزوج أسينات ولم تكن مصرية فحسب بل كانت أيضا ابنة كاهن، وتزوج سيدنا موسى فتاة ميديانية اسمها زيبورا، وكان (شمشون) البطل اليهودى فلسطينيا، وكانت أم الملك داود موآبية (الموابيون شعب سامى قديم) وتزوج هو أميرة جيشور، أما سليمان (الذى كانت أمه حبشية) فقد أحب نساء عربيات كثيرات بما فيهن ابنة فرعون وموابيات وعمونيات وأدوميات وحيثيات (١٥/٢٢٠)

وفى نفس السياق يقول دكتور حسين فوزى النجار : " ولا ريب أن كثيرا من الإسرائيليات قد سلكن مسلك رجالهن فتزوجن من أغراب، وحين عاهد العزير " عزرا " اليهود على ألا يتزوجوا من غريبات خرج كثيرون على العهد وكان من بينهم حفيد الكاهن الأكبر الذى تزوج من سامرية، فالزواج المختلط كان شائعا فى بنى إسرائيل وظل شائعا بين اليهود طوال تاريخ إسرائيل وظل مما ينفى عنهم نقاء السلالة ويثبت خرافة الشعب المختار الموعود بالحكم والسيادة على العالم والعودة إلى أورشليم. فاليهودية دين وليست جنسا، اعتنقها على مر العصور أشتات من البشر يتباينون فى اللون والسحنة والملامح وينتمون إلى أجناس مختلفة وشعوب عديدة ومن عبث القول أن يصدق عليهم نقاء السلالة وسلامة العنصر.

إن فريدريك هيرس ــ من علماء اليهود ــ يرى أنه من العبث التفريق بين اليهود والجنس الآرى، فإن القرابة بينهما لا تحتمل الشك، فعلى مر العصور امتص اليهود كثيرا من الدماء الغريبة واعتنق اليهودية كثير من الأجانب...
ومن العبث الادعاء بأن عبريي الأمس هم يهود اليوم، فإذا سلمنا جدلا بأن الوعد الإلهى لذرية إبراهيم بوراثة أرض الميعاد قائم كما يقول اليهود: فإن اليهود من ذرية إبراهيم لم يعد لهم وجود بعد أن تمثلتهم شعوب عديدة وهضمتهم بيئات مختلفة وسرت إلى دمائهم دماء غريبة تفوق ما يحملون من دماء أجدادهم، فإذا كان الإرث للبركة بركة إبراهيم فقد حلت بركة إبراهيم فى كل من حمل رسالته من الأنبياء وآخرهم عيسى ومحمد (عليه الصلاة والسلام) وإذا كان الإرث للرسالة فقد آمن برسالة إبراهيم كل مسلم مما ينتفى معه حق لليهود من غير أبناء فلسطين فى ادعاء فلسطين وطنا، وحق يهود فلسطين فيها هو حق" قائم على التوطن والانتماء إلى البلاد شأنهم فى ذلك شأن من يقيم فيها من المسيحيين والمسلمين. وقد عاش يهود فلسطين إلى جوار العرب من المسلمين والمسيحيين عيشة أمن وسلام طوال تاريخهم ولم يروع أهل فلسطين خلال هذا التاريخ ما يروعها اليوم على يد الصهيونية الغاشمة " (١٧٦/٢٢١) والأمثلة كثيرة أكتفى منها بما ذكر لأصل مع د.كيستلر إلى .

الخلاصـــــة :

يقول : لقد حاولت فى الجزء الأول من هذا الكتاب أن أتتبع تاريخ إمبراطورية الخزر فى ضوء المصادر القليلة الموجودة.

وجمعت فى الجزء الثانى فى الفصول ٥ ــ ٧ الدليل التاريخى الذى يوضح أن غالبية اليهود الشرقيين ــ ومن ثـَـم يهود العالم هم من أصل خزرى تركى لا من أصل سامى.

وحاولت فى الفصل الأخير أن أبيّن أن الدليل القائم على علم الأجناس يتفق مع التاريخ فى دحض (تكذيب) الاعتقاد الشائع بوجود جنس يهودى انحدر من قبيلة الأسفار الأولى.(٢٢٢)

*****

رأى المؤلف : آرثر كيستلر

وفى ملحق ختامى لكتابه " القبيلة الثالثة عشرة " يقول المؤلف : " إنه على حين أن كتابه هذا يعالج التاريخ الماضى، إلا أنه يثير على نحو لا يمكن تحاشيه مضامين معينة بالنسبة للحاضر والمستقبل ولعل أخطرها احتمال تفسير رواياته تفسيرا خاطئا كأن يُقال إن هذا الكتاب ينكر حق إسرائيل فى الوجود.

وردا على هذا الإتهام يقول المؤلف : " إن كيان دولة إسرائيل لا يستند إلى أصول اليهود العرقية النظرية، ولا إلى ركائز عقائدهم الدينية، وإنما يقوم أساسا بمقتضى القانون الدولى، أعنى القرار الذى أصدرته منظمة الأمم المتحدة فى سنة ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية وأن هذا التقسيم كان نتيجة تدفق هجرات اليهود إلى فلسطين لسنوات طويلة " (٢٢٣)

أيضا يقول أ.بولياك أستاذ تاريخ اليهود فى العصور الوسطى بجامعة تل أبيب : " إن الأغلبية الكبرى من اليهود فى العالم كله فى الوقت الحاضر هم من أصل أوربى شرقى، وبالتالى لعلهم بالدرجة الأولى من أصل خزرى ــ فإن كان الأمر كذلك..فهذا يعنى أن أجدادهم لم يجيئوا من الأردن، بل من نهر الفولجا، أجل لم يجيئوا من أرض كنعان، بل من القوقاز التى اعتــقد فيما مضى أنها مهد الجنس الآرى، ثم إنهم من حيث التركيب الوراثى أقرب إلى قبائل الهون والأجور والماجيار منهم إلى ذرية إسحق ويعقوب، فإذا ثبت أن هذا هو الأمر الواقع فإن

تعبير " معاداة السامية " سوف يكون خلوا من معناه القائم على سوء فهم من جانب السفاكين وضحاياهم على حد سواء. (٢٢٤)

القبيلة الثالثة عشرة وكاتبها آرثر كيستلر فى فكر الرئيس السادات

ذكر الرئيس السادات أنه : " قرأ كتابا جيدا من تأليف كاتب يهودي مشهور هو آرثر كيستلر عنوانه : " **القبيلة الثالثة عشرة** ".. وهم من جماعة الخزر الذين وصفهم المؤلف اليهودي بقوله إنهم حمر الوجوه، زرق العيون، صفر الشعر، وهو يؤكد بذلك أن كل يهود أوربا، وأكثر اليهود ليسوا ساميين، ويذهب إلى أنه ليس لهم الحق فى أن يطالبوا بالأرض التى احتلوها ــ وهذه قضية أخري ــ ولكن هذا المؤلف اليهودى يرى أن اليهود الأوربيين أو أكثر اليهود ليسوا ساميين وأنه هو أيضا ليس ساميا فهو مجرى، نمساوى المولد، بريطانى الجنسية.. ولكني أستطيع ان أقول دون اجتهاد كثير أنني ساميّ وأنهم

ليسوا كذلك، وإن أحدا لا يستطيع أن يتهمنا بالعداء للسامية ولكن التهمة واقعة لا محالة على أكثر اليهود، فهم أعداء للسامية وللساميين.

وليس ذلك تجنيًا علي أحد وإنما هو فقط مناسبة للمراجعة التاريخية.. أى لمن أراد أن يقرأ فى التاريخ القريب أو البعيد، وليس هذا سرا لأحد، وإن كان هذا الكتاب "**القبيلة الثالثة عشرة** " قد ظهر فى لغات كثيرة وانتشر بين الناس، ولكن لم يلقَ ما يستحقه من العناية أو الحفاوة لا من العرب ولا من اليهود.. فاليهود نظروا إلى مكانة المؤلف العالمية والتزموا السكوت عنه فكانت مؤامرة صمت لا يصح أن نشاركهم فيها. (انتهي كلام الرئيس) (٢٢٥)

أيضا ذكر مترجم كتاب " القبيلة الثالثة عشرة " في مقدمته: " قال عنه الكاتب الكبير أنيس منصور إنه أحسن كتاب قرأه فى سنة ١٩٧٧م وذلك فى تحقيق صحفى أجرته أخبار اليوم مع عدد من قادة الفكر ونشرته فى عددها الصادر فى ٣١ديسمبر ١٩٧٧م، فالكتاب دراسة تاريخية عميقة عن دولة الخزر اليهودية التى ظهرت فى العصور الوسطى وما خلّفته على العالم المعاصر وعلاقتها بيهود اليوم — وقد بلغت هذه الدولة أوج مجدها في الفترة الممتدة من القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادى حيث امتدت حدودها وتتد من البحر الأسود إلى بحر قزوين ومن القوقاز إلى الفولجا، وكانت عاصمتها " أتل " التي تقع على نهر الفولجا.

وقبل أن يغادرنا مؤلف " القبيلة.." يعرفنا به مترجمه الأستاذ أحمد نجيب هاشم عبر هذه السطور القليلة : د. آرثر كيستلر أديب موسوعى الثقافة يهودى من أب مجرى وأم نمساوية، ولد سنة ١٩٠٥م فى بودابست عاصمة المجر، هاجرت أسرته إلى النمسا فأتم تعليمه فى فيينا وأصبح عضوا فى حزب صهيونى برئاسة فالديمير جابونيتسكى الذى راح ينادى بضرورة هجرة اليهود إلى فلسطين. وفى سنة ١٩٢٦ قصد فلسطين بوصفه عضوا من حزب جابونتسكى وعمل فى حيفا وتل أبيب، ومنها خرج إلى برلين وباريس وانضم لبعثة زبلن القطبية سنة١٩٣١م

ألف الكثير من الكتب أهمها : " ثلاثية علوم الحياة " التى تعتبر عملا خالدا له.

حاضر فى جامعات أمريكا فى علم النفس وعلم النفس الموازى، وقد منحته جامعة كوبنهاجن جائزة كبيرة، كما منحته جامعة الملكة درجة الدكتوراه فى القانون، وأنعمت عليه الحكومة البريطانية من مرتبة قائد. ومات فى لندن فى مارس ١٩٨٣م (٢٢٦)

ظهور المسألة اليهودية.. وقطعناهم فى الأرض

كان البند الأول من هذا الفصل الثالث "دولة الخزر"، وهذا هو البند الثانى:

المسألة اليهودية :

اليهود مشكلة فى أى مكان وُجدوا فيه، وكل كتب التاريخ، وحتى التوراة والأناجيل الأربعة تحكى عنهم كمشكلة. والمشكلة أو المسألة اليهودية كـتب فيها كثيرون ومنهم : فرويد، سارتر، ديورانت، بوبر،هتلر، فون شوينر، كروجر، جوبينيو، تشمبرلين،لوثر،هرتزل وبن جوريون. وتصدى لهذه المشكلة أو المسألة باقتراحات لحلها الكثيرون أيضا، فهناك الحل الفارسى، والحل الرومانى والحل الإسلامى والحل الماركسى، والحل السوفييتى.

ونحن فى الشرق الأوسط فى بؤرة المسألة أو المشكلة ويجب علينا ألا تغيب عن ناظرينا وأن نتذكر أنه على بُعد بضعة كيلومترات منا جماعة من المرضى الذُهانيين، يعيشون فى بيمارستان إسمه إسرائيل، وقد جعلوا حدودهم كل منطقة الشرق الأوسط ـ كما يقول بن جورين، بل العالم بأسره. وحُلم إسرائيل أن تكون القدس عاصمة للعالم، وطريقها لتحقيق ذلك هو خلق " اليهودى الجندى " وعندهم : " نحن نحارب..إذن فنحن موجودون " (٢٢٧)

اليهود فى بلاد العرب :

بعد تدمير الهيكل فى أورشليم انطلق اليهود إلى جهات متفرقة ومنها شبه جزيرة العرب واستوطنوا اليمن فى عهد الدولة الحميرية الثانية واتنق ملكها أسعد بن كرب اليهودية ودعا أهل اليمن إلى اعتناقها.

كانت نجران قد اعتنقت الديانة النصرانية على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه (أن عيسى عبد الله ورسوله)، ومن هنا كان أصل دين النصرانية بنجران (٢٢٨)

تولى الحكم ذو نواس وكان يهوديا متعصبا فدعاهم إلى اليهودية أو القتل، ففضلوا تمسكهم بدين (عيسى بن مريم) فقتلهم وأحرقهم بالنار، وصوّر القرآن ذلك الحدث فقال تعالى : " قـُتِلَ أصحاب الأخدود. النار ذات الوقود.إذ هم عليها قعود (٤ـ ٧ البروج)

وفى الحجاز احتل اليهود أخصب الأراضى خاصة فى يثرب وخيبر، وتحدثوا العربية وتسمّوا بأسماء عربية وظهر منهم شعراء عرب مثل السموئل

بن عاديا وكعب بن الأشرف. واشتهرت منهم قبائل ثلاث عرفت بعدائها للنبى صلي الله عليه وسلم وللمسلمين وهم : بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير. وهؤلاء هادنوا قبيلتي الأوس والخزرج العربيتين، ثم انقلبوا عليهما وحرّضوا الأوس على الخزرج. وفى هذا الوقت هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلي يثرب (فآخى بين الأوس والخزرج).

ظهور المسألة اليهودية في بلاد العرب :

سيطر اليهود علي أخصب أراضي يثرب ونشروا شبكاتهم التجارية على الجزيرة العربية وكانت حنكتهم التجارية تتحدى عظمة قريش ومن هنا كانت أماني اليهود أن تتحول أنظار العرب عن مكة التى تستقطبهم بكعبتها ـ إلى يثرب مدينتهم، وكانوا يتيهون على قريش عبدة الأصنام بديانتهم فهم مُوَحّدون، فلما دخلت المسيحية الجزيرة العربية هددت سيطرة اليهود، وتفوقهم الديني وبدأ نزاع مرير بينهما.. ثم ظهر الإسلام فتصدّت لهم الديانتان معا : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى " (١٢٠ البقرة)

تصدى اليهود للدعوة واتهموا الإسلام بأنه مأخوذ نصا وروحا من اليهودية وأن الشريعة المحمدية هى الشريعة الموسوية (٢٢٩) : " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (١٣٦البقرة) وقابل اليهود هذا الدين بالسخرية وبالوقيعة بين المهاجرين والأنصار، وأيدوا قريشـًا على محمدٍ وقام شعراء اليهود يرثون قتلى قريش فى بدر ويؤلبون قريشا على المسلمين حتى أنشد شاعر اليهود كعب بن الأشرف القصائد فى هجاء المسلمين وتمادي فجرؤ على ذلك فى المدينة نفسها فغضب الرسول وقال قولته : " من لى بابن الأشرف "، فقتله الأنصار ودفع حياته ثمنا لقصائده. (٢٣٠)

فى يثرب :

سيطرت قبيلة **بنو قينقاع** على شمال الحجاز، وهم أول من بدأ الصراع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل رسول الله بينه وبينهم أمانا وشرط عليهم شروطا فنقضوها (٢/٢٣٠) فجمعهم الرسول فى سوق بنى قينقاع وقال لهم : " يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يوقع الله بكم مثل موقعة قريش، فوالله إنكم

لتعلمون أنى رسول الله، تجدون ذلك فى كتابكم وعهدُ الله إليكم، فقالوا يا محمد لا يغرنــك من لقيت ' إنك قهرت قوما أغمارا، وإنا والله أصحاب الحرب، ولئن قاتلتنا لتعلمنّ أنك لم تقاتل مثلنا (٣/٢٣٠)

وحدث ما أغضب الرسول عليهم فكانت شرارة الحرب : حيث قدمت امرأة وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودى فقتله، فشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون ووقع الشر بينهم وبين يهود بنى قينقاع، فحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه (١/٢٣١) الذى تضمّن أن تكون أموالهم غنيمة له (٢/٢٣١) وتكون النساء والذرية لهم، ثم أخلى سبيلهم بعد أن شفع فيهم عبد الله بن أبَىّ، وأمرهم بالجلاء عن المدينة فساروا صوب الشمال إلى أذرعات بأطراف الحجاز تجاه الشام.

بنو النضير :

فرح اليهود لهزيمة المسلمين فى أُحُد، وجعلوا يغدرون بالمسلمين وقتلوا أربعة من موفدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مدينتى عُضَلْ والقارة حين مروا بأرضهم (١/٢٣٢)، ثم تكررت الحادثة عند بئر مؤتة حيث هاجموا أربعين من قرّاء المسلمين وهم فى طريقهم إلى نجد فقتلوهم إلا واحدا تمكن من الهرب إلى المدينة، وفى طريقه التقى بيهوديين غير مسلحين فقتلهما ظنا منه أنهما من بنى النضير وكانا من بنى عامر، فطلبت بنو عامر الدية، فأمر رسول الله بأن تدفع بنو النضير لبنى عامر ـــ وهم يهود أيضا ـــ دية الرجلين وتوجه الرسول إلى اجتماع ببنى النضير يصحبه أبو بكر وعمر وعلىّ وبعضٌ من المسلمين، وجلس رسول الله إلى جوار جدار من بيوت بنى النضير فى انتظار أن يأتوه بالمال، لكن بنو النضير كانوا قد اتفقوا على أن يقوم واحد منهم بإلقاء حجر على الرسول من سطح المنزل الذى يجلس تحته فيقتله. فأثارت المؤامرة غضب رسول الله على بنى النضير، فطلب إليهم الجلاء عن المدينة وحاصرهم حتى طلبوا الصلح والرحيل، وهاجر معظمهم إلى مدينة خيبر اليهودية الحصينة، على مسيرة أيام من المدينة.

بنو قريظة :

لم يبق بالمدينة بعد جلاء بنى النضير، سوى بنى قريظة الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله بتحالفهم مع المشركين فى غزوة الأحزاب أو الخندق (١/٢٣٣) وكان على رسول الله أن يصد قريش وحلفاءهم عن عبور الخندق ويتجنب هجوم بنى قريظة الذين هم داخل المدينة، واحتال حتى جلت قريش عن الخندق بدون حرب فالتفت إلى بنى قريظة وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه .

يهود خيبر :

كانت خيبر شديدة الثراء، ولليهود فيها حصون لجأ إليها اليهود المهاجرون من المدينة، وجرّد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا وفتح خيبر واتفق مع يهودها أن يبقوا فى أرضهم يزرعونها مناصفة : النصف لهم والنصف للمسلمين، وسمع يهود الفدك بمعاملة الرسول الحسنة ليهود خيبر، فطلبوا صلحا مثلهم. (٢/٢٣٣)

الحل الإسلامى للمسألة اليهودية :

حل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة اليهودية فى الدولة العربية بأن أوجد لأول مرة فى تلك الدولة ما يسمى بـــ "أهل الذمة "، وسمح لهم بأن يظلوا على دينهم ويستغلوا أراضيهم وفق ما يأخذ عليهم من شروط. وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسألة اليهودية : بأن قضى على فردية اليهود التى كانوا يتيهون بها على العرب بأن جعلهم رعايا فى الدولة العربية الإسلامية (١/٢٣٤) يتمتعون فيها بالحرية مقابل أداء الجزية والخراج. ولأول مرة يحكم رؤساء اليهود فى شئونهم وكان ذلك فى الدولة الإسلامية، ويسمى رئيسهم " رأس الجالوت "، وكان البستانى هو أول رأس جالوت تولى شئون اليهود فى العصر الإسلامى، وكان موضــــع تقدير من عمر بن الخطاب. (٢/٢٣٤)

ويُبرز المؤرخ " ترتون " تسامح المسلمين مع اليهود فيقول : إن يعقوب بن اسحق الكِندى لم تمنعه يهوديته من أن يحترمه المسلمون ويعدّونه من الفلاسفة المبرزين حتى قرّبه الخليفة المأمون من مجلسه فصار طبيبه (٣/٢٣٤)

وفى العصرالعباسى الثانى تولى وظيفة رأس الجالوث أو رئيس اليهود فى كل البلاد الإسلامية دانيال بن حسدان وكان المسلمون يسمونه " سيدنا ابن داود " وكان المسلمون واليهود يقفون إجلالا له إذا كانوا بحضرته. وإذا جاء إليه الخليفة قبل يده.(١/٢٣٥)

فى العصر العباسى كان اليهود يعيشون حياة التسامح (٢/٢٣٥) وكان معظم الصيارفة من اليهود فى الشام (٣/٢٣٥) ولهم مستعمرة كبيرة فى بغداد ظلت قائمة حتى سقطت المدينة فى أيدى المغول ووجد بنيامين التطيلى الذي زارها عام ١١٧٠م أن بها عشر مدارس ربانية وثلاثة وعشرين معبدا، وتـُرجم العهد القديم إلى العربية فى عهد هارون الرشيد، وتُرجم مرة أخرى فى عهد المتوكل.

وازدهرت اليهودية فى عهد الإسلام بشكل لم تعرفه أي من بلاد الغرب وكانت لها جامعتان فى صور، وبومبيديثا. وفى عام ٧٩٢م صار "عنان بن داود حاخام أكبر على كل يهود المشرق ولكن الجامعتين العبريتين رفضتاه فهرب إلى فلسطين وأقام معبده الخاص. وقام أول فيلسوف يهودى وهو سعديا بن يوسف الفيومى الذى ولد بقرية ديلاز (من أعمال الفيوم) عام٨٩٢م وتزوج فيها وهاجر إلى فلسطين ثم إلى بابل وصار مديرا، ولم يحدّ من هذا الازدهار اليهودى إلا اكتساح المغول لبغداد عام ١٢٥٨م (٢٣٦)

اليهود المصريون : (٢٣٧)

لاشك أن النظرية السياسية للدولة الإسلامية لم تضع **عقبات** أمام الرعايا من غير المسلمين فقد أتاحت للرعايا اليهود والنصارى قدرا كبيرا من الحرية داخل إطار الدولة. ومن الثابت أن المسلمين لم يتعرضوا لحريات المصريين الدينية غداة فتح مصر على يد عمرو بن العاص حيث عومل المصريون على أن مصر فـُتحت صلحا (١/٢٣٧) واهم شروط الصلح هى الجزية مقابل تأمين اهل مصرعلى أرواحهم وأموالهم، يُعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال بما فى ذلك اليهود المصريين الذين كان عددهم بالاسكندرية وحدها حوالي اربعين الفا (٢/٢٣٧) وقد تميز سلوك عمرو بن العاص تجاه أهل الذمة بالعدالة فقد منح اليهود امتياز ممارسة كل الأنشطة الاقتصادية وغيرها بما في ذلك أعمال الإدارة في الدولة، وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز جرت محاولة إحلال المسلمين محل اليهود والنصارى فى جهاز الدولة، وفي عهد الخليفة المتوكل العباسى صدر مرسوم بطرد اليهود والنصارى من وظائفهم بجهاز الدولة الإدارى.وفى الدولة الطولونية استخدم أحمد بن طولون عددا من أطباء اليهود فى قصره (٣/٢٣٧)

وقد أمر الخليفة المقتدر العباسى بملابس يرتديها أهل الذمة تمييزا لهم عن

المسلمين. وكان العصر الفاطمى هوالعصر الذهبى لأهل الذمة (يهودا ونصارى)، والغريب أن الدولة الفاطمية لم تتبع سياسة التسامح الديني تجاه المسلمين السنيين فى الوقت الذي تمتع فيه أهل الذمة من اليهود والأقباط بمثل هذه الحريات بسبب الخلافات المذهبية، حيث إن غير المسلمين هم أداة الدولة الجديدة فى إدارة الشئون المالية خاصة الضرائب فهى محور العلاقة بين الحاكم والمحكوم، كما كانوا وسيلة الدولة فى ابتزاز أموال المصريين تحت مسميات متنوعة واعتماد الفاطميين على المغاربة وأهل الذمة فى إدارة شئون الدولة (٤/٢٣٧) وفى ظل هذا النظام وصل بعض اليهود إلى أرقى المناصب المالية والإدارية في الدولة الفاطمية وأشهرهم "يعقوب بن كلس" الذى أعلن إسلامه أيام كافور الذى تقلد جميع مناصب الخراج، وكان ثمة صراع بين اليهود والنصارى على وظائف الدولة، وحين بدأت الاضطهادات فى عهد الحاكم تحول كثيرون إلى الإسلام وفرّ آخرون إلى خارج البلاد.

وفى أواخر أيام الخليفة الحاكم أصبح أكثر تسامحا فسمح لكل الذين اعتنقوا الإسلام مُكرهينبالعودة إلي دياناتهم، كما سمح الخليفة الحافظ سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧م) لكل من اعتنق الاسلام كرها أيام الحاكم، أن يعود إلى دينه، فعاد كثيرون إلى اليهودية والمسيحية. وكان عهد الأيوبيين مريحا لأهل الذمة حيث عملوا فى الجهاز الإدارى للدولة وقد عمل بعض أطباء اليهود فى البلاط الأيوبى وأشهرهم موسى بن ميمون ذائع ــ الصيت " وأوحد زمانه ــ فى صناعة الطب "الذى أسلم وحفظ القرآن وكان على دراية بالفلسفة وألــّف بعض الأعمال الهامة ثم ارتد عن الاسلام وسمح له صلاح الدين بذلك. وفى عصر سلاطين المماليك أسبغت الدولة على رؤساء الطوائف ألقابا تحمل دلالات على احترام الدولة فى موقفها الرسمى لهؤلاء، وانقسم يهود مصر إلى طوائف هى : الربانون، القرّاؤون، والسامرة، ونجد العلاقة بين الدولة ورعاياها من اليهود فى هذه العبارة الموجهة إلى رئيس الطائفة : "...هذه وصايانا لك ولهم، فقل لهم هذه موهبة الدولة وإحسانها إليكم ولطفها بكم وعاطفتها عليكم.(٥/٢٣٧)

ودور اليهود فى المجتمع المصرى أنهم كانوا جزءا من نسيج المجتمع يتأثرون بالأحداث الجارية ويخضعون لنفس الظواهر الاجتماعية، وقد استخدم اليهود لغتين العربية وهي السائدة في الحياة اليومية، والعبرية مرتبطة بالتراث الدينى وقد استعملوا العربية فى شروح التوراة والتعليق على التلمود، بعكس

يهود البلاد المسيحية الذين استخدموا العبرية وذلك راجع إلى أن اللغة العربية كانت هي الشئ الطبيعى والأقل جهدا، وتسيّد العربية من جهة، ورغبة المؤلف في أن ينتشر لدى جمهور عريض من القراء. ودليل على تسيّد اللغة العربية أن وثائق " الجينيزا" كتبت بالعربية لكن بحروف عبرية (العربيه اليهودية) التى كانت لغة يهود مصر، وتتضح مشاركة يهود مصر فى الحياة الاجتماعية حين مرض أحمد بن طولون فأمر الرعية بالدعاء له ــ كما يحدث فى صلاة الاستسقاء إذا هبط النيل ــ وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بأناجيلهم، بينما خرج صبيان الكتاتيب بالألواح على رؤوسهم "... وخرج سائر العلماء والصلحاء ــ وهم يدعون الله تعالى له بالعافية والشفاء.." أيضا شارك اليهود فى بعض مناسبات لها طابع سياسى فى عهد الظاهر بيبرس خرج اليهود يحملون التوراة ضمن طوائف المصريين، وحين عاد الأمير حسام الدين بن الكورانى بعد عزله فرح الناس به فرحا زائدا وأشعل اليهود والنصارى الشموع ابتهاجا بذلك وقد أدرك اليهود المصريون ــ كما أدرك غيرهم ــ أهمية نهر النيل فى حياة مصر والمصريين باعتباره شريان الحياة الرئيسى والقلق الذى كان يسود البلاد فى حالة انخفاضه أو تأخر الفيضان كان يشمل اليهود أيضا بطبيعة الحال فيخرجون مع غيرهم من المصريين إلى الصحراء لأداء صلاة الاستسقاء يحملون كتبهم ويبتهلون إلى الله، ويوجد الكثير ومنها ما حدث عام ٧٧٥ هــ حين توقف الفيضان واختفى الخبز فخرجت الجموع. (٦/٢٣٧)

وفي حين ينقسم اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى فرق تدعى كل منهم أنها الأكثر اقترابا من أصول الدين اليهودى (٧/٢٣٧) نجد فى مصر طوائف ثلاث : (الربيون أو الربانيون) ومعني كلمة "ربانيم" العبرية : الإمام أو الحَبْر، وقد عُرِّبَتْ إلى : ربّانى وتعنى اتباعهم تفاسير علماء اليهود وفقهائهم فى المشنا والتلمود (وقد سبق التعريف بالمشنا والتلمود فى فصل سابق) والقرّاؤون، والسامرة. وكانت رئاسة اليهود لواحد من الربانيين ــ أكبر طوائف اليهود الربانيين آنذاك، يتمتع بحق الإشراف على الجميع.

وأقول بكل فخر : هذه مصر تطبع كل من انتسب إليها بطابعها الخاص ــ تمصّره ــ فهل هى دعوة نبى الله يوسف عليه السلام (اللهم إنى غريب فحببها إلىّ وحببها إلى كل غريب)، أم هى مقولة والده نبى الله يعقوب عليه السلام : " ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين " أم هى نصيحة سيد المرسلين صلى الله عليه

وسلم التى نتشرف بها : " إن لكم فيها نسبا وصهرا "، إن ملوك الهكسوس الذين دخلوا مصر من الشمال الشرقى عاشوا فيها وتسمّوا بأسماء مصرية وعبدوا آلهتها، والليبيون الذين تمصروا حتى ذابوا فى أبنائها، وإذا كان الإسكندر قد ادعى إنه ابن آمون لنفترض أنه كان يهدف منصب الملك ـــ فإن البطالمة من بعده انطبعوا بطابع الملوك المصريين فعبدوا آلهة مصر وارتدوا الزى (الشنديدة) وتزوجوا من شقيقاتهم وبنوا المعابد وهاهو معبد أدفو، وشاعر الإسكندرية كفافيس الذى تبادله مصر حبا بحبه لها فتحتفل بذكراه سنويا، وروبير سوليه الفرنسى المولود بالقاهرة يقول : " أنا كاتب صحفى وروائى ومؤرخ، لأنى أكتب عن مصر، ومؤخرا صدر قاموس " عشق مصر" المترجم عن الفرنسية..والأمثلة كثيرة.. (*)

المسألة اليهودية والنازية : (٢٣٨)

الحزب النازى هو الحزب الاشتراكى الوطنى ومن مبادئه جمع الألمان فى مختلف أراضى أوربا وإنشاء ألمانيا موحدة، ومشاركة الدولة فى وسائل الانتاج والاشتراك مع الطبقة البورجوازية والقطاع الخاص فى إقامة نظام اقتصادى وطنى يكفل للدولة موارد مالية تنفق منها على تكوين جيش قوى يحقق آمال الشعب فى السيادة وآمال البورجوازية فى الغزو والفتح.

ومع أن أدولف هتلر مؤسس الرايخ الثالث هو حامل لواء النازية فإنه أخذ الفكرة عن جورج ريترفون شوينر مؤسس الحزب القومى لكل ألمانيا.

والدعوة عنصرية، ولذا فقد كان صدامها شديدا بدعوة عنصرية أخرى على مستواها. فهذه تقول بتفوق الجنس الآرى، وتلك تقول بتفوق الجنس اليهودى.

كانت الدعوة إلى "ألمنة " الإقتصاد ومشاركة الدولة فى الملكية صادمة لدعوة حرية التجارة والحكومة العالمية اللتين يقول بهما اليهود.

والحزب القومى الألمانى هوأول من نحت مصطلح " اليهودية العالمية وحكومتها الخفية " وهو الذى فضح "بروتوكولات حكما صهيون " ــــ الذى أنكر اليهود وجوده بشدة مغالٍ فيها ـــ والذى يقول : إن وجود هذا الشعب يرتكز على كذبة دائمة ـــ ونشرها على العالم أجمع. وكان كتاب هتلر : "كفاحي" أول منشور سياسى ينتحل دعوة العداء للسامية، ومن أقواله : " إن ذكاء اليهودى ليس وليد تطور ذاتى أو داخلى فهو تطور بفضل نتاج عقول آخرين، ومستوى

الحضارة العامة يزود الفرد بمعلومات أولية يتسلح بها فى محاولته الكشف عن أسرار صعُبَ على الذين سبقوه اكتشافها، وليست لليهودى حضارة خاصة به فأسس عمله الفكرى مستعارة أخذها من الذين أوجدوا الحضارات، ولئن تكن غريزة حب البقاء (١/٢٣٨) عنده أقوى من أى جنس آخر فالشرط الأول الذى يجعل من شعبٍ ما شعبًا ذا حضارة ليس متوفرا ذلك فــى " الشعب المختار" حيث إنه ليس لليهود مثالية لأن روح التضحية لا تتعدى عند الشعب اليهودي نطاق "الأنا"، والتضامن الذى نراه قائما بين اليهود ويبدو لنا وثيقا ليس أكثر من تجمع آنى شبيه بتجمع قطيع من الغنم لمواجهة الخطر المشترك، أو بتجمع قطيع من الذئاب لمهاجمة الفريسة، وما أن تنتهى الوليمة حتى يتفرق المدعوون. واليهودى لا يعرف معنى التضامن إلا فى حالات مماثلة، فروح التضحية لا تتجلي ما لم يشعر كل فرد أنه مهدد، فإذا انعدم الحافز تكون الأنانية هى الطابع الغالب،ولكى ندرك وضع اليهود حيال الحضارة البشرية ينبغى لنا أن نضع نصب أعيننا حقيقة أن العالم لم يعرف قط شيئا اسمه الفن اليهودى وليس لليهود فضل على الفنين الأعظمين الموسيقى والهندسة وإنتاجهم فى حقل الفنون ليس سوى نقل أو تقليد أو سرقة، حتى فى الفن المسرحي حيث يظل اليهودى مقلدا شأنه شأن القرد، ولكن الصحافة اليهودية المضللة ترفع حثالة الفنانين إلى مصاف سادة الفن وتكيل لهم المديح.

ويقول أيضا : ليس لليهودى القدرة علي الإبداع أما ذكاءه فينزع دائما إلى التخريب والهدم وفى أندر الحالات يفعل اليهودى الخير وهو يحسبه شرا فيكون قد ساهم فى خدمة البشرية ولكن بالرغم منه. ويقول: لم يعرف العالم شيئا اسمه حضارة يهودية. ويقارن هتلر بينهم وبين الآريين الذين كانوا فى البدء رحّلا ثم استقروا حيث هم، أما اليهود فليسوا رحّلا لأن للرحّل مثالية أو شيئا من جوهرها، بل هم كانوا ولا يزالون **طفيليات تزاحم الشعوب علي مقومات وجودها**، ولئن هجروا مناطق كانوا قد استوطنوها مئات السنين فقد هجروها مرغمين تشيّعهم لعنة الشعوب التى هبــّت تطردهم بعد أن بَرِمَتْ بهم وبخروجهم على آداب الضيافة..وهكذا عاش اليهود فى كل عصر ومصر **عالة على الشعوب الأخرى**، يؤسسون دولتهم الخاصة ويخفونها خلف قناع من " الجماعة الدينية " ما دامت الظروف لا تسمح بفضح أهدافهم الحقيقية .

إذن فليس للشعب اليهودى حضارة خاصة به، وما تبدو لنا هى ملك

شعوب أخري تلقفها "الشعب المختار" وشوّه أكثر معالمها.. وقد عاش اليهود فى كل عصر وبلد عالة على الشعوب، وعلاقة اليهود بالشعوب التى يفعلون فيها فعل الطفيليات بالجسم تقوم على الكذب والتدجيل. ألم يقل "شوبنهور" إن "الشعب المختار" هو الأستاذ الأعظم فى فن الكذب ؟.(صدقت يا شوبنهور)

وقد ألـّف " هوستون تشمبرلين " كتابه " أسس القرن التاسع عشر " فى فيينا عام١٨٩٩م فكان أساس الفكر الألمانى المعادى للسامية،(حسب ظنهم أنهم ساميين) وأن مؤسس البروتستانتية المفكر الكبير مارتن لوثر كان شديد العداء لليهود وكان يريد أن تتخلص ألمانيا من اليهود وأن يُسلبوا من كل ثرواتهم قبل الطرد وتحرق معابدهم ومدارسهم وتدمّر منازلهم ويوضعوا فى الزرائب كالخنازير.

الحل السوفييتي للمسألة اليهودية : (٢٣٩)

رأي الاتحاد السوفييتي أن يخصص قطعة من الأرض يستعمرها اليهود السوفييت داخل حدود الاتحاد السوفييتى (السابق) ويعنى ذلك أنه حل المسألة اليهودية باستقلال اليهود داخل الدولة السوفييتية فاقطعهم منطقة " بيرو ــ بيدجان" وهي منطقة ضخمة المساحة (تزيد عن نصف مساحة بريطانيا وتقع فى أقصى المنطقة الشرقية من سيبريا،على أمل أن يتجمع فيها كل يهود الاتحاد السوفييتي ويطوّروها بحيث تتمتع بالحكم الذاتى وتصبح جمهورية سوفيتية يهودية

ويعلق اليهودي " ريناب" على ذلك بقوله : " وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن بها أن تـُحل المسألة اليهودية فى الدول الغربية التى بها جاليات يهودية كبيرة كالولايات المتحدة الأمريكية والذين يقدرعددهم بخمسة ملايين ونصف، ومع ذلك حاربت الصهيونية الحل السوفييتى للمسألة اليهودية واتهموا هذا الحل بأنه يقضى على قومية اليهود.

الحل الصهيونى للمسألة اليهودية : (٢٤٠)

تقوم الحركة الصهيونية على فكرة " انشاء وطن قومى ليهود العالم فى فلسطين " كحل للمسألة اليهودية، وتقول الحركة الصهيونية : إن اليهود خارج إسرائيل سيظلون أغرابا وسيبقون مهددون بالاضطهاد حتى تكون لهم دولة، وتدعى الحركة الصهيونية أن فلسطين هى الأرض الطبيعية التى يمكن أن تقوم عليها دولة يهودية لعلاقاتهم التاريخية بها ويدعى بعض الصهاينة أنهم

اشتراكيون، بل تدعى حركة داخل إسرائيل أنها حركة وحزب اشتراكى عمالى، واشتركت إسرائيل بحزبها الاشتراكى العمالى فى الحركة الاشتراكية الدولية فى المؤتمر الليبرالى. وتدّعى الحركة الصهيونية أن بها حركة شيوعية وحزبا شيوعيا.(!) وظهرت حركة تسمى الصهيونية الاشتراكية : مؤداها أنه فى دولة يهودية فقط، تنمّيها الرأسمالية اليهودية ، يمكن أن تنهض بروليتاليا يهودية تناضل من أجل الاشتراكية (!) إلى جانب عمال العالم..وإذن فينبغى أن يعمل الإشتراكيون اليهود على تكوين الدولة اليهودية أولا حيث يتعاون فيها الرأسماليون والعمال (وهنا يبرز بوضوح التناقض : بروليتاريا **تناضل**.. ورأسمالية تتعاون كيف ؟ وضد من تناضل البروليتاريا إذا كانت الرأسمالية متعاونة ؟) ولذا..يصف لينين هذه الحركات ويسميها التحريفية بأنها حركة انتهازية تستغل الحركة الاشتراكية لمصلحتها القومية.. رغم علمهم وعلم الاشتراكية الدولية أن الصهيونية تتعارض شكلا وموضوعا مع الاشتراكية. وقد اختار بوروشوف زعيم الحركة الصيونية العمالية فلسطين لتقوم عليها الدولة اليهودية ولم يستطع أن يعطى سببا لاختياره، ومع ذلك أعلن أنه اشتراكى. وقد تجاهلت الحركة الاشتراكية الصهيونية أن أرض فلسطين عربية، وأن فلسطين رغم احتلال تركيا لها ــ (لم يكن احتلال بل إن أرض فلسطين ضمن الدول العربية خاضعة للحكم التركى مثل باقى الدول العربية ولا ينطبق عليها تعريف احتلال مثلها مثل مصر، لبنان، تونس..ثم آلت كل هذه الإمبراطورية العثمانية إلى استعمار انجلترا وفرنسا وإيطاليا فاقتسمتها) ــ وقد كان لشعب فلسطين العربى أمانيه فى الاستقلال، وكانوا قد بدأوا يطلبونه منذ أربعينات القرن التاسع عشر، وعندما احتج بعض المفكرين بأن فلسطين يسكنها شعب عربى،لم يبال بوروشوف ووصفهم بالبدائية، ثم انثنى يقول "إن العرب يمكنهم أن يندمجوا فى الدولة اليهودية "ــ ويعلق دكتور الحفنى قائلا : "طبعا دعوة لطيفة من إنسان يقال إنه ناضل ضد اندماج اليهود فى الشعوب الأخرى، لكن ربما كان العرب مختلفين، وما هو غير المقبول لدى الإسرائيليين يصبح مقبولا لدى العرب !!! " وأقول (هل هو اندماج من طرف واحد ؟؟) أم صراع. وإذا كان من المفهوم أن أى مجتمع يعرف على الأقل ثلاث صور من الصراع : صراع الأجيال، صراع الطبقات، وصراع العقائد فإن المجتمع الإسرائيلى قد مرّ بصور أخرى من التوتـّرات والصراع، أثرت وسوف تؤثر إلى حد كبير على تشكيل طابعه

القومى فى المستقبل وفقا لأنماط الصراع. إنه ككيان يفتقر إلى المقومات الأصيلة للمجتمعات التقليدية، فهو كيان مصطنع يستمد مقوماته البشرية والمادية من الهجرة من الخارج، بالإضافة إلى تفاعلات موجات الهجرة ذات التنوعات الحضارية والثقافية واللغوية المتنوعة والمتباينة والغير متجانسة (شذر مذر) إذن فهو يشهد تغيرات ديموجرافية مستمرة تعكس العديد من الصراعات فى داخله، وقد حدد الدكتور حامد ربيع صور الصراع داخل إسرائيل فى الإطارات التالية :

صراع العربى ضد اليهودى..
صراع اليهودى الشرقى ضد اليهودى الأوربى..
صراع اليهودى المتدين ضد اليهودى العلمانى..
صراع اليهودى الذى ولد بإسرائيل وعاش فيها " جيل السابرا " ضد اليهودى المهاجر الجديد الذى أتى إليها فى سنوات الفخر والنجاح.

أما الباحث الإسرائيلى سمحا لنداو فإنه يحدد عوامل الصراع فى المجتمع الإسرائيلى فى الإطارات التالية :

عوامل سياسية ــ اليمين ضد اليسار
عوامل طائفية ــ اليهود من أصل شرقى فى مواجهة اليهود من أصل غربى.
عوامل دينية ــ المتدينين فى مواجهة العلمانيين.
عوامل طبقية ــ الأثرياء فى مواجهة الجوعى.(١/٢٤٠)

يكفى هذا، وصدق الله فى قوله تعالى :

" بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى " (١٤ الحشر) أى تظنون أنهم متحدون على مبدأ واحد، وقلوبهم شتى : أى متفرقون كلٌ له رأى وهدف مختلف.

فماذا ننتظر..؟

الصهيونية والتحالف الإمبريالى (٢٤١)

نفس الوضع.. فهذا بند يتعارض مع سابقه !!

ارتبطت الصهيونية بالراسمالية العالمية فكان للشركات الاحتكارية الكبرى فى العالم فروع لها فى إسرائيل منذ قيامها، وحتى قبل قيام إسرائيل كانت لهذه الشركات الكبرى مجالس إدارة من الراسماليين من اليهود مثل : شركة

الصناعات الكيماوية البريطانية "كاديراس"، و"ماركس وسبنسر"وشركة بوتاس فلسطين وكان على هذه الشركات يهود متعصبون. أما الراسمالية اليهودية الأمريكية فكانت تمثلها شركة تأمينات "بروديشيال أند صن لايف أشورنس" ولها استثماراتها في قروض البناء في فلسطين، وقدم بنك لويدز وبنك باركلز قروضا ضخمة لصالح المؤسسات اليهودية التي تقوم بشراء الأراضي من العرب وغير ذلك.. وعمل " الهستدروت" (٢/٢٤١)على اتباع سياسة التفرقة بين اليهود والعرب في المزارع والمصانع إضافة لعملية الإفقار المستمرة للمؤسسات العربية وعدم قدرتها علي منافسة المؤسسات اليهودية ومزاحمة العمالة اليهودية للعمالة العربية، وتسبب هذا كله في خلق روح من المرارة بين السكان العرب، وقامت حركة القومية العربية تتزعم الإضراب المشهور عام ١٩٣٦م ضد اليهود وبريطانيا، وبدأ العالم الغربي والحركة الصهيونية نفسها يفيقان على الخطأ الذى ارتكباه بتجاهلهما للعرب سكان فلسطين الأصليين الذين قويت مطالبتهم بالاستقلال، وهكذا صارت في فلسطين حركتان : الحركة الصهيونية الإمبريالية وتحالفها الطبيعي مع الاستعمار البريطاني والمصالح الغربية ـ والحركة القومية العربية باتجاهها المستقل. وهنا تكمن حتمية تعارض وتناقض الحركتين من بدء ظهورها :

ـ اتجاه القومية العربية الطبيعي إلى السعى والتحالف مع الحركة الاشتراكية العالمية.

ـ اتجاه الحركة الصهيونية إلى الإرتباط بالإمبريالية العالمية المحدثة (الإمبريالية الأمريكية) ووضح ذلك في العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧، فكان أمام الصهيونية من أول الأمر :

* إما موافقة العرب والتصالح معهم،وعندئذ يكون مطلبها هو مطلب العرب : الاستقلال ومعاداة الإمبريالية.

* أو مشاركة الإمبريالية في مصالحها وأطماعها..

وكانت أمام الهستدروت فرصة نادرة، هي طريق النضال ضد الرأسمالية، لكنها :

ـ جعلت المبدأ النقابي الذي يضع العمال كل العمال على قدم المساواة ـ بصرف النظر عن الدين أو القومية ـ في مركز ثانوي وأعلت عليه مبدأ القومية الصهيونية.

ـ اختارت جانب أصحاب الأعمال (طبعا) والإمبريالية البريطانية.مفضلة إياه على جانب الاتجاهات الاشتراكية.

ويفضح مؤسسها بن جوريون أهدافها فيقول " إنى أنتمى لهذا الصهيونى الذى يدعو إلى أكبر قدر من السلطة الصهيونية سلطة غير محدودة لا يعوقها عائق، بمعنى أن يسيطر التشريع القومى على العمل اليهودى، وعلى رأس المال اليهودى، وعلى وجود الشعب اليهودى.. هذه السلطة القومية التى أطالب بها هى ما أسميه الاشتراكية (!! ألا هل من صحفى يناقشه فى هذا الـــ..) هل هذا هو مفهوم الإشتراكية عندك يا بن جوريون ؟.. إنه نفس مفهوم الحزب القومى الاشتراكى الألمانى (النازى)، فالحركة الاشتراكية الإسرائيلية حركة نازية نصا وروحا ــ والهستدروت لكى تحقق قيام الوطن القومى مارست التفرقة العنصرية وأبعدت العرب ــ أصحاب الأرض ــ عن المؤسسات اليهودية حتى يمكنها أن تستوعب المهاجرين اليهود الجدد، ولكن العمال العرب كانوا أرخص أجرا بدرجة مذهلة، وكان رأس المال اليهودى ــ بحكم جوهره كرأس مال ــ يفضل الأجور المنخفضة، فاضطرت الهستدروت إلى خفض أجور العمال اليهود لينافسوا العمال العرب،ومن ناحية أخرى عوّضت العمال اليهود باشتراكات من صناديق تمولها الهستدروت نفسها. وعملت على تشغيل اليهود دون العرب فى المشروعات اليهودية. فماذا يفعل العرب ؟. وزادت الشقة بين الحركة العمالية العربية فى إسرائيل والحركة العمالية اليهودية.. إن الأولى تعادى الاستعمار والإمبريالية، وارتبطت الهستدروت برأس المال اليهودى الأمريكى والبريطانى.

وإذن فالصهيونية لم تحل المسألة اليهودية نفسها، بل أكثر من هذا مدّت فى نطاق المشكلة اليهودية لتشمل اليهود الذين كانوا فى فلسطين والذين وفدوا إليها بعد قيام الكيان، وخلقت دولة جديدة زرعتها زرعا فى الشرق الأوسط لتستخدمها الإمبريالية ضد حركة القومية العربية والحركات الاشتراكية فى العالم العربى.

وفيما يتعلق بـــ **الماركسية والصهيونية : (٢٤٢)**

يقول بن جوريون فى ١٣ أغسطس ١٩٤٨م: " إنى أعتبر المقدمة الكبرى الرئيسية فى صميم تفكيرنا بأجمعه، لا بل فى حركتنا وسياستنا ما يلى : أن الدولة ليست هدفا فى حد ذاتها، بل وسيلة إلى هدف. والهدف هو الصهيونية،والصهيونية تعنى دائما توسيع رقعة الأرض، والغزو

والاستيطان،ووسيلتها إلى ذلك الإحياء التاريخى العسكرى، فإذا كانت دولة إسرائيل على الدوام فى حالة حرب،فإن ذلك يرجع إلى كون إسرائيل بالواقع دولة حرب،وليس المفهوم المتطور لإنشاء ما يسمى فى إسرائيل بالجندى المستوطن سوى إحدى الوحدات التى تمثل عملية الاستعمار الصهيونى بأجمعها، يعنى لا تعدو سياسة تجميع المنفيين كونها دعوة لتكثير وحدات المستوطنين الجنود ومضاعفة عددهم "

وعلى نفس النهج يقول ليفى أشكول فى مارس ١٩٦٤فى المجلس الصهيونى العام بالقدس :

"ينبغى علينا منذ الآن أن نرسم الخطط للمليون الرابع والخامس...من أين ومتى يأتون، وماذا سيكون مصير الشعب اليهودى فى الشتات ؟ ولكى تتمكن إسرائيل من الاستمرار فى تأدية رسالتها – يجب أن يكون هناك توسع دائم فى سكانها، غير ان المسألة ليست مجرد إيجاد ثلاثة ملايين أو حتى خمسة ملايين يهودى فى الدولة، فمهمتنا لا تنتهى عند هذا الحد، وهذه ليست نهاية الرؤيا الصهيونية " إن رسالتنا التاريخية تتحقق بالوجود والقوة وهكذا تغدو مسـألة تحقيق (الرسالة الصهيونية) وتأديتها مشروطة بـ " **الوجود** "و " **القوة** " أى الاستيطان والقوة العسكرية، وهما اللذان يعتمدان بدورهما على معدل الهجرة. إن المهمة القومية التى تضطلع بها دولة إسرائيل – ألا وهى جمع شتات الجاليات اليهودة المبعثرة فى العالم وتهجيرها إلى إسرائيل..إن تلك المهمة تستدعى هجرة متصلة تستمر على الأقل لمدة جيل واحد (ثلاثين عاما) وعلى الدولة الإسرائيلية أن تؤمن الأوال الطبيعية لحياة هؤلاء السكان من المهاجرين.. ولذا **فإن مهمتنا هى احتلال الأراضى العربية وتوطيد سيطرتنا عليها، ووضع ثرواتها المادية فى خدمة اليهود فى إسرائيل.**" النقب وجزيرة تيران وجزيرة صنافير وشبه جزيرة سيناء، ومنطقة قناة السويس : إن امتلاك إسرائيل لهذه المناطق سيؤمن لنا استخداما غير محدود النطاق لخليج العقبة وميناء إيلات، وسيضع فى خدمتنا الموارد البترولية التى ستمدنا بسبعين ألف طن من البترول سنويا، كما سيمكننا من استخدام الإمكانيات التجارية التى تنطوى عليها قناة السويس. إن تلك الإمكانيات يجب أن تدر علينا ما بين ١٠ مليون و ٢٠ مليون دولار سنويا، بينما يدر علينا ميناء إيلات ١٠ مليون دولار سنويا (٢/٢٤٢)...." يكفى هذا ولا أدرى كيف ينام حكام مصر ملء أعينهم كل مساء وهؤلاء

يتربصون بنا ويتلمظون على سيناء وهى جاهزة لاحتلالهم لها ثانيا وقد استعدناها بكل عزيز وغال وقد أوردت هذه الفقرات لندرك جميعا مدى ما ينتظرنا من ناحيتهم).

بين اليهودية والمسيحية : (٢٤٣)

ستيفن سيزر – القس البريطانى الشهير – فى مواجهة إشكالية " الشعب المختار "

نظمت الكنيسة الأسقفية بالزمالك بالقاهرة مؤخرا ندوة يحاضر فيها القس البريطانى الشهير ستيفن سيزر الذى أثار عددا من القضايا : الأولى هى أكذوبة القول بأن اليهود حتى الساعة هم " شعب الله المختار " والثانية تطور الفكر المسمى " اليهو مسيحى "، والثالثة قضية صعود تيارات الإسلام السياسى فى العالم العربي بعد ثورات " الربيع العربى" الأخيرة ونفوذ الولايات المتحدة الأمريكية التقليدى فى الشرق الأوسط.

وفى محاضرته أظهر القس ستيفن سيزر عمق الخلاف المسيحى – اليهودى بعيدا عن الأحلاف السياسية أو الإختراقات اليهودية للنظم الغربية، وأكد أنه " بمجئ السيد المسيح وبدء دعوته ورسالته، انتهى الادّعاء بكون اليهود هم شعب الله المختار، وإنهم وإن كانوا أول من آمن بالله الواحد، وأن الله كان يريدهم منارة له وسط العالم الذى كانت تسيطر عليه الوثنية فى ذلك الوقت، إلا أن هذه الإرادة انتهى زمنها بتوالى الرسالات السماوية "، فمن هو شعب الله المختار ؟.

يرى العلامة المصرى الراحل الأنبا جريجريوس – أسقف الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى – فى مؤلفه الشهير " وثائق للتاريخ.. الكنيسة وقضايا الشرق الأوسط " أنه فى المسيحية شعب الله المختار هو جميع المؤمنين به، وأنه ليس لله شعب معين بل كل " الذين قبلوه... أى المؤمنون باسمه ". وقد مرت فترة على اليهود دُعوا فيها " شعب الله المختار بوصفهم أول من عرف التوحيد على يد موسى النبى، فهل عاد الله ورفضهم لأجل شرورهم ولأجل نقضهم عهده وكسرهم وصاياه ؟

إن التوراة زاخرة بذلك ففى سفر إرميا النبي : " كلهم عصاة متمردون..كلهم مفسدون.. الرب قد رفضهم "(إصحاح ٦) وفى سفر هوشع النبى: " لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم (إصحاح ١) ويضيف "يرفضهم إلهى لأنهم لم

يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم (إصحاح٩).ويطرح العلامة المعاصر الراحل الأب متى المسكين علامة استفهام فى مؤلفه العمدة " تاريخ بنى إسرائيل " لماذا تخلى الله عن شعبه إسرائيل، ذلك الذى سبق واختاره وأعطاه الوصايا العشر، لكنه لم يحفظها أو يقدسها ؟.

الحقيقة أن دولة إسرائيل كانت دولة غير زمانية بل قصدها الله أن تكون دولة روحانية ولم تقم بالقوة البشرية حتى تنهار وتسقط بالقوة البشرية، إن إسرائيل وقد أقامها الله بنفسه، فالله هو الذى أسقطها بنفسه، كما أن تحذيرات الله لإسرائيل كانت مستمرة بأنها إذا زاغت من تحت تدبيره فهو حتما مزمع أن يرفضها ويتخلى عنها.

وينقل لنا إرميا النبى صورة فاجرة لحديث دار بينه وبين نساء الشعب وهن فى منفاهن عندما كان يوبّخهن على عبادة الأصنام ويذكرهم بكلام الله : " إننا لا نسمع لك الكلمة التى كلمتنا بها باسم الرب، بل سنعمل كل أمر خرج من فمنا فنبخّر لملكة السموات (عشتاروت) ونسكب لها سكائب كما فعلنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا ".

إن عبادتهم لعشتاروت لم تكن مجرد غواية دينية، بل قد امتد العفن إلى الأعماق ووصلت الحياة الداخلية بالفساد والانحلال الخلقى والأدبى فى الأسرة اليهودية حدا بلغ معه مشاركة الأب لابنه فى اقتراف القبائح، الأمر الذى وصفه عاموس النبى :"....ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا إسم قدسى.... ويشربون خمر المغرمين فى بيت آلهتهم " عاموس ٢". " من لجل ذنوب يهوذا الثلاثة والأربعة لا أرجع عنهم لأنهم رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه وأضلتهم أكاذيبهم التى سار آباؤهم وراءها فأرسل نارا على يهوذا فتأكل قصور أورشليم" (عاموس ٢) .

أما الوعد بالأرض فكما يقول مفسروا الكتاب.. فى عهديه القديم والجديد قد تم منذ أربعة آلاف سنة، وقد بتّه الله لذرية إبراهيم كلها، أى لإبنيه : لليهود بواسطة إسرائيل. وللعرب بواسطة إسماعيل. ثم إن نبوءة العودة إلى أرض الميعاد قد تمت (فى الماضى) عندما عاد اليهود إلى بلاد اليهودية بعد سبيهم فى بابل، وأقاموا حائط أورشليم وأعادوا بناء الهيكل، وعليه فلا يوجد فى التوراة وعد برجوع ثان، كما كانت الحجة الأحدث فى القرن العشرين الخاصة بقيام

(كيان) إسرائيل.

يهود الدونمة : (٢٤٤)

هم طائفة عاشت في تركيا منذ القرن السادس عشر ولا تزال أصولها قائمة حتى الآن، تميزت بجمعها بين الهويتين : اليهودية والإسلامية فهي يهودية الأصل والمنبع والجذور. دخلت الإسلام بهدف التستر خلفه لتحقيق الغرض الذى يسعي إليه كل يهود العالم وهو الاستيلاء على فلسطين بزعم إحياء أسطورة إعادة مُلــك سليمان وإقامة دولتهم الكبرى التى تحكم العالم من فلسطين.

بدأت جذور علاقة (اليهود بالدولة العثمانية) فى القرن الرابع عشر وقت ظهور الدولة العثمانية التي رحبت باليهود النازحين والفارّين إليها من الاضطهاد الأوربي المسيحي الذي واجهوه خاصة يهود الأندلس الذين تم نفيهم وطردهم تنفيذا للمرسوم الملكي الموقع من الملك فرديناند والملكة إيزابيلا، وَجَدَ اليهود الأمن والأمان لدى الدولة العثمانية اللذين لم يعهداه فى أية دولة أوربية. وكان المجتمع اليهودى فى الدولة العثمانية يتكون من ثلاث مجموعات :

* اليهود الذين عاشوا فى الدولة البيزنطية ثم خضعوا للدولة العثمانية التى حلت محلها .
* اليهود المهاجرين من النمسا والمجر وروسيا وألمانيا وبولندا.
* اليهود المهاجرين من الأندلس والبرتغال وإيطاليا نتيجة للاضطهادات التى لاقوها من الشعوب

قام الترك بتقديم المساعدة لهم تطبيقا لنظام التسامح الإسلامى مع أهل الذمة فوجهوا جماعات كبيرة منهم إلى المدن الرئيسة فى الدولة كالقسطنطينية وأدرنة وإزمير وسالونيك..فقام اليهود بالسيطرة على المرافق الاقتصادية والميادين التجارية وتمتعوا باستقلال ذاتى واستطاعوا ممارسة شئونهم الدينية باستقلال وتم منح الحاخام اليهودى تمثيل جميع اليهود فى الدولة أمام الحكومة فأصبحوا من كبارأصحاب المحلات التجارية فى إزمير وسالونيك واستامبول ونافسوا الصدر الأعظم والوزراء فى فخامة منازلهم وشغلهم الوظائف الهامة فى الدولة.

قامت فى القرن السابع عشر حركات يهودية فى الدولة العثمانية أطلق عليها اسم " حركات تحرير" تدعو إلى هجرة اليهود إلى "الأرض الموعودة" (فلسطين) التى كانت ضمن ممتلكات الدولة العثمانية وسبب ذلك توترا فى

العلاقات وعرفت الفترة باسم " مرحلة العد العكسى للنفوذ اليهودى في السلطنة "
حين بدأت الدولة تسير نحو الانهيار بدخولها فى حروب مع روسيا والبنادقة وظهرت موجة معادية لليهود فى روسيا وبولندا وأوكرانيا فبدأ يسرى لدى اليهود شعور بوجوب التخلص من سلطة الغير عليهم فتملكتهم فكرة ضرورة الخلاص والمسيح المنتظر الذى سيأتى ويعيد لهم ملكهم واستقلالهم متخذين من الدين ستارا لإنجاح دعوتهم، وهنا ظهرت دعوة "شبتاى بن صبى" أو سبتاى زفى (سبتاى تسفى) الذى أعلن أنه المسيح المنتظر وكوّن جماعته المسماة " الدونمة" التى اتخذت غطاء دينيا إسلاميا يهوديا بينما أحدثت الكثير من التأثيرات السياسية والعقائدية والاقتصادية والإعلامية، وهؤلاء لم يرتبطوا بنسب لا مع اليهود أبناء دينهم ولا بالأتراك .المسلمين السكان الأصليين لسالونيك فعاشوا منعزلين، يعلنون على أنفسهم أسماء ضخمة مثل "المؤمنين" و"المجاهدين"ويتخفون وراء أسماء إسلامية يستعملونها فى حياتهم العامة،أما أسماءهم اليهودية فكانوا يســتخدمونها داخل بيوتهم وأثناء مناسكهم اليهودية، وقامت هذه الجماعة ــ بعد موت مؤسسها ــ بدور مؤثر في المجتمع التركي المسلم والعمل على إخضاعه لأهدافها وتوجيه الفكر المسلم إلي اتباع الفكرالغربي الملحد، وانعكاس هذه السياسة علي المجتمع فهي في جوهرها حركة سياسية اتخذت من التظاهر بالإسلام وسيلة لها لتحقيق أغراضها..وعرفوا "بالسبتائية ". "وسبتاي زفي" (سبتاى تسفى) هو ابن تاجر كبير ولد في إزمير، نشأ محبا للوحدة ودرس في كتب الديانة وقام بتحريف الكتب المقدسة، كان يواصل الصوم وتزوج ثلاث مرات ولم يمس أى منهن، ويكثر التطهر، عقيدته "مذهب القبالا" وهو علم التأويلات الباطنية، والصوفية عند اليهود ومعناها في العبرية " الفهم والاستيعاب"، واجه معارضة قوية من قـبل حاخامات اليهود وشكوه إلى السلطان العثماني محمد الرابع فأعلن إسلامه وحاكموه فتحول من مسيح مزيف إلى مسلم مزيف وسمى نفسه محمد أفندى، أسند له السلطان وظيفة رئيس بوابين بالقصر السلطانى.

كان تخطيط يهود الدونمة لإلغاء الخلافة تدريجيا :

إثارة الأقليات غير المسلمة مثل الأرمن، وتوجيه تقارير للسلطان ضد الأرمن أنهم يقومون بتهريب الأموال للخارج والتجسس.

تمجيد الحضارة الغربية بدعاياتهم فى الصحف وتلقين الشباب التركي البعد عن الإسلام.

بعث القوميات القديمة التي أماتها الإسلام، وإحياء النعرات الطائفية والجنسيات المختلفة التى تعيش فى كنف السلطنة.

علاقتهم بجماعة الإتحاد والترقي الذين برز نشاطهم في إصدار الصحف المعادية لنظام دولة الخلافة والتي تميزت بحرية خاصة داخل الدولة ثم أصبحت صاحبة السلطة الحقيقية فى الدولة في الفترة من ١٩٠٨ ــ ١٩١٨م بعد القضاء علي السلطان عبد الحميد، وقامت بثورة كبري تزعمها يهود الدونمة ونشطت الجمعيات والأحزاب فى الدولة التى تدعو إلى الإصلاح ولامركزية الإدارة وتتكون من بعض الضباط الأتراك ومن طلاب المدرسة الطبية العسكرية إلى جانب شخصيات كبيرة فى الحكم مثل وزراء المالية والداخلية وكانت الجمعيات فى بدايتها فرع لحزب "تركيا الفتاة " المشبع بالأفكار الغربية.

علاقة مصطفي كمال أتاتورك بالدونمة : (٢٤٥)

استعان أتاتورك باليهود فى تنظيم الجامعة التركية على الأساليب العلمية الحديثة واستدعى ما يقرب من أربعين أستاذا يهوديا لتوسيع نشاط الجامعة ومن أبرزهم "ربك" الاقتصادى اليهودى الشهير، وكان اليهود يعظمون دور أتاتورك فى سياسة الدولة التى اتجهت نحو العلمانية، وحين أعلن أتاتورك نظام الدولة الجديدة بقوله :" نحن الآن فى القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يتحدث عن " التين والزيتون " (قبّحه الله، يقصد القرآن الكريم) صفـق له يهود الدونمة ورددوا مع شاعرهم فاروق نافذ قائلين : " الآن سلـمنا البلاد لأيدى مصطفي كمال الأمينة وتركنا الكعبة للعرب ".

******

الفصل الرابع

أ ــ جذور الفكر الصهيونى : (٢٤٦)

نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه، ومحركى الفتن فيه وجلاديه (*)

(دكتور أوسكار ليفى)

١ ــ الكالاى ٢ ــ كاليسكر ٣ ــ هيرتسبرج ٤ ــ بنسكر ٥ ــ هيرتزل (جارودى ، المر برجر ودولتين مستقلتين داخل حدود قرار التقسيم مع تصفية المستوطنات بأراضى فلسطين) ٦ ــ أحد هاعام ٧ ــ ماجنس ودولة ذات قوميّتين.

ب ــ مقدمات وتداعيات :

رسالة السلطان عبد الحميد	١٩٠٢
المؤتمر الصهيونى الرابع	١٩٠٦
اتفاقية سايكس / بيكو	١٩١٦

وعد بلفور		١٩١٧	
صك الانتداب..تداعياته، وبطلانه		١٩٢٩	
انسحاب بريطانيا والتقسيم		١٩٤٨	
اليهود قبيل الحرب		١٩٤٨	
أول حرب عربية / إسرائيلية	١٩٤٨	وبداية سلسلة لا تنتهي من الحروب	
حرب السويس ودور إسرائيل		١٩٥٦	مشتركة مع انجلترا وفرنسا
حرب الأيام الستة واحتلال أراضى عربية		١٩٦٧	وتداعياتها
حرب رمضان	١٩٧٣	وتغيير نظرية الأمن القومي	

الإسرائيلى

جـ ـ المؤرخون الجدد .. وعصر ما بعد الصهيونية :

من هم .. وما هو موقفهم :

ليلنتال : ما هو ثمن إسرائيل (فى الأربعينات)

أورى أنيرى : إسرائيل بدون صهيونية

يورام جازونى : الدولة اليهودية .. النضال من أجل روح إسرائيل.

مارتن بوبر وماجانس : دولة ذات قوميتين

كلود بروزوزوفسكى : بن جوريون وقضية اللاجئين / بين مذبحة قبـــيّة وقنبلتى هيروشيما ونجازاكى

شهود..يهود..

صهيون : جبل قرب أورشليم.

الصهيونية : حركة تدعو إلى إقامة مجتمع يهودى مستقل في فلسطين.

الدعوة الصهيونية الاستيطانية ظهرت بداية فى أوربا وكان أشد المعارضين لها هم يهود فلسطين واليهود المتدينين عموما.. وفكرة "القومية اليهودية" أرادت أن تركب الموجة العامة لنهوض القوميات فى ألمانيا وإيطاليا وبولندا واليونان وصربيا فى القرن التاسع عشر.

والصهيونية مستوحاة من ظواهر اجتماعية وليس من قيم دينية، وهى تعطي للأفكار الدينية تفسيرات دنيوية.

مقدمـــــــــة :

منذ السبى الرومانى عام ٨٠م، ظل اليهود طوال ألفى عام يتجهون فى صلواتهم إلى القدس ويحلمون بالعودة إليها ويؤمنون بأن العودة ستتحقق بمعجزة إلهية عن طريق مسيح جديد يظهر فى " آخر الأيام" يقودهم إلى وطن الأجداد لكى يعيشوا هناك فى سلام تام "حيث يتجاور الذئب والحمل وحيث تفيض

الأرض لبنا وعسلا " صلوات وأحلام، ويؤمنون بأن هناك حكمة إلهية في تشتيتهم في الأرض ليكونوا بمثابة المصابيح التى تهدي سائر البشر،(!) ولا ينبغي أن تتخذ هذه الهداية شكل التبشير، لأن اليهودية دين خاص بنسل يعقوب (إسرائيل) (لاحظوا هنا التناقض بين "مصابيح تهدى سائر البشر" ـ **ولا ينبغى** أن تتخذ شكل تبشير !)، وعليهم أن يظلوا محصورين فى نطاق الإثنتى عشرة قبيلة التي أنجبها أبوهم، وطالما أن الرب هو الذى أراد لهم هذا التشتيت فإنه وحده الذي يملك إنهاء مهمتهم وإعادتهم إلى أرض " الميعاد " وهو وحده الذى يختار توقيت هذه العودة وكيفيتها. إذن ليس عليهم أن يختاروا.

ظلوا على هذا النحو حتي ثلاثينات القرن التاسع عشر حين ظهرت أول دعوة إلى "القومية اليهودية " أو "**الصهيونية** السياسية "، إضافة إلى أنهم يجب أن يساعدوا أنفسهم فى تحقيق المعجزة، والمساعدة الذاتية هى التمهيد لظهور المسيح الجديد.

" الفكرة الصهيونية " كتاب يقع فى ٦٣٨ صفحة وله مقدمة من ٨٦ صفحة وهو عبارة عن تجميع لـكتابات ٣٨ من المؤلفين،آرثر هيرتسبرج واحد منهم انتقى ٣٧ من أبرز مفكرى الصهيونية ودعاتها ومعارضيها على مدى أكثر من قرن، ثم انتقى لكل واحد منهم مقتطفات اعتبرها أفضل ما كتب.

أ ــ جذور الفكر الصهيوني : (٢٤٦/أ)

في عام ١٨٣٤م ظهرت أول فتوي تدعو إلي إقامة مستوطنات يهودية في فلسطين بالمفهوم الحالي لفكرة المستوطنات أو نقول الدعوة إلي الحركة الصهيونية بمعناها السياسي وصاحب هذه الدعوة هو :

١ ــ الحاخام يهودا ألكالاي..(مرحلة الرواد)

كان قد طواه النسيان لأكثر من مائة سنة قبل أن يبدأ المؤرخون والمنظرون اليهود إحياء كتاباته وإعادة تقديمها واعتبره البعض " نبي الصهيونية". ولد في أواخر القرن الثامن عشر وكانت شبه جزيرة البلقان جزءا من الإمبراطورية العثمانية فشهد فى شبابه حركة القومية النامية بين الصرب المنادين بالتخلص من الإستعمار العثماني وإحياء القومية الصربية، فقال : " ولماذا لا تكون هناك قومية يهودية " ؟

كان قد رحل في صباه إلي القدس وأمضي عدة سنوات اختلط هناك باليهود المتدينين الذين لم يكن لهم مطمع فى الإقامة فى أرض فلسطين غير

العبادة حول الأماكن المقدسة ثم يموتوا فيُدفنوا في تراب فلسطين.

في عودته إلي البلقان ١٨٢٥م تولى منصب حاخام مدينة سملين القريبة من حدود اليونان ورأي انتصار اليونان فى حربهم القومية واستقلالهم، فتنامت إلى ذهنه " القومية اليهودية " فبدأ ينادى : "اسمعوا يا بنى إسرائيل " : كـتَيّب قال فيه : إن التمهيد الضرورى يتمثل فى إقامة مستوطنات يهودية على أرض فلسطين.. ولم يكد يظهر هذا الكتيـّب حتى اصطدم صاحبه مع اليهود المتدينين ودخلوا معه فى مساجلات طويلة، عندها رجع إلى أسطورة مجهولة المصدر تقول : " إن أيام ظهور المسيح ستسبقها حروب يقود اليهود خلالها أحد ابناء سيدنا يوسف ".

وقع حادث دمشق ١٨٤٠م (سبق ذكرها) ووجهت ليهود دمشق تهمة قتل صبى مسيحي واستخدام دمه فى صنع فطير عيد الفصح، فأحدث ذلك صدى واسعا بين يهود أوربا، فأخذ الكالاى يردد أن ضمان أمن اليهود أن يعيشوا حياتهم الخاصة بهم فى أرض أجدادهم، ووجه العديد من كتاباته إلى شخصيات من كبار يهود الغرب مثل المليونير الإنجليزى موسى منتفيو، والسياسى الفرنسى أدولف كرميو (أموال الأول ونفوذ الثانى) لا يتحقق بدونهما فالبرنامج يتضمن شراء أراضى فلسطين من السلطان التركى، وإقامة تجمع كبير ليهود العالم هناك، وإنشاء صندوق قومى لتمويل شراء الأرض، وصندوق آخر لجباية نسبة محددة من دخل كل يهودى، وطرح سندات للحصول علي قرض قومى .

٢ ـ كاليســـــكر :

يهودى بولندى، كانت بولندا تمر بمرحلة صراع قومى عنيف فى سبيل استرداد كيانها بعد تقسيمها لثانى مرة عام ١٧٩٣م بين بروسيا وروسيا القيصرية مما أوحى إلى كاليسكر بفكرة القومية اليهودية فظهرت له أول دعوة إلى الصهيونية فى خطاب بعث به إلى عميد أسرة روتشيلد فى برلين ١٨٣٦م قال فيه : " إن بداية الخلاص ستجئ عن طريق الجهد البشرى وإقناع حكومات العالم بالسعى لتجميع شتات بنى إسرائيل فى الأرض المقدسة، فهو هنا يضيف (مساعدة حكومات العالم) وأول خطوة حينما دفع منظمة التحالف الإسرائيلى العالمى (منظمة تأسست فى فرنسا ١٨٦٠م للدفاع عن حقوق اليهود عالميا) دفعها إلى إقامة المدرسة الزراعية فى يافا ١٨٧٠م لأجل إعداد الأفواج الأولى

من المهاجرين للعمل بالزراعة وهناك الإرتباط بالأرض.

أثار هذا الإجراء ثائرة اليهود المتدينين الذين تواجدوا في أرض فلسطين للعبادة لأن ذلك سيؤدي إلي صراعات بين الوافدين الجدد وأصحاب الأرض الأصليين (الفلسطينيين) مما لا يتفق ومبادئ الديانة اليهودية.

أصدر كاليسكر كتابه " البحث عن صهيون " ١٨٦٢م يقول فيه : " عندما تتحقق العودة بوسائلنا الأرضية فإن أشعة الخلاص السماوية تظهر بالتدريج.

في نفس العام صدر كتاب "روما والقدس" يتضمن مقارنة بين توجه الكاثوليك فى العالم نحو روما (الفاتيكان)، وتوجه اليهود فى العالم نحو القدس مؤلفه "موسى هيس" فيلسوف اشتراكي عمل مع كارل ماركس

٣ ـ آرثر هيرتسبرج :

وعنده أن القومية اليهودية كانت فكرة طارئة تماما على التاريخ اليهودى ولم تكن لها أى مقومات قبل العصر المشار إليه، وأرادت أن تركب الموجة العامة لنهوض القوميات،إلا أنها كانت مختلفة، فالقوميات الأخرى تناضل فى سبيل السيادة السياسية فوق أرض صلبة تقف عليها، والاستناد إلى لغة قومية تتداولها بالفعل، أما الصهيونية عند قيامها فتفتقر إلى أرض ولغة متداولة، ولأنها بلا أرض فقد سيطرت عليها فكرة الاستيطان أو إقامة مستوطنات فى أرض غير أوربية هى أرض فلسطين، رغم وجود مجموعات كانت تقيم فى فلسطين من اليهود المتدينين إلا أنهم لم تخطر لهم فكرة القومية هذه، بل قاومتها بشدة، وعارضت وحذرت من اصطدام المهاجرين الغرباء بأهالى فلسطين الأصليين. (وهذا ما حدث فيما بعد).

أيضا اللغة العبرية التى سعت الصهيونية إلى اتخاذها لغة رسمية فى إسرائيل لم تكن متداولة عند ظهور الصهيونية يعنى لم تكن حية إنما اقتصر استعمالها على الصلوات اليهودية داخل المعابد ولا يلم بها إلا بعض الحاخامات. وكان اليهود فى المنفى يستخدمون لغة اليديش فى ألمانيا ومعظم دول شرق أوربا، ولغة اللادينو فى الأندلس وشمال أفريقيا عقب طردهم من الأندلس، وهاتان اللغتان أوربيتان قديمتان خضعتا للتغيير والتعديل فى قواعد بعض المفردات، وهي تختلف عن العبرية التى كان يتداولها يهود فلسطين قبل استيلاء الرومان على القدس عام ٨٠ م.

٤ ـ بنسكر وصيحة اليهود الروس :

دخلت الفكرة مرحلتها الثانية : فى شكل صرخة اليهود الروس من مذابح مدينة "أوديسا" عام ١٨٧١م، ثم مذابح أخرى إثر مقتل القيصر ألكسندر الثانى ١٨٨١م التي شملت ١٦٠ مدينة وقرية روسية، واتهام اليهود باغتياله، واتضح لهم أن اليهود مكروهون، ومن غير الممكن اندماجهم فى أى مجتمع، وطريق خلاصهم هو عودتهم إلى (وطن الأجداد) أى فلسطين، وتأسست جمعية " أحباء صهيون " ١٨٨٤م وجُمعت تبرعات لهذا الغرض.

قبل المذابح كانت هناك حركة التنوير (الهسكلاه) التي بدأها موسى مندلسون في ألمانيا وامتدت إلي روسيا واعتنقها الكثيرون والتي دعت إلي تحطيم عقليات حارات اليهود المغلقة والتخلي عن الصفات الذميمة التي تجعل اليهود مكروهين من أبناء الديانات الأخري مثل الإقراض بالربا والإنعزال عن المجتمع، والترفع عن الإشتغال بالأعمال اليدوية ونهب الأرض من الفلاحين بحيث يكون المبدأ الجديد هو " يجب علينا نحن اليهود أن نصلح ما بأنفسنا وأن نحسن التعامل مع غيرنا ونتبع الوسائل الغربية الحديثة "، ثم بعد ذلك نعيش فى أمن وسلام ".

وبعد المذابح تخلصوا من (الهسكلاه) واتجهوا إلى دعاوى "القومية اليهودية"، وتلقفوا آراء " رواد الصهيونية " وراحوا يدعمونها واعتقدوا أنه لم يعد من الممكن لأى يهودى أن يندمج فى مجتمع أى بلد وأن طريق الخلاص هو العودة إلى وطن الأجداد، وظهرت قصة **اليهودى التائه** " الشهيرة في روسيا وأصبحت أكثر الكتب انتشارا بين اليهود وهي تصور حياة جيل كامل من اليهود أرادوا أن يخرجوا من الحياة الضيقة المغلقة عليهم، إلى الحياة الفسيحة فاكتشفوا أن هذا غير ممكن وأن المجتمع غير اليهودي لن يقبلهم. ويقول بنسكر :

" لكي ينقذوا أنفسهم يجب أن يعيشوا ككيان مستقل فوق أى أرض صالحة لإقامة وطن يهودى عليها ومن الأفضل أن تكون فلسطين ". وأهم ما خلفه بنسكر هو كتاب " الانعتاق الذاتي" وهو أول بيان مهم عن آلام اليهود الذين لفظهم العالم ودفعهم إلى البحث عن قوميتهم.

٥ ــ هرتزل.. وكتابه " الدولة الصهيونية :

مرحلتها الثالثة كانت بمجئ "هرتزل" الذي أدخل فكرة الصهيونية فى مجال الإنفتاح على العالم بلقائه مع السلطان العثمانى، وقيصر ألمانيا، وبابا الفاتيكان، وملك بريطانيا. فحصل من بريطانيا علي عرض تخصيص جزء كبير

من أراضى أوغندا (مستعمرة بريطانية) لإقامة وطن قومى يهودى يتمتع بالحكم الذاتى، ولكن وفد اليهود الروس يتقدمه "فايتسمان"ـ أول رئيس لدولة إسرائيل ـ كان هدفه جبل صهيون وليس غير. وقد واكب ذلك محاكمة "دريفوس"(الضابط اليهودى الفرنسى الذي اتهم بالجاسوسية لحساب ألمانيا) فعُزل من رتبته وحُكم عليه بالنفى وهتف الحضور : " يسقط اليهود "، وأعيدت محاكمته بعد كتابات أديب فرنسا "إميل زولا " وثبتت براءته فكان لذلك أثره فى تحويل هرتزل إلى الصهيونية، وظهر كتابه "الدولة الصهيونية

"عام ١٨٩٦م وبعده صحيفة أسبوعية هى لسان حال الحركة الصهيونية، واعتـُبر هرتزل المنظـّر السياسى للصهيونية. وعن هذا يقول المفكر الفرنسي المعاصر "روجيه جارودي" : الصهيونية التى أدينها وأفضحها علنا فى كتابى، وليست الديانة اليهودية، وهى غالبا ما تعرّف نفسها بنفسها : " إنها عقيدة سياسية ارتبطت بالحركة السياسية ولم تولد من اليهودية بل من القومية الأوربية فى القرن التاسع عشر. ولم ينتسب مؤسس الصهيونية هرتزل إلى الدين، فهو القائل : "إني لا أنقاد لأى دافع دينى " ـ فهو لا تهمه الأرض المقدسة بدافع خاص، أيضا فهو يقبل من أهدافه القومية بأوغندا أو طرابلس أو قبرص أو الأرجنتين أو موزمبيق أو الكونغو. ولكن أمام معارضة أصدقائه من أصحاب الديانة اليهودية، فإنه يعى أهمية الأسطورة القوية ـ كما يقول ـ التي تؤلف " صيحة لـِلَمّ الشعث ذات قوة لا تقهر ".

أيضا أورد جارودى فى كتابه محاضرة ألقاها الحاخام ألمر برجر ـ الرئيس السابق لرابطة (من أجل اليهودية) فى أمريكا ـ الذى قال : من غير المقبول من أى إنسان الادّعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل هو تحقيق لنبوءة توراتية.. إن السياسة الحالية لإسرائيل حطـّمت ـ أو علي الأقل ـ طمست المعنى الروحاني لإسرائيل... إلى أن يقول : ومع ذلك فإن دولة إسرائيل الحالية ليس لها الحق في ادّعاء تحقيق النيّة الإلهية من أجل عصر مسيحي، فهذه محض غوغائية التربة والدم فلا الشعب بمقدّس ولا الأرض بمقدسة وهما ليسا جديرين بأي امتيازات روحية فى العالم.. لقد كان رابين ضحية أسطورة "أرض الميعاد" كما حدث لآلاف من الفلسطينيين وهى ذريعة ألفيـة للإستعمار الدموى. ويدل هذا الاغتيال المتعصب على أن السلام الحقيقى بين دولة إسرائيل تعيش فى سلام داخل الحدود التى رسمها التقسيم فى عام ١٩٤٧، وبين دولة

فلسطينية مستقلة استقلالا تاما، يستلزم تصفية المستوطنات التى تشكل داخل الدولة الفلسطينية المقبلة مصدرا للإثارة وقنابل موقوته لحروب جديدة. ولا يمكن لصهيون (يقصد جبل صهيون بفلسطين) أن ينتظر إعادة شعب يعتمد علي المعاهدات.والتحالفات وعلاقات القوة العسكرية، أو على هيراركية (يعني استراتيجية) حربية تحاول أن تفرض تفوّقها على جيران إسرائيل، وقد قال ذلك ميخا بوضوح : " اسمعوا إذن يا رؤساء بيت يعقوب وقُضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوّجون كل مستقيم.الذين يبنون صهيون بالدماء.وأورشليم بالظلم.رؤساؤها يقضون بالرشوة وكهنتها يعلّمون بالأجرة وأنبياؤها يَعْرِفُون بالفضة وهم يتوكلون على الرب قائلين أليس الرب في وسطنا.لا يأتي علينا شر.لذلك بسببكم : " تــُفلــَحُ صهيون كحقل وتصير أورشليم خرِبَــًا وجبل البيت شوامخ وَعر " (ميخا ٣) (*) .

أما عن العصر المسيحى الذي ذكره الحاخام ألمر برجر يقصد كيف تتحكم أسطورة " المسيح اليهودى" فى ثقافة الأمريكان ومن ثــَم فى السياسة الأمريكية، تلك الأسطورة التى حوّلت يسوع "الناصري" ـــ مسيح الحب والسلام والزهد في الدنيا ـــ إلى مسيح يهودى منتَظــَر، ليقود حرب نهاية التاريخ ويحكم العالم من صهيون، رغم قوله : " مملكتى ليست فى هذا العالم "، لقد جعلت إسرائيلُ المسيحية الأمريكية (البروتستانتية) مسيحية متهوّدة، حيث أعادت البروتستانتيةُ الاعتبارَ " لليهود " وجعلت العهدَ القديمَ (اليهودى) هو مرجعَهم الأعلى، وحركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية التى انطلقت من العقيدة الألفية (أى الاعتقاد بمجئ المسيح المحارب (اليهودى) ليحكم العالم فى الألف عام السعيدة، وأن الانحياز الأمريكى لإسرائيل أساسه لاهوتى (اليهومسيحية) وليس أساسه الصوت اليهودى، وأن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية وزوّدتها بالتبرير اللاهوتى والسياسى، وفى هذا خطر على الإنسانية عامة، وعلى الشرق الأوسط خاصة.

٦ ـــ أحد هاعام.. وإحياء الديانة اليهودية :

مرحلتها الرابعة : كانت علي يد المنظر الثقافى " أحد هاعام " الذى لم يكن يهمه إقامة دولة بقدر ماكان همه **إحياء الديانة اليهودية فى الأرض المقدسة** ونشر الثقافة اليهودية من الأرض المقدسة إلى جميع أرجاء العالم، ونشَر مقالا شهيرا بعنوان : " ليس هذا هو الطريق " ١٨٨٩م ووقعه بكلمتى أحد هاعام

فاشتهر به، ومعناه " أحد العامة " لأنه لم يكن يعتبر نفسه كاتبا. أما اسمه الحقيقى فهو تسفي جينسبرج، كفر بالديانة اليهودية وما تدعو إليه بعد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل.ومن أهم مؤلفاته : " قانون القلب "١٨٩٤ " الروح والجسد" ١٩٠٤ "نقيض الشتات " ١٩٠٩ و " القومية والدين" ١٩١٠ م

٧ ــ **يهودا ماجنس : (دولة ذات قوميتين) :**

تصل الفكرة الصهيونية بعد ذلك إلى الأمريكى يهودا ماجنس الذى أصبح مديرا للجامعة العبرية ١٩٣٥م، وكان رأيه طوال حياته أن تقوم دولة ذات قوميتين (عرب ويهود). ومات بعد خمسة أشهر من قيام دولة إسرائيل، وشاركه فى نفس الأفكار :

ب ــ مقدمات.. وتداعيات : (٢٤٧)

رسالة إلي السلطان عبد الحميد : (١/٢٤٧)

في سنة ١٩٠٢ م اقترح هير•تزل ــ زعيم الحركة الصهيونية ــ على السلطان عبد الحميد إنشاء جامعة يهودية فى القدس فرفض، بعدها أرسل إلى السلطان عبد الحميد الثانى يعرض عليه قرضا من اليهود قيمته عشرين مليون جنيه استرليني مقابل تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنح اليهود قطعة أرض يقيمون عليها حكما ذاتيا. فرفض السلطان مطالبه موضحا أنه ليس من حقه ذلك : "فليحتفظ اليهود بملايينهم فى جيوبهم، فإذا قسِّمَتْ الإمبراطورية يوما ما فقد تحصلون علي فلسطين دون مقابل، ولكن التقسيم لن يتم إلا على أجسادنا".

وفي عام ١٩٠٤م عقد المؤتمر الرابع للحركة الصهيونية وتقرر تأسيس وطن قومى لليهود فى الأرجنتين. وفي سنة ١٩٠٦م قرروا أن يكون ذلك فى فلسطين. وفى سنة ١٩١٤ (مع بداية الحرب العالمية الأولى) وعدت بريطانيا العربَ بمساعدتهم فى استقلالهم عن الدولة العثمانية مقابل دخولهم الحرب إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية التى دخلت الحرب بجانب ألمانيا.

اتفاقية سايكس / بيكو : ١٩١٦م (٢/٢٤٧)

اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم المنطقة العربية إلى مناطق سيطرة، بأن توضع لبنان وسوريا تحت السيطرة الفرنسية، والأردن والعراق تحت السيطرة البريطانية، وتبقى فلسطين دولية.

وعد بلفور : ١٩١٧ م (٣/٢٤٧)

بعد انتصار القوات البريطانية على الدولة التركية عيّنت مندوبا ساميا لها، مركزه القدس وأخذت فلسطين شكلها الحالى، وكان عدد اليهود المقيمين فى فلسطين (كمواطنين) لا يتجاوز ٥٦ ألفا (كل همهم التواجد حول الأماكن المقدسة للعبادة، والموت والدفن بها).مقابل ٦٤٤ ألف فلسطيني، أى بنسبة ٨% إلى ٩٢%. ولم تتعد نسبة الأراضى التى يملكها اليهود ٢% من أرض فلسطين، وكتب وزير خارجية بريطانيا إلى روتشيلد : " إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهَم جليا أنه لن يؤتـَى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخري، وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيونى علما بهذا التصريح ". المخلص آرثر بلفور دخلت القوات البريطانية القدس (العاصمة الفلسطينية) فى ديسمبر ١٩١٧م ومع بداية عام ١٩١٨م بدأ اليهود الهجرة إلى فلسطين تحت الانتداب البريطانى، **وقامت سلطة الانتداب بتيسير هجرة اليهود** بهدف تأسيس وطن قومى لهم فى فلسطين، وبدأ العمل بشكل كبير فى إنشاء مشارع زراعية واقتصادية تقوم بها الحركة الصهيونية خلال فترة الانتداب لحساب المستوطنين الجدد، **وزادت حركة الهجرة فى الثلاثينات** بسبب الحملة النازية على اليهود فى أوربا وأصبحت تل ابيب أكبر المدن التى يسكنها يهود إضافة إلى عدد من القرى والمدن الصغيرة.

بطلان الانتداب البريطاني ونتائجه : (٤/٢٤٧)

إذا كانت عصبة الأمم قد خولت بريطانيا حق الانتداب على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى ــ فإن هذا الانتداب ــ مع إيماننا بأنه باطل قانونا ــ ولا يخول لبريطانيا حق بيع أى جزء من فلسطين أو التنازل عنه أو هبته.. وبالتالي فإن ما عُرف باسم (وعد بلفور) باطل من كل النواحى القانونية والأخلاقية والإنسانية، وكل ما يترتب على هذا الوعد من هجرة يهودية، ومن تقسيم، ومن استيلاء على فلسطين والقدس ــ باطل ومخالف للقوانين الدولية، ولوثيقة حقوق الإنسان. وفى هذا يقول المؤرخ أرنولد توينبي : " أعطى من لا يملك (بريطانيا) ــ إلى من لا يستحق (اليهود)."

وقد تمكن رئيس وزراء بريطانيا اليهودى وقتها "دزرائلى" بذهب اليهودى

"روتشيلد" من أن يشترى نصيب مصر فى أسهم قناة السويس لبريطانيا بأربعة ملايين جنيه كى تكون بريطانيا إلى جوارهم فى فلسطين فتساعدهم على إنشاء وطن قومى لهم.

وبريطانيا التى تسلطت على فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى عن طريق الانتداب بعد تحلل الخلافة الإسلامية التى أبت الخضوع قبل ذلك لمطالب اليهود، وأن أول مندوب سام لبريطانيا وأول نائب عام لها فى فلسطين كانا يهوديين.(٢٤٧/٥)

فتحت لهم بريطانيا أبواب الهجرة علي مصاريعها بعد الانتداب. وتحت حمايتها أسّس اليهود مستعمراتهم، وزرعوها وكوّنوا جامعتهم ومدارسهم ومعابدهم، ودرّبوا فرق جيشهم، فلما نضجت الثمرة تركوها خالصة لهم، وحرْص بريطانيا الدائم علي نفوذها في الشرق الأوسط إنما هو لمصلحتها ولتحمى إسرائيل الضعيفة من جيرانها العرب، وهى التى تغرى الفتنة بين الأقطار العربية كى لا تقوى فتخرجها من الشرق وتخرجهم من فلسطين، **فبريطانيا** تمثل معهم دور "**البلطجي**" أو الخفير القوى مع مستغل الأرض الضعيف مستأجرا أو مالكا، فهى تحمى مصالحهم فى كل بلد لها فيه نفوذ. (٢٤٧/٦)

وقرار تقسيم فلسطين هذا يشى بمخططات وأهداف الغرب بشأن " قاعدته المتقدمة " فاليهود فى ذلك التاريخ لم يكونوا يمثلون سوى ٣٢% من السكان، ولا يملكون سوى٥،٦% من الأرض، ومع هذا فقد حصلوا على ٥٦% من الأراضى ذات التربة الخصبة، وقد تم التوصل إلي هذه القرارات تحت ضغط من الولايات المتحدة. حيث مارس الرئيس "ترومان" ضغطا لا مثيل له علي وزارة الخارجية الأمريكية، وفي هذا يقول وكيل الوزارة سومنر ويلز: " بأمر مباشر من البيت الأبيض كان علي الموظفين الأمريكيين ممارسة ضغوط مباشرة أوغير مباشرة..لضمان الأغلبية اللازمة عند التصويت النهائي " (سومنر ويلز: علينا ألا نخفق، بوسطن ١٩٤٨ص٦٣) .

ويؤكد جيمس فورستال وزير الدفاع آنذاك "أن الأساليب المستخدمة للضغط، ولإكراه الدول الأخرى فى الأمم المتحدة أشفت (قاربت)على الفضيحة". (مذكرات فورستال، نيويورك ١٩٥١ ص ٣٦٣)

انسحاب بريطانيا وقرار التقسيم ١٩٤٨ م : (٢٤٧/٧)

أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلِسطين، وقررت عصبة الأمم تقسيم

فلسطين إلى : ــ

- دولة عربية وتكون حدودها من : الجليل الغربى، نابلس الجبلية، السهل الساحلى الممتد من أسدود جنوب يافا ــ حتى الحدود المصرية بما ذلك منطقة الخليل وجبل القدس وغور الأردن الجنوبى. وتبلغ مساحة هذه الدولة ١٢ ألف كيلومتر مربع.
- المنطقة اليهودية وتتألف من الجليل الشرقى، مرج ابن عامر والقسم الأكبر من السهل الساحلى، *بئر سبع، والنقب. وتبلغ مساحتها ١٤،٢٠٠كيلومتر مربع من أخصب الأراضى
- الأماكن المقدسة وتشمل مدينة القدس ومنطقتها توضع تحت الوصاية الدولية ويعين مجلس الوصاية للأمم المتحدة حاكما عليها غير عربى وغير يهودى.

حددت بريطانيا إنهاء انتدابها فى ١ أغسطس ١٩٤٨م على أن تجلو مبكرا عن منطقة تقع فى أراضي الدولة اليهودية تضم ميناء بحريا وأرضا خلفية كافيين لتوفير تسهيلات لهجرة كبيرة ــ على ألا يتأخر ذلك عن ١ فبراير ١٩٤٨م، ولمـّا فـُرضت إسرائيل على منظمة الأمم المتحدة، فإنها لم تـُقبل عضوا إلا بثلاثة شروط :

* عدم المساس بوضع مدينة القدس.
* السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.
* احترام الحدود التى فرضها قرار التقسيم.

اليهود قبيــل حرب ١٩٤٨م : (٨/٢٤٧)

أصدرت الأمم المتحدة قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م إلى دولتين : فلسطينية ويهودية اقتطع لها ٥٤% من أراضى فلسطين. وفى أغسطس ١٩٤٨م أنهت بريطانيا انتدابها وانسحابها مفسحة المجال أمام اليهود لإقامة دولتهم، وفى نفس اليوم أعلن ديفيد بن جوريون قيام " الدولة الإسرائيلية " بــ ٦٠٠ ألف يهودي بنسبة ٣١% لسكان فلسطين العرب ٢،٥٦٠ مليون وخمسمائة وستون ألف أى بنسبة ٦٩%. ونشأت معظم الزيادة اليهودية بسبب الهجرة المحمية من قوات الاحتلال البريطانى، فأصبح اليهود يمتلكون بموجب عقود ملكية ٦٥،٦% من مساحة فلسطين، واستولوا بالقوة على ١١% منها بما فى ذلك ١٩١ قرية و٧ مدن، وطردوا نصف مليون لاجئ أول حرب عربية / إسرائيلية عام ١٩٤٨م وبداية سلسلة من الحروب : رفض العرب مشروع التقسيم واندلع

العنف بين العرب واليهود ورفضت بريطانيا التدخل وأرسلت الدول العربية جيوشها من مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق، مع مقاتلين عرب آخرين والفلسطينيين الذين كانوا يقاتلون اليهود من نوفمبر ١٩٤٧م، وبدأت فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م حرب شاملة ضد الكيان الصهيونى وتحول ذلك إلى نزاع دولى، وفشل العرب فى منع قيام الكيان الصهيونى، وانتهت الحرب بوقف إطلاق النار من الأمم المتحدة، واستولى الكيــان الصهيونى فيها على ٧٧،٤% من أرض فلسطين وتغيرت التركيبة السكانية داخل إسرائيل حيث اضطر الفلسطينيون للهجرة من الأراضى التى احتـُلت، ونشأت حركة نزوح ضخمة شملت ٦٨٠ألف فلسطينى، وأتي من الخارج ١٠١،٨٢٨ يهودى إلى فلسطين ــ فصدر قرار العودة والتعويض رقم ١٩٤في ١٩٤٨/١٢/١١الذى نص على إنشاء لجنة توفيق تابعة للأمم المتحدة فى فلسطين وتقرير وضع القدس فى نظام دولي دائم وتقرير حق اللاجئين فى العودة إلى ديارهم فى سبيل تعديل الأوضاع بحيث تؤدى إلى تحقيق السلام فى فلسطين فى المستقبل.

حرب ١٩٥٦ م : (٢٤٨)

(خرجت بريطانيا العظمى مطرودة من مصر ومنطقة القنال على يد الزعيم الثائر جمال عبد الناصر بموجب معاهدة الجلاء ١٩٥٤، والموضوع هنا ليس فى بؤرة الصورة ولكن فى حواشيها، حيث اشتركت إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا فى الهجوم على مصر، وبينما كان المظليون البريطان والفرنسيس يتساقطون بمظلاتهم على بورسعيد والسويس، انداح الجنود الإسرائيليون فى رمال سيناء...) (٢٤٨)

"إن حرب السويس التى غيرت مجرى التاريخ فى المنطقة العربية كانت بداية النهاية فى تاريخ الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، "وملفات السويس ليست محاولة لكتابة التاريخ، ولكن لقراءته ". وقد ظهرت أهمية موقع العالم العربى، وبؤرته الشرق الأوسط، وأن الرسالات السماوية الثلاث نزلت فيه، وبحاره تتوسط محيطات العالم، كان مرشحا لأن يصبح أهم الجوائز فى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت ثرواته الطائلة تفصح عن مكنونات سرها" (١/٢٤٨)

أزمة ١٩٦٧ ومأزق الاحتلال : (٢٤٩)

بعد قيام الكيان فى مايو ١٩٤٨ وخلال العقد التالى سيطر على الساسة

الإسرائيليين نظرة مفادها أن رفض أهل فلسطين والدول العربية لقرار الأمم المتحدة بالتقسيم معناه أن العرب يريدون تدمير الدولة اليهودية الوليدة، وفى حين أن قرار التقسيم كان قد أعطى للدولة اليهودية ٥٦% من مساحة فلسطين تحت الانتداب، إلا أنه في ١٩٤٩ وبعد هزيمة الجيوش العربية كانت إسرائيل قد سيطرت على ٧٧% من مساحة فلسطين، وبين ١٩٤٩ و١٩٦٧ بقى من أرض فلسطين لأهلها ٢٣% تضم الضفة الغربية (تحت الإدارة الأردنية) وقطاع غزة (تحت الإدارة المصرية) فاتبعت إسرائيل سياسة الاستيطان من جهة، ومن جهة أخرى بناء قدرة عسكرية ليس فقط لتكون "الدرع" لحماية إسرائيل، وإنما لتكون "السيف" فى مواجهة الفلسطينيين والدول العربية المجاورة، فقامت بشن غارات علي الأردن ومصر وسوريا، كما شاركت فى العدوان الثلاثى علي مصر ١٩٥٦ لتثبت أن دعاوي تدمير إسرائيل ليست إلا شعارات فارغة لا تعبـــر عن حقيقة واقعة، وكانت حرب يونية ١٩٦٧ هى الإثبات الأكبر للمجتمع الإسرائيلي بأن الدولة تستطيع تحقيق "الأمن" إذ أسفرت الحرب عن احتلال إسرائيل لـــ ٢٣% الباقية من فلسطين أى الضفة وغزة، وهزيمة مصر وسوريا والأردن، واحتلال شبه جزيرة سيناء المصرية وهضبة الجولان السورية.

لكن هذا الانتصار أدى إلى مأزق للدولة اليهودية : فماذا ستفعل بكل تلك الأراضى التىاحتلتها بالحرب ؟ وماذا ستفعل مع الفلسطينيين الذين أصبحوا تحت الاحتلال فى الضفة وغزة ؟

زعمت إسرائيل أن الحرب كانت دفاعية لمنع هجوم مصر وسوريا والدول العربية لتدميرها وكرر الساسة الإسرائيليون القول بأن الحرب كانت لأسباب أمنية أى للحفاظ على أمن إسرائيل داخل حدود ١٩٤٩، ولكنها بعد الحرب ألحقت القدس الشرقية، وأحيت النبوءات التوراتية عن : "أرض إسرائيل" التى وعد الرب بها أبناء يعقوب (إسرائيل).

غير أن انتصار إسرائيل في ١٩٦٧ لم ينه مشكلة الوجود الفلسطيني فى القدس الشرقية وكامل الضفة الغربية وقطاع غزة فحاولت الخروج من المأزق من خلال الاستيطان، ففى أغسطس ١٩٦٧ انطلقت حركة "كل أرض إسرائيل" التى تدافع عن كل الأراضى التى وعد بها الربّ الشعبَ اليهودى، واستطاعت الحركة التى ضمّت سياسيين ومثقفين من اليمين الدينى وجماعات صهيونية إرهابية، أن تؤثر فى سياسات وبرامج الحكومات التى سمحت أواخر الستينات

وأوائل السبعينات باستيطان آلاف من المستوطنين فى الضفة وغزة. (٢٤٩)

أما جولد بيرج فيقول : "ما حدث هو أن إسرائيل قد فازت بهذه الحرب فعلا، وبرغم أن الجماهير كانت معجبة للغاية بسرعة وحسم هذا الانتصار إلا أن المحللين الإسرائيليين والأمريكيين لم يكونوا كذلك.. لقد كانوا يعرفون قوة إسرائيل وضعف أعدائها ومع ذلك وبمجرد ظهور هذا الضعف العربي وبعد أن اتضح أن إسرائيل لا تواجه أية أخطار أعطى الواقعُ الجديدُ اليهودَ جرعةً منشّطة من الثقة بالنفس لكن ردَّ الفعل كان عكسيا حيث تسببت أحداث مايو ويونيو فى شد عصبى لابناء الطائفة اليهودية الأمريكية، كما أن القيادات اليهودية شعرت، وبصورة هائلة، بالعزلة والضعف لقد عادوا من جديد لسياسة الخوف والشك. والذي سبب رد الفعل العكسى هو الخوف على أمن إسرائيل، فقد ظهر وضع جديد لإسرائيل كقوة عسكرية كبيرة أمام الليبراليين الأمريكيين فى وقت الصراع الخاص بفيتنام وتراجع شعبية العسكرية والحرب في دوائر المثقفين والأكاديميين.

وهى نفس الدوائر التى كانت تحتضن يهود أمريكا وتغمرهم بالتأييد منذ أجيال، الآن هم مصدر عداوة، لقد وجد يهود أمريكا أنفسهم وأفكارهم ليسوا فى موضع ترحيب من جانب دوائر الليبراليين، وقد أقلق هذه الدوائر استيلاء إسرائيل على أراض جديدة وبخاصة الضفة الغربية ذات الكثافة السكانية العالية، كان الإسرائيليون أكثر من "فائزين" بل كانوا "غزاة" وبهذا تغيرت صورة إسرائيل داخل الجامعات الأمريكية بين عشية وضحاها.

والحقيقة أيضا أن إسرائيليين كثيرين لم يكونوا مرتاحين لدورهم الجديد كقوة احتلال، وخلال شهور من الحرب ظهرت فى إسرائيل موجة شعبية من مراجعة النفس وعبـّـرت هذه الموجة عن كوامنها فى عدة كتابات منها : "تكلموا يا جنود" الأكثر مبيعا، ثم أغنيات شعبية ناجحة منها أغنية السلام،والأهم من ذلك أن حكومة إسرائيل نفسها عرضت فى التاسع عشر من يونيو أي بعد أيام من انتهاء الحرب أن تعيد كل الأراضى التى احتلتها تقريبا مقابل التفاوض على اتفاقيات للسلام. ولكن الدول العربية رفضت التفاوض بالإجماع، وطلبت جامعة الدول العربية انسحابا إسرائيليا كاملا من الأراضى المحتلة، وبذلت الجامعة جهودا دبلوماسية مكثفة من أجل هذا الغرض فنجحت فى تشكيل كتلة معادية لإسرائيل داخل الأمم المتحدة تضم الدول العربية والإسلامية ومعظم الدول

الشيوعية ودول العالم الثالث وكلها شكلت أغلبية فى الجمعية العمومية، وشهدت مناقشات الأمم المتحدة جرعات منتظمة من الحملات المعادية للسامية، وهكذا تحولت الأمم المتحدة إلى منصة للهجوم المستمر على إسرائيل واليهود بصفة عامة مما ترك أثرا نفسيا مدمّرا على الليبراليين الأمريكيين، كما أن معظم الإسرائيليين كانوا يرون المنظمة الدولية كحجر الزاوية فى أيديولوجية التفاؤل التى انتهجوها بعد الحرب العالمية الثانية كانت تجسيدا حيا لثقتهم بمستقبل إنسانى أفضل، ولكن النغمة الآن فى إسرائيل هي أن "العالم كله يقف ضدنا".

كان هذا التغيير فى العالم تجاه إسرائيل مثيرا للقلق، فقد اعتَبرت إسرائيل نفسها ومنذ تأسيسها تجسيدا عن حق اليهود القومى فى تقرير مصيرهم، وعلى مدي عشرين عاما سعت إسرائيل جاهدة لتقيم علاقات مع دول أسيوية وأفريقية حديثة العهد بالإستقلال، ولكنها وجدت نفسها منبوذة وانتهى عهد الصداقة القصير مع هذه الدول، وبدا من الواضح لإسرائيل أن سموم كراهية اليهود أكثر قوة من تضامن المقهورين معًا، وأصبحت موسكو الحليف العسكرى الفعلى للعرب، وقطعت الدول الشيوعية كلها ـ باستثناء رومانيا وكوبا ـ علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، وامتلأ الجو العام بدعاية معادية لليهود بصورة لم تحدث من أيام النازى، ولن قطاعات عريضة من اليسار الأمريكى ـ رغم أنهم لم يكونوا شيوعيين ـ أعربت عن ثقة بسياسة موسكو الخارجية أعلى من ثقتها بسياسة واشنطن. (٢٤٩/١)

حرب ١٩٧٣ والأمن القومي الإسرائيلي ٧٣ ـ ٩٦

حرب ٧٣ غيرت نظرة إسرائيل الاستراتيجية للأمن القومى، لكن هناك عناصر استمرارية لا تتغير أبدا.

إن النجاح العسكرى الذى حققته مصر فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان صدمة هزت ثقة إسرائيل فى تفوقها فى الأسلحة التقليدية، وعانت بدرجة مؤلمة من أعداد الخسائر البشرية ٢٦٠٠ قتيل غير المعدات، وانكسرت ثقتها فى جيشها، مما أسقط الأعمدة الثلاثة للمبدأ العسكرى الإسرائيلى وهي :الردع ـ الإنذار المبكر ـ وإحراز انتصار حاسم.

إضافة إلى سقوط طموحات إسرائيل فى الاعتماد علي الذات فى ميدان الأمن القومي وأصبحت المسلّمات الجوهرية المتعلقة بالأمن القومى محل مناقشات عامة، وجعلت بعض الإسرائيليين يدركون أنه لا يمكن أن يحتفظوا

بالأراضى المحتلة إلي الأبد، وترتب على هذه الحرب انهيار علاقاتها الخارجية، فقد أصبحت معزولة دوليا ولم يبق لها صديق سوى أمريكا، وانتهى التحليل النهائى لرابين إلى أن إسرائيل سوف تكون بمفردها، وأن قدرتها العسكرية هى الضامن الوحيد لوجودها، وكان ذلك هو ما تمَّ استخلاصه من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٥م الذى أدان الصهيونية وساواها بالعنصرية، وأن التصور الخاص لدى إسرائيل بزيادة مكانة الدول العربية عالميا وزيادة المصادر المتاحة للعرب لبناء القوة العسكرية نتيجة لارتفاع أسعار البترول قد تزامن مع علاقة غير محددة الملامح مع أمريكا مما أدى بالقيادة الإسرائيلية إلى الاعتقاد بأن الحرب وشيكة، إلى الحد الذي جعل رابين يعرب عن اعتقاده أن هناك حربا قادمة فى الفترة من ١٩٧٤ــ ١٩٧٦، وظل الخوف يسيطرعلى بيريزعقب زيارة السادات للقدس فى أكتوبر١٩٧٧، وكانت الأهداف العاجلة هى إعادة بناء قوة جيش الدفاع وتأخير أي حرب مع العرب، وأن ذلك يحتاج إلى علاقات جديدة مع أمريكا.وقد أضيف عنصر جديد لشعور إسرائيل بالتهديد يتمثل فى تقدم البرنامج النووى العراقى واعتبر بيجن فى عام ١٩٧٨ أن انتشار الأسلحة النووية فى العراق يمثل خطرا بالتدمير الكامل للدولة اليهودية وفى يونية ١٩٨١ نفذت ضربة عسكرية جوية للمفاعل النووى العراقى وبذلك تخففت إسرائيل من مخاوفها لعشر سنوات قادمة، وجاءت حرب العراق / إيران ١٩٨٨/٨٠ فأضعفت الجبهة الشرقية (العربية) وكانت صناعة القرار فى الأمور العسكرية تدار بطريقة مركزية وظلت امتيازا تمارسه قلة محدودة، ووزير الدفاع هو الأهم بين صنـّاع القرار يتمتع بسلطة مطلقة داخل وزارته فهو لاعب رئيسى صاحب نفوذ كبير عن معظم وزراء الحكومة، ومن الناحية الرسمية فإن القرارات تتخذ بموافقة مجلس الوزاراء بكامل أعضائه، أو من جانب اللجنة الوزارية لشئون الدفاع، ومعظم صنـّاع القرار فى الفترة المذكورة قد نشأوا فى المؤسسة العسكرية ولديهم إلمام كبير بمشاكل الأمن القومى، وبرز بينهم رابين الذى كان حجة فى الأمور العسكرية، وأصبح ذو نفوذٍ كبير فى مسائل الأمن القومي .

والخلاصة : إن الفترة من ١٩٧٣ ــ ١٩٩٦ شهدت الكثير من المتغيرات بين النخبة السياسية الإسرائيلية، لكن ظلت الطريقة المركزية فى اتخاذ القرار هي الطريقة المسيطرة وكانت هناك استمرارية للتفكير الاستراتيجي الإسرائيلي.

وعندما تفجرت الانتفاضة الأولى ١٩٨٧م نظر إليها قادة إسرائيل على أنها مشكلة هيّـنة أمنيا، لكن مداها وكثافتها واستمراريتها غيّرت هذا التقييم وتبين لشامير ورابين أن الهدف منها هو انسحاب إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧وقيام الدولة الفلسطينية، وبينما هى لا تهدد وجود إسرائيل لكن أصبح واضحا تأثيرها السئ على الكيان الاجتماعي ومعنويات جيش إسرائيل.

كانت حرب الخليج ١٩٩١م نقطة تحول فى نظر إسرائيل للبيئة المحيطة بها،فقد تغير مفهوم رابين وبيريز للأمن بشكل جذرى، وكان أهم تغيير فى المعادلة الاستراتيجية هو انهيار الاتحاد السوفيتي باعتباره يخلق مناخا دوليا جديدا ومدخلا إلى صنع سلام فى الشرق الأوسط وسُمح لمئات الآلاف من اليهود السوفيت بالهجرة إلى إسرائيل وأدى إلى تدعيمها. بعدها جاء مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١م ما أدى إلى سلسلة من المفاوضات الثنائية والمتعددة الأطراف بين إسرائيل والدول العربية. ظهر أثر ذلك فى اتفاق أوسلو ١٩٩٣م، ومعاهدة السلام الأردنية ١٩٩٤م وكانت معاهدة السلام مع مصر ١٩٧٩م هى التى مهدت لهذه التطورات اللاحقة فأظهرت لكثير من الإسرائيليين أن عملية تاريخية تجرى بشأن قبول العرب لإسرائيل. بعدها لاحظ رابـــين أن السلوك الدولى نحو إسرائيل قد تغير، وأنها تعيش فى مناخ جديد،وفى ١٩٩٢ قال : نحن نعيش اليوم فترة تقلصَ فيها الكثير من التهديد لوجود إسرائيل. وجاءت النظرة الأكثر تفاؤلا من بيريز الذى توقع ولادة شرق أوسط جديد لم تعد نظرة الحرب فيه مطلوبة. لكن حكومة نتنياهو١٩٩٦م جاءت باعتقاد أن ظهور إيران النووية هو أولوية إسرائيل وكانت الغالبية ترى عدم الإفصاح عن امتلاك اسرائيل مثل هذه الأسلحة النووية. ومع زوال الاتحاد السوفيتي وبروز أمريكا كقوة وحيدة تقلصت قيمة إسرائيل كحليف لأمريكا إلى جانب مصالح أمريكا فى الشرق أدى لاختلاف وجهات النظر لغير صالح إسرائيل فى مسار التسوية، وفيما يتعلق بالردع فهناك توتر كامن بين احتياجات استراتيجية الردع وسياسة تصالحية تهدف إلى خفض التوتر وتحقيق سلام بين إسرائيل والدول العربية، وإسرائيل القوية هي ضرورة لقبولها كحقيقة لا يمكن تحديها لكن قدرة إسرائيل العسكرية واستخدام القوة أحيانا هى احتياج للمحافظة على سمعتها فى التشدد، والاستعداد للقتال، والذي يمكن أن يسبب مخاوف فى العالم العربى، وعند نتنياهو الحل فى إصدار بيانات تهديدية لدول عربية.

ومنه يتضح أنه :

*على الرغم من الصدمة التى تلقتها إسرائيل فى حرب ١٩٧٣ من الجيش المصرى والتى اضطرتها لتغيير مفهوم الأمن القومى لديها إلا أن هناك عناصر رئيسة راسخة وغير قابلة للتغيير.

*مأزق صانعى القرار بين دواعى السلام ـ وسيطرة المشروع الصهيونى.

* جنرالات الحرب هناك باستطاعتهم توجيه التيار القومى أو تحويل اتجاهه بتخويفه فينتخب الأكثر تشددا، كما فى حالة شارون عام ٢٠٠٠م

* سلطة صناعة القرار في يد وزير الدفاع لأن إسرائيل كيان عسكري أو معسكر كبير والمواطنون هم احتياط للجيش وفكرهم الاستراتيجي قائم علي أن الحرب حالة أبدية يعيشونها في مواجهة أعداء يحيطون بها، أدي ذلك إلى أن صناعة القرار تشكل مأزقا أبديا، وكلما لاح لها طريق السلام تتعثر فتتراجع بسرعة يجرها للخلف عدم قدرة على التخلص من مفهوم الحرب. وقد حدث ذلك التراجع من نتنياهو بفوز الليكود ١٩٩٦ ورفض مقولة بيريز عن شرق أوسط جديد بلا حروب ولا عداوات وبدا مخطط نسف اتفاقيات أوسلو وما تعنيه من انسحاب، وأن تتم التسوية فى إطار علاقة تبادلية وليس تسوية من جانب يفرض رأيه علي الآخر.

* أيضا مع مجيء شارون ليكمل ما بدأه نتنياهو وإعادة مشروع الصهيونية كاملا.

* إحساس إسرائيل بعد زوال الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا كقوة وحيدة أنها فقدت دورها كحليف مما أدي إلى صعود أولويات أهم فى الاستراتيجية الأمريكية التى تجعل من السلام الشامل والعادل فى الشرق مصلحة حيوية لأمريكا، ظهر ذلك فى عهد بوش الأب وكلينتون، لكن بمجيء المحافظين الجدد مع بوش الابن باركت أمريكا انقلاب الليكود على عملية السلام.

*تأثير أمريكا علي القرار الإسرائيلي زاد ولم يتناقص بدليل حرب أكتوبر حين اتضح سقوط طموحات اسرائيل في الاعتماد علي الذات، وزيادة الاعتماد علي أمريكا والتدخل الأمريكي المباشر في الحرب بتنفيذ الجسر الجوي الذي بدأ في اليوم السابع للحرب، مما يجعل إسرائيل تندفع في عدوانيتها للفلسطينيين وعرقلتها لحل النزاع يعتمد علي موقف أمريكي يضيء لها الضوء الأخضر فتندفع إلي ما تريد. (٢٥٠)

المؤرخون الجدد.. وعصر ما بعد الصهيونية :

كان ظهور ما يسمى حركة المؤرخين الجدد، من الملامح الرئيسية لحركة عصر ما بعد الصهيونية، وهم **مجموعة من الباحثين** يعملون فى جامعات إسرائيل وفى الخارج، اهتموا بإعادة تصحيح المفاهيم غير الصحيحة والأوهام الشائعة عن الصهيونية، واستبدال التاريخ الرسمي الذى جرى تحريفه ــ ليناسب الدولة اليهودية، والذى قام على تصوير قيام إسرائيل، والنزاع مع العرب علي أنه كان ردا من ضحايا أبرياء على فظائع الهولوكوست (محرقة النازية) والتهديد من العرب، وبحيث يُكتب متضمنا تطور الصهيونية وإسرائيل طبقا لما جرى فى الحقيقة بما يناسب مقتضيات سلام جديد. بدلا من هذا الكيان المصنوع من المتناقضات، وعناصره الممزقة بين : فائدة السلام ــ والهوية المشتعلة بروح التعصّب.

والمؤرخون الجدد لا يتخذون موقفا معاديا لدولتهم، أو يصورون الصهيونية علي أنها الشر أو أن اسرائيل كيان استعمارى غير مشروع، لكنهم يقومون بدور مشابه لدور كتـّاب أمريكيون موضوعيون كان همّهم أن يجعلوا مواطنيهم يدركون الجوانب المظلمة للتاريخ الأمريكي مثل : عودة الزنوج، والوحشية فى معاملة سكان أمريكا الأصليين ــ الهنود الحمر ــ ومساندة الأنظمة الديكتاتورية فى العالم الثالث. وهم أرادوا كتابة تاريخ إسرائيل من أجل استخلاص دروس تنفع المستقبل. (٢٥١)

والحركة هى اجتهادات ليست جديدة تماما وإنما بدأت منذ الأربعينات، ومن روّادها :

١ ــ " **ألفريد ليلنتال** " مفكر يهودى أمريكى وكتابه الشهير : **ما هو ثمن إسرائيل ؟** (١/٢٥١)

٢ ــ " **أورى أفنيرى** ": وكتابه " **إسرائيل بدون صهيونية** " وهو ضمن الموجة الفكرية التى عُرفت باسم ما بعد الصهيونية، وتمثلت بشكل واضح فى كتابه المذكور والذى أصدره فى أواخر ستينات القرن الماضى، وهو نائب وسياسى وكان صديقا مقربا لياسر عرفات.وقد رأى أن التحدى الأكبر الذى تواجهه إسرائيل بعد عقود من قيامها ليس مواجهة الأعداء من الخارج وإنما الحيلولة دون عوامل تفككها من الداخل، وأن إنقاذها يتمثل فى تحولها إلى دولة علمانية يتساوى فيها المسلمون والمسيحيون مع اليهود فى حقوق

المواطنة. (٢/٢٥١)

٣ ــ **مارتن بوبر** : الفيلسوف اليهودى وأستاذ الفلسفة الاجتماعية بالجامعة العبرية بالقدس المتوفى عام ١٩٦٥م عن ٨٧ عاما، ظل طوال حياته يرى أن الأمل الوحيد فى تحقيق الأهداف الرئيسية لليهود هو قيام " **دولة ذات قوميتين** " (عرب ويهود) (٣/٢٥١)

٤ ــ **يهودا ماجنس** : يهودى أمريكى يشارك فى الرأى السابق "**دولة ذات قوميتين**" وقد كان مدير للجامعة العبرية عام١٩٣٥م (٤/٢٥١)

٥ ــ **يورام جازونى** : صاحب كتاب " **الدولة اليهودية** ".. **النضال من أجل روح إسرائيل** "وهو مدير مركز شاليم وهو معهد دراسات متخصص فى الفكر السياسى اليهودى وكان عضوا فى وفد إسرائيل إلى مؤتمر مدريد للسلام ١٩٩١م، ومستشار نتنياهو، وقد أصدر كتابه فى نيويورك وأوضح فيه أن قيام الدولة هو مشروع تتفق عليه جماعة متوحدة فى الثقافة، وأن المؤسسين لدولة إسرائيل أمثال : بن جوريون وجولدا مائير وموشى ديان وبيجن وشامير كانوا يركزون كل فكرهم على دعم القوات المسلحة والاعتماد كليا على القوة العسكرية، ودعم الهجرة والاستيطان، ولم يكونوا صنـّاع أفكار ولا بُناة ثقافة، وبالتالى فلم يكن في مقدورهم تشكيل العقل العام للدولة، وعندما تبين لمفكرى الجيل الجديد فى إسرائيل بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ على وجه التحديد أن القوة العسكرية وحدها لا يمكن الاعتماد عليها لإقامة دولة.. بدأت إعادة النظر جديا فى كل الأسس التقليدية السابقة، ومراجعة كل النظريات التى روّجها الجيل القديم . (٥/٢٥١)

والحركة تدور حول مفهوم أو رؤية تختلف عن الصهيونية التقليدية كدولة تسعى نحو حل النزاع مع الفلسطينيين وتأكيد وجودهم كجزء من هذه المنطقة فى شرقى البحر المتوسط، وللذين يريدون أن تصبح إسرائيل دولة طبيعية وأن تخرج من نطاق الفكر الصهيونى الكلاسيكي الذي ساد قرنا من الزمان، وأن تجد حلا للتناقضات التى أوجدتها الصهيونية وقيادات الدولة اليهودية.

ويحمل فكر عصر ما بعد الصهيونية هدف **فصل المعابد اليهودية عن الدولة**، من أجل أن يتمتع الفرد اليهودى فى إسرائيل بنفس الحقوق المدنية والدينية التى يتمتع بها المواطن فى أمريكا الشمالية وأوربا الغربية. ومن الأهداف الرئيسية للحركة **تحقيق المصالحة** بين اليهود والفلسطينيين، والتى تتم

من خلال الاعتراف المتبادل بالحقوق الوطنية للشعبين الإسرائيلى والفلسطيني وأن تتحول إسرائيل إلى دولة ديموقراطية حقيقية يتمتع مواطنوها بحقوق متساوية فى ظل القانون.أى أن تكون إسرائيل دولة لأغلبيتها اليهودية ولأقليتها من العرب الذين يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية كما أن الخدمات التى تزود بها المجالس البلدية العربية هى عند الحد الأدنى من الخدمات.

وهذا الوضع للفلسطينيين حاملى الجنسية الإسرائيلية كمواطنين من الدرجة الثانية الذين يمثلون ٢٠% من سكان إسرائيل، يوجد فى قانون العودة الذي يُمنح ضمنا لليهودى المهاجر من أوكرانيا الجنسية الإسرائيلية، بينما يُنكر على الفلسطينى الذى اضطر للخروج من حيفا عام ١٩٤٧، العودة إلى المدينة التى عاشت فيها عائلته لأجيال طويلة.

أدت الصهيونية الأكثر تطرفا إلى إفراز مجموعة متناقضات لا يمكن حلها مما أدى إلى أفول عصرها.

قمع الفلسطينيين أدى إلى الانتفاضة وإلى الحرب فى لبنان فكانت نتيجته تأكيد قومية فلسطينية لها مقومات البقاء وزوّدت الفلسطينيين باعتراف دولى واسع النطاق.

قادت السياسات الداخلية والخارجية لائتلاف إسرائيل الكبرى إلى توسيع شقة الانقسامات السياسية فى إسرائيل وسرّعت من ظهور حركة سلام نشيطة فى المجتمع العلمانى، وتشكيل الخطوط الرئيسية لفكر ما بعد الصهيونية.

ولما عاد حزب العمل إلى الحكم وتولى رابين فى١٩٩٢أصبحت إسرائيل فى " حالة توهان " لا تدرى من أمر مستقبلها شيئا ولم يطرح رؤية متكاملة يتبلور معها فى النهاية شكل علاقة اسرائيل بالفلسطينيين وبالمنطقة. فأطلق أحد المتطرفين عليه النار.

عصر ما بعد الصهيونية باعتباره ضرورة أساسية للسلام. بينما الصهيونية مشروع وأجندة وجدول أعمال تبدأ برفض التنازل عما احتلته من أرض عربية وإنكار الحقوق الوطنية للفلسطينيين وضم الضفة وغزة والتخلص من وجود الفلسطينيين فى أرضهم وحلم إسرائيل الكبرى. هى أهداف وسيلتها كلها التوسع والحرب.

أمّا وقد توفرتْ لى المصادر فلا مانع من أن أعرض آراء بعض من مؤرخين جدد ومنهم :

٦ ـــ **نيكولاس جويات** : وكتابه "**ضياع السلام** " ويطرح نيكولاس جويات السؤال : لماذا انهارت عملية السلام ؟ "هل بسبب تاريخ الكراهية المتبادلة بين الفلسطينيين والإسرائيليين ؟ أم بسبب اندلاع العنف الفلسطينى كما يروّج أنصار إسرائيل ؟.أم بسبب صعود الليكود واليمين الدينى فى إسرائيل ؟

ويجيب المؤلف بأن الأسس التى قامت عليها عملية السلام هى أسس واهية إنهارت عليها عملية السلام، كان أساسها : "الأرض مقابل السلام " إلا أنها لم تحدد أى مساحة من الأرض التى يجب أن تنسحب منها إسرائيل.. ففى حين أن أهل فلسطين يأملون فى انسحاب إسرائيل من كل الأراضى التى احتلتها عام ١٩٦٧م، لإقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، فإن الإسرائيليين لا يريدون الإنسحاب سوى من ٤٢% إلى ٧٠% من الضفة، على أساس أن تبقى المستوطنات (المستعمرات) منتشرة فى أراض الضفة،ولا فرق فى ذلك بين اليسار واليمين.

وقد صُمم اتفاق أوسلو على أن يكون اتفاق نيـّات يفسره الفلسطينيون على أساس أنه يضمن انسحاب إسرائيل من "الـــ "أراضى الفلسطينية،ويفهمه الإسرائيليون على أساس أنه انسحاب من "أراض"، وكان الاستناد على القرار رقم ٢٤٢الذى فُسّر تفسيرين منذ يوم صدوره، هو الفخ الذى وقع فيه الفلسطينيون.

كما صُمم اتفاق أوسلو أن يتم الإتفاق على مسائل الحل النهائي مثل الحدود والقدس واللاجئين فى مفاوضات لاحقة "مفاوضات الوضع النهائى".. وحتى بدء مفاوضات "كامب ديفيد٢" في يوليو ٢٠٠٠م لم تكن إسرائيل قد انسحبت سوى من ٨ر٢% من الضفة الغربية. ولو لم تحدث مفاوضات "كامب ديفيد٢" لاندلعت الإنتفاضة الثانية ـــ واندلعت (فعلا) لأن المقترحات الأمريكية ـــ الإسرائيلية أبقت على استمرار احتلال إسرائيل للقدس.

ويستنتج المؤلف أن السلام سيظل غائبا ما ظل الحل لهذا الصراع هو عزل الشعب الفلسطينى فى "بانتوستانات" حتى لو حملت إسم دولة، وإن الحل لن يكون إلا إذا تخلت إسرائيل عن "الصهيونية" التى فشل مشروعها حتى الآن لتقوم دولة واحدة للعرب واليهود فى فلسطين. (٦/٢٥١)

٧ـــ **رجاء جاوردى** : (روجيه) كيفية خلق أغلبية يهودية فى بلد تسكنه طائفة عربية (أرض بلا شعب..)

أسطورة أرض بلا شعب.. التى روّج لها دعاة الصهيونية وصدقها الملايين فى العالم الغربى. إن احصائيات الحكومة الإسرائيلية تؤكد أن نسبة الإسرائيليين المؤمنين لا تزيد عن ١٥% ومع ذلك فإن ٩٠% منهم يرددون مقولة : " إن أرض فلسطين قد مُنحت لهم من الرب.. الذى لا يؤمنون به. وفى عام ١٩٤٧م أى قبل إنشاء دولة إسرائيل مباشرة كان هناك فى فلسطين مليون وربع من السكان من بينهم ٦٠٠ ألف يهودى والباقى كلهم من العرب، فقامت القوى الصهيونية بتفريغ الأرض من سكانها العرب من خلال الطرد والترويع والمذابح كما حدث فى قرية دير ياسين الآمنة ثم فى كفر قاسم، ويستشهد بالبروفيسور شاحاك الأستاذ بالجامعة العبرية الذى وضع قائمة بالقرى العربية التى دمرتها إسرائيل وسوتها بالأرض عن طريق البلدوزر ويبلغ عددها ٣٨٥ قرية عربية من مجموع ٤٧٥ قرية كانت مرصودة فى عام ١٩٤٨م ويقول البروفيسور شاحاك فى كتابه الشهير "**عنصرية دولة إسرائيل** " بأن الزعماء الصهاينة أقدموا على تدمير هذه القرى ليثبتوا أن فلسطين كانت صحراء جرداء قبل إنشاء إسرائيل..ولتأكيد كثافة الوجود العربى وضعف الوجود اليهودى قبل الحرب العالمية الثانية يعطى (شاحاك) أرقام التعداد الذى أجراه البريطانيون ونشر فى ٣١ديسمبر ١٩٢٢م والتى تؤكد أن عدد سكان فلسطين كان ٦٦٣ ألف عربى و ٧٣ألف يهودى وأن نسبة العرب كانت ٨٨% ولم تتعد نسبة اليهود ١١% وأن العرب الفلسطينيين كانوا يصدّرون سنويا ٣٠ألف طن من القمح، وأن تقريرا قدمه وزير الدولة البريطانى المسئول عن المستعمرات فى يوليو ١٩٣٧م كان يتوقع أن أكبر مُصدّر موالح فى العام خلال السنوات العشر اللاحقة سيكون فلسطين تليها الولايات المتحدة ثم اسبانيا ثم قبرص ثم مصر، ويعطى جارودى أخيرا مثالا على الإجراءات التى اتخذها الصاينة لوضع أيديهم على أكبر مساحات من الأرض وتفريغ فلسطين من سكانها الأصليين هو إنشاء الصندوق القومى اليهودى فى عام ١٩٠١م الذى يقضى بأن الأراضى التى تقع فى حوزته لا تباع أو حتى تُستأجر لغير اليهود.

يذكر جارودى الأسطورة التى ارتبطت بالدولة العبرية وهى نجاح إسرائيل فى تحقيق معجزة اقتصادية وكذلك على صعيد التسليح مما ساعد على بناء أسطورة داود الصغيرة الذى نجح فى أن يقضى على عدوه العملاق جالوت بـــ " نبلة "صغيرة وهى كناية عن دولة إسرائيل الصغيرى التى انتصرت على

جيرانها العرب مجتمعين. ويثبت جارودى أن الواقع غير ذلك تماما وأن إسرائيل استأثرت بمساعدات من الخارج لم يكن من الممكن أن تقوم لها قائمة بغيرها وكان أول مصدر للمساعدات الخارجية هو التعويضات التى فُرضت على ألمانيا والنمسا بعد الحرب العالمية الثانية على الرغم من أن إسرائيل لم يكن لها وجود عندما وقع الاضطهاد على اليهود على يد النازى. ويروى على لسان ناحوم جولدمان كيف أنه ابتز رئيس وزراء النمسا من أجل الحصول على التعويضات مع أن النمسا نفسها كانت محتلة من ألمانيا النازية وقت الحرب. ويؤكد جارودى أن المنظمات اليهودية الأمريكية ترسل وحدها نحو مليار دولار سنويا لإسرائيل وتخصم هذه التبرعات من الضرائب التى يدفعها اليهود الأمريكيون إلى الحكومة..

بالإضافة إلى ٣ مليا دولار تدفعها الولايات المتحدة إلى إسرائيل (ذكرها بن كرايمر)ويتحول أكثر من نصف هذه المساعدات إلى هبات لا تُرد. ويكشف عن أن الولايات المتحدة قد منحت ــ طبقا للأرقام المسجلة ــ من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ مساعدات بلغت فى المتوسط ٤٣٥ دولار لكل فرد إسرائيلى وكانت المساعدات الموجهة للعرب ٣٦ دولار لكل عربى. ويعطى جارودى رقما آخر يثير الدهشة وهو أن كل إسرائيلى تلقــّى فى المتوسط مساعدات تفوق مائة مرة المساعدات التى وصلت إلى جميع سكان العالم الثالث مجتمعين. ويستشهد جارودى بالمفكر الإسرائيلى الكبير البروفيسور ليبوفيتش الذى يقول حرفيا : " إن إسرائيل ليست دولة تمتلك جيشا ولكنها جيش يمتلك دولة ". أخيرا يقول جارودى : إن ما أرفضه هو القراءة الصهيونية والقبلية لنصوص التوراة والتى تجعل مفهوم شعب الله المختار حجة لتبرير الاستعمار وغزو أراضى الغير، ويقول : إن ما يصبو إليه فى الشرق الأوسط هو تطبيق القرار رقم ٢٤٢

ويذكر جارودى أن دولة إسرائيل لم تُقبل عضوا بالأمم المتحدة إلا بثلاثة شروط :

عدم المساس بوضع مدينة القدس .

السماح للعرب الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم.

احترام الحدود التى وضعها قرار التقسيم.

لكنها لم تحترم هذه الشروط ووضعت نفسها فوق جميع القوانين الدولية.(٧/٢٥١)

٨ ــ **ريجيس دوبريه** : يصل الوضع عند هذا الفيلسوف الفرنسى إلى وصف المسئولين الإسرائيليين بالمتخلفين عقليا. (٨/٢٥١)

٩ ــ **كلود برزوزوفسكى** : "إن إيجاد دولة يهودية فى فلسطين ما كان يمكن أن يتم إلا بثمن باهظ وهو طرد الأهالى الأصليين والاستيلاء على ممتلكاتهم " هو واحد من المؤرخين الجدد يشرح لنا : كيف تم اغتصاب أرض فلسطين فى ٣٠ سنة منذ وعد بلفور ١٩١٧م ــ إلى قرار التقسيم :

وضعت الحركة الصهيونية نصب عينيها هدفين رئيسيين وركزت كل جهودها على تحقيقهما على المستوى المحلى والعالمى، واستعملت وسائل الضغط والترغيب والترهيب خلال مسار استغرق ثلاثين عاما ما بين صدور وعد بلفور بإعطاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ــ وصدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ عام ١٩٤٧م الذى يقضى بتقسيم أرض فلسطين إلى دولة عبرية ودولة عربية :

*تحويل الأقلية اليهودية التى كانت قائمة فى فلسطين ــ مثل أى أقلية يهودية فى دولة أخرى ــ إلى أغلبية عن طريق تهجير يهود أوربا بطرق شرعية أو غير شرعية، بحيث يصبح هناك شعب يهودى فى فلسطين.

*تحويل هذا الشعب اليهودى إلى مالك للأرض التى لم يكن يملك أكثر من ٢٠% منها حتى عام ١٩١٧م (صدور وعد بلفور)، وكانت ملكية الأرض حينها تعود إلى العرب الفلسطينيين.

وإن إيجاد دولة يهودية لم يكن ليتحقق إلا بثمن باهظ وهو طرد الأهالى الأصليين والاستيلاء على ممتلكاتهم ومحو التراث الفلسطينى والشخصية الفلسطينية، وتحويل الأهالى الأصليين إلى لاجئين عن طريق الاستحواذ على ممتلكاتهم وأراضيهم وعقاراتهم، ومحو أسماء القرى العربية بعد طرد أهلها العرب ثم تهويدها.

وبمجرد توقيع الهدنة حصلت إسرائيل على حدود جديدة تعطيها مساحة أكبر بنسبة الثلث من المساحة التى أقرها لها قرار التقسيم.. ظلت ملكية الأرض فيها موزعة على النحو التالى ٧% مملوكة لليهود، ٣٧%مملوكة للفلسطينيين، ١% مملوكة لأجانب، ٥٥% أراضى دولة (فلسطين) ملكية عامة. وسرعان ما وضعت الدولة العبرية يدها على الملكية العامة التى كانت تشكل أراضى دولة.. وهكذا استولت إسرائيل على ٥٥% من مساحة فلسطين دون أن تدفع فيها

دولارا واحدا بالإضافة إلى ٧% المملوكة سابقا لليهود جعلت إسرائيل مالكة لـــ ٦٢% من أرض فلسطين.

خلال العامين الأولين لقيامها استهدفت تجريد الفلسطينيين من نسبة الـــ ٣٧%التى كانت تبلغ ٥،١ مليون دونم، ففى ١٥ أكتوبر ١٩٤٨م أصدر وزير زراعتها قانونا يبيح له وضع اليد على الحقول العربية المهجورة (أى التى تحول أصحابها إلى لاجئين) وتوزيعها على من يختاره من المزارعين اليهود. وفى ديسمبر ١٩٤٨اصدر قانون آخر يبيح وضع اليد على الأملاك العربية المهجورة فى المدن وبذلك انتقل ٤٠ ألف مهاجر آخر للإقامة فى بيوت الفلسطينيين فى حيفا، ومثلهم في يافا، ومع نهاية عام ١٩٤٩ كانت بيوت جميع أهل فلسطين الشاغرة يسكنها نزلاء جدد من اليهود. أيضا المخازن والورش والفنادق والمطاعم والمقاهى، حتى عام ١٩٥٠ صدر قانون ملكية الغائب حيث تدار بواسطة هيئة حراسة أملاك الغائبين، وبعد بضعة أسابيع حصلت الهيئة المذكورة من الحكومة على حق المطالبة بأى عقار ترى فيه منفعة عامة.. وبهذا تحولت عقارات الغائبين إلى " ملكية الشعب اليهودى " مقابل أثمان رمزية، وهذه العقارات مسجلة بدفاتر حسابات " قدّرت قيمتها الحقيقية عام ١٩٥٠م بنحو ٥مليار دولار، ولو حُسبت بقيمتها الحالية فإنها تصل إلى ٨٠ مليار دولار. (٩/٢٥١)

وإن كان برزوزوفسكى قد ألقى الضوء على الاستيلاء على ممتلكات أهل فلسطين، فهذا " ١٠ ــ **بنى موريس** " : يوضح لنا تفاصيل **"قضية اللاجئين "** و **"مذبحة قبــيّة "**

*قررت حكومة بن جوريون ١٩٤٨امنع عودة الفلسطينيين فخلقت " قضية اللاجئين "، رفض الفلسطينيون بيع أراضيهم رغم سياسة التجويع التى مارسها اليهود ضدهم.

فى جلسة ١٦ يوليو ١٩٤٨ قررت الحكومة الإسرائيلية برئاسة بن جوريون وتأييد موسى شاريت منع عودة أى لاجئ فلسطينى إلى داره.. وبذلك تقرر حرمان حوالى ٧٠٠ ألف لاجئ فلسطينى من العودة إلى ديارهم التى سبق أن طُردوا منها، وبذلك أبقى للأجيال اللاحقة من العرب قضية شائكة عسيرة الحل هى "قضية اللاجئين الفلسطينيين ".

نفذت حكومة إسرائيل مبادئ الحركة الصهيونية بالطرد الجماعى لإخلاء الأرض الفلسطينية وبدأت بـــ (مجدل ــ عسقلان) بتفريغها من سكانها بعد

تضييق الخناق عليهم وفرض سلسلة من القيود الشديدة وإحاطة المدينة بالأسلاك الشائكة، انتهت بالطرد لجلب مهاجرين جدد ليحلّـوا مكان العرب المطرودين كما يلى :

*فى فبراير ١٩٥٠ بدأ (الترانسفير الرسمى) بموجب قرار رئاسة الأركان ووزارة الدفاع، وأول دفعة تم ترحيلها بالقوة من المجدل إلى قطاع غزة فى يونية ١٩٥٠ وكانت ٣٨ مواطنا عربيا حُملوا بسيارات عسكرية وقُذِف بهم إلى ما وراء قطاع غزة.

الدفعة الثانية فى ١٨ يونية وبنفس العدد، وكان يُزاد العدد فى الدفعات اللاحقة : فى ٢٣ يوليو طردت ١١٥ عربيا إلى غزةو فى ٢٣ أغسطس طردت ١٤٦ وفى٣٠ أغسطس ١٩٢و فى ٢٦ سبتمبر١٩٤ وفى ٩ أكتوبر ٣٧٤و فى ١٢ أكتوبر٢٢٩ بعدها طردت ٢٠٠ من سكان قرية (قطرة) الذين كانوا يقيمون فى المجدل، وقال ديان للصحف المحلية : " إنهم غادروا برغبتهم، وغيّروا إسم القرية إلى مجدل، ثم إلى جاد ثم إلى أشكلون .

*تبنـّت الحركة الصهيونية قبل وبعد قيام دولة إسرائيل فكرة طرد العرب من فلسطين بالقوة إذا لزم الأمر وكانت نفس الشخصيات التى نادت بمبدأ " الترانسفير" أى الترحيل الإجبارى قبل قيام الدولة هى نفسها التى تولت الحكم بعد ذلك، واستمروا فى تنفيذه بعد قيام الدولة، لتستمر نفس السياسة.. ومع مجئ الرعيل الثانى بتوطين ربع مليون يهودى فى مستوطنات أقيمت على أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب ١٩٦٧م وذلك بإبعاد نحو مليون مواطن عربى من أراضيهم إما إلى خارج الحدود، وإما إلى مناطق أخرى داخل الأراضى المحتلة.

وقد جندت لذلك صحافتها للدفاع عن مجزرة " قبـيـّـة سنة١٩٥٣م (سيأتى ذكرها لاحقا).

ولإيجاد مبرر لها كانت الصحف الإسرائيلية تتساءل وباستغراب : كيف يجوز للدول الأجنبية أن تنتقد إسرائيل على هذه المذبحة فى الوقت الذى تعرّض فيه ملايين اليهود للذبح فى أوربا فى العهد النازى دون أن تفعل تلك الدول شيئا لحماية اليهود.

وعن الجانب الأخلاقى لهذه المذبحة كتب "لايبوفتش" بجريدة (طيرم) فى ١٥ديسمبر ١٩٥٣: "إن الشعب اليهودي طوال فترة الشتات عاش متمسكا

بأخلاقه بشكل ظاهرى مصطنع لأن حياة الشتات لم تتح له فرصة التعبيرعن المخزون الثقافى، وحين أقيمت له دولة وجيش رسمى طغت على السطح إمكانية استخدام القوة الساحقة ضد الآخر.. لقد حان موعد (الإختبار الأخلاقى) بعد أن توفرت لليهود السيادة والقوة المطلوبة القادرة على التنفيذ، وقال لايبوفتش " لقد فشل اليهود فشلا أخلاقيا مروعا،

وعلينا ألا نحاول إيجاد مبرر لعملية (قبية) يسمح لنا بإنزال العقاب الوحشى والجماعى بأناس أبرياء لم تكن لهم يد فى جرائم ارتكبها آخرون " (انتهى مقال لايبوفتش).

ونحن هنا في صميم المنطق الصارم للنظام الصهيونى وهو كيفية خلق أغلبية يهودية فى بلد تسكنه طائفة عربية فلسطينية من السكان الأصليين. والحل الوحيد هو إنشاء مستعمرة إسكان بطرد الفلسطينيين ودفع عجلة الهجرة اليهودية، وكانت نقطة الإنطلاق الكبرى هي :

* " إنشاء الصندوق القومى اليهودى " فى ١٩٠١م بطابعه الخاص المتميز بأن الأرض التى تقع فى حوزته لا يمكن إعادة بيعها ولا تأجيرها لغير اليهود ".

* ولمحو ذكر وجود السكان الفلسطينيين والتأكيد على أسطورة "بلاد صحراء" : دُمـرّتْ القرى العربية، وهُدِمـتْ منازلها وأسوارها، حتى مقابرها. وقد أورد إسرائيل شاحاك ١٩٧٥م قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية دُمـرّتْ بالبلدوزر، وذلك من بين ٤٧٥ قرية كانت مسجلة عام ١٩٤٨م، وقال : "وليتسني الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى صحراء، دُكـّتْ مئات القرى بالبلدوزر وسُوّيت بيوتـُها وأسوارُها ومقابرُها بالأرض ". (إسرائيل شاحاك: عنصرية دولة إسرائيل ص ١٥٢ وما بعدها)

واستمر زرع المستوطنات الإسرائيلية وازداد منذ ١٩٧٩م فى الضفة الغربية، وطبقا للتقاليد الاستعمارية (تسليح المستوطنين) مما أدى إلى طرد مليون ونصف المليون فلسطيني وأصبحت الأرض (اليهودية) كما يقول العاملون فى الصندوق القومى اليهودى تمثل ٩٣% من فلسطين بعد أن كانت ٦،٥% عام ١٩٤٧م. (١٠/٢٥١)

عصر ما بعد الصهيونية الذي انقلب عليه الليكود :

انطلقت رصاصات عومير لتغتال إسحق رابين، ولتبرهن على صعوبة الوضع الذى بدا وكأن داخل إسرائيل نوعا من صراع الحضارات، كانت واقعية

رابين قد ساعدت على اتساع دائرة مؤيديه بين معسكر السلام من غير المتعصبين دينيا، وكسب أنصارا من اليهود الشرقيين ومهاجرى الاتحاد السوفيتي، لكن استراتيجيته أدت فى النهاية إلى غضب الأصوات العربية ومنعته من أن تصل رسالة واضحة إلى يهود إسرائيل بأنه سوف يوفر لهم الأمن على المدي البعيد. لقد فشل رابين وبيريز فى بلورة رؤية لـــ"إسرائيل جديدة" تكون قد حلت نزاعها التاريخي مع الفلسطينيين واندمجت في الشرق الأوسط، وفي العالم. وكان هذا الفشل سببا في تمكن الليكود ــ بعد موجة الهجمات بالقنابل ضد الإسرائيليين عام١٩٩٦ــ من إقناع الناخبين بأن سياسات حزب العمل تهدد بالخطر لمن إسرائيل، فحدث التحول لمصلحة نتنياهو الذى تولى الحكم ووقع مع ياسر عرفات اتفاق "واي ريفر" وهذا معناه أن قادة الليكود وافقوا على التخلى عن حلم إقامة إسرائيل الكبرى مما أدى إلى انقسام فى الليكود ودخل أيهود باراك الانتخابات منافسا لــ نتنياهو على أنه يمثل طريقا ثالثا.

لم تكن إسرائيل قد استوعبت الزلزال العالمى لانهيار النظام الدولى القائم علي القطبين ولو أنها تأثرت به فهل بالإمكان أن نتوقع من المستوطنين اليهود وأنصار معسكر إقامة إسرائيل الكبرى أن يقبلوا فكرة أن زوال عصرهم أمر حتمى، أم أنهم سوف يستخدمون كل الوسائل المتاحة لهم والتى تتراوح ما بين العصيان المدني ــ إلى العنف، لتخريب أى اتفاق ســـــلام مع أهل فلسطين. وهل يعتبر عصر ما بعد الصهيونية خيارا حتميا إذا ما كانت إسرائيل تريد فعلا السلام وبينما التحولات الدولية قد خلقت فى إسرائيل أحلاما مغايرة.. نرى أن إنقاذ الدولة وبقاءها رهنٌ بتحولها لدولة طبيعية تخرج من تناقضاتها ــ فهى :

- جغرافيا تقع فى الشرق الأوسط.. لكنها رافضة الانتماء إليه.

السبط الثامن: سبط حاد ونقيبهم الياساف بن رعوئيل ·

السبط التاسع: سبط أشير ونقيبهم فجعئيل بن عكرن ·

السبط العاشر : سبط دان ونقيبهم أخيعزر بن عمشداي ·

السبط الحادي عشر : سبط نفتالي ونقيبهم أخيرع بن عين

السبط الثاني عشر : سبط زبولون ونقيبهم الباب بن حيلون ·

هذا نص كتابهم الذي بأيديهم والله اعلم.

وليس منهم بنو لاوي حيث أمر الله أن لا يعدهم معهم وهم سبط موسي وهارون عليهما السلام حيث أنهم مكلفون بحمل قبة الشهادة (أي قبلتهم التي

يتوجهون إليها في صلاتهم) إذا ارتحلوا وضربها ونصبها وخدمتها وحراستها إذا أقاموا.

" ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزّرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم (١٢المائدة)

هذا ما جاء فى البداية والنهاية لابن كثير (وهو مرجعى الرئيسى خلال الفصل لأول الذى نحن بصدده).

- معنويا واستراتيجيا مرتبطة بالغرب.. وهى بعيدة عنه.
- ملتصقة بحضن القوة الكبرى فى العالم، وتحمل لافتة الدولة الديموقراطية.. وهى فى واقعها ما زالت مجتمَعا يُحكم أفرادُه بأشد أنواع الرقابة العسكرية والسياسية حتى على أى عمل أدبى أو فني.
- تمارس التمييز والعنصرية على جزء من مواطنيها العرب الذين تُنكر عليهم الحقوق الطبيعية وتعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية. (بينما هى على أرضهم وهم أصحاب الأرض
- هى بحالتها هذه تحمل تناقضات كفيلة بتمزيق أى مجتمع وانهياره، ولهذا كان إنقاذ الدولة عن طريق السلام.. يتصادم مع إنقاذ المجتمع من التفكك بالمحافظة على تماسكه عن طريق إذكاء روح الحرب باستمرار..(!). (معادلة صعبة)

ولذلك فقد ظلت فى تناقضاتها ولم يجرؤ أى زعيم على حلها كاملة، فهى تشكل طوفانا من مشاعر التعصب والعدوانية بعد كل زلزال سياسى تتعرض له ـ كما سنرى :

بعد زلزال ونشوة انتصار ٦٧ غلب حلم "إقامة أسرائيل الكبرى" على أية رغبة في السلام.

بعد زلزال انكسارهم في ٧٣ وهبوط مكانة حزب العمل الحاكم وقتها، دفعت التناقضات بها إلى مزيدٍ من التطرف بدلا من أن تدفعها إلى السلام، فجاء الليكود لأول مرة إلى الحكم عام ١٩٧٧ ليلقى وقودا على نار التشدد معلنا رفض الحقوق الفلسطينية، وضم الضفة وغزة، والتمسك بما احتلته من الأراضى العربية.

شــارون : (٢٥٢)

ورث عن والده الإيمان الأعمى بالصهيونية والعناد وكراهية العرب. ونحن أمام قاتل على أعلى مستوى من الانحراف والاحتراف، ينضم إلى مجرمى الحرب الذين ابتلى العالم بهم فى العصر الحديث.. شارك وعمره عشر سنوات فى عمل الحراسة الليلية حاملا السلاح فكان يتسلل فى الظلام إلى الحقول بحثا عن العرب، حمل السلاح ومارس القتل ضد العرب وعمره ١٤عاما وكان جده موردخاي صهيونيا نشيطا، حضر المؤتمر الصهيونى العالمى الذى عقد فى سويسرا (بازل) عام١٨٩٧م، وانتقل إلى فلسطين ليتولى تدريس اللغة العبرية لأطفال المهاجرين اليهود وينشر الفكر الصهيونى بين أبائهم، ورجع إلى روسيا لصعوبة الحياة، ورحل مرة أخرى إلى تل أبيب، ولقـّن موردخاى مبادئ وتعاليم الصهيونية لابنه صمويل الذى تزوج واستقرمع زوجته فى "كفرملال" واعترفت زوجته أنه حولّها إلى صهيونية بالقوة. فى عام١٩٢٩م شــكلــت المليشيات اليهودية عصابة "الهاجناه" وتابع الطفل شارون التجمعات اليهودية وهى تحارب العرب وكان والده يقص عليه أساطير وحكايات تزيد من كراهيته للعرب.

يؤمن شارون بضرورة عزل إسرائيل فأقام ذلك السور الأسمنتي الذي ترفضه بشدة حتي الدول الصديقة لإسرائيل.

تشكلت عصابة " الهاجاناه" من شباب اليهود فانضم شارون إليهم وعمره ١٤ سنة وتدرب على استعمال السلاح وكيفية اقتحام منازل العرب والتسلل إليها فى الظلام، بعدها انتقل إلى وحدة شباب المقاتلين فتلقى تدريبات عسكرية مكثفة على حرب العصابات من ضباط بريطانيين وتفوّق فيها، وفى أواخر عام ١٩٤٣م كانت هناك عصابات يهودية مستقلة هى : " الهاجاناه، أورجون، وسيترن " وفي عام ١٩٤٥م التحق شارون بجماعة سرية للإغتيالات تتبع الهاجاناه وأصبح مقاتلا على مستوى عال، وانضم إلى جماعة " بالماح" أو جماعة "الصدمة".

فشلت سلطات الانتداب في التفاوض مع العصابات اليهودية وفى نوفمبر ١٩٤٧م صدر قرار التقسيم بعد أن صوتت عليه ٣٣ دولة واعترضت عليه ١٣وتغيبت عشر دول. فأعلنت رسميا "دولة إسرائيل"، وقامت احتفالات في جميع أراضي كفر ملال وكان ذلك بالنسبة لشارون الخطوة الجديدة في طريق

الإرهاب.مشاركا ومقاتلا كقاتل محترف.. وقد توحدت جميع عصابات القتل في كيان واحد اسموه "جيش الدفاع الإسرائيلي"، وأعلن مفتي القدس الجهاد ضد اليهود فتصاعدت حرب عصابات بين العرب واليهود،وعُيّن شارون ضابط استطلاع في المعركة التي قادها " إيجال ألون، ولم تحقق أي انتصار مع جيش يتكون من ٤٠ الف من الجيش المصري بقيادة طه بك الذي أثار إعجاب شارون بإصراره وعدم انسحابه من الفالوجة ومواصلة القتال وفشلت قوات إسرائيل في اقتحام موقعه.

ويري أن بقاء إسرائيل يعتمد علي جيش مدرّب ومسلح بأحدث الأسلحة والمعدات.

ترشح لتشكيل الفرقة ١٠١ للقيام بهجمات ضد العرب، وبعد شهرين كان لديه عشرون متطوعا على أعلى مستوي من التدريب واللياقة اختارهم بنفسه تحولوا إلي إرهابيين متعطشين إلى الدماء يستخدمون بنادقهم وأسلحتهم البيضاء بمهارة فائقة فى هجماتهم فى الظلام ضد المدنيين العرب.

تُمثل حرب ١٩٧٣فشلا حقيقيا أصاب إسرائيل بالصدمة واتضح للرأى العام فى اسرائيل قوة الجندى المصرى وقدرته وشجاعته، وأصيب شارون بالإحباط لفشل الجيش الإسرائيلى، وظهر فجأة فى تجمع انتخابى لحزب الليكود بأحد ميادين تل أبيب وأعلن رفضه وغضبه على توقيع اتفاقية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل فى ١٨يناير١٩٧٤فاستجاب الناخبون له بحماس وهتفوا : "أريك..(أريك) ملك إسرائيل" وهاجم الأمريكان الذين أنقذوا إسرائيل من هزيمة ساحقة، لأنهم – فى رأيه – لم يستخدموا انسحاب إسرائيل من القناة كوسيلة مساومة، ووجه اتهامه لـ " "هنرى كيسنجر" – أقرب أصدقاء إسرائيل – وأخطر المتآمرين على العرب، وأعلن للصحافة إحباطه وغضبه من عقد مؤتمر السلام مع العرب فى جنيف.. وفى البيان العسكري الأخيرثار ضد شارون جميع جنرالات إسرائيل فاضطرت القيادة العسكرية إلى إصدار " بيان مضاد " انتقدت فيه وقاحة شارون وانتقاداته واتهاماته لزملائه التى أطلقها " بلا أي سند"، وعُين عضوا فى لجنة الشئون الخارجية، ثم رئاسة لجنة ميزانية الدفاع واتضح أنه لم يكن مهيأ للحياة المدنية كعضو فى الكنيست، وفشلت محاولات ترويضه ليصبح سياسيا فهى لا تتناسب مع طبيعته القاسية ولا مع شخصيته كقاتل محترف، وحين أصدر رئيس الوزراء "رابين "قرارا بتعيين شارون قائدا لقوات

الإحتياط، قبـل المنصب الجديد فورا وعاد إلى أصدقائه.

أصبح شارون رئيسا للوزراء فى٦فبراير ٢٠٠١م فقدم نفسه لجماهير إسرائيل على أنه رجل سلام، سلام يتحقق بالقوة المسلحة وبدون أى نوع من المصالحة مع الفلسطينيين.. فكان انتخابه وبالا على الجهتين معا.. وقد تجاوز عدد القتلى من الإسرائيليين والفلسطينيين فى عهد شارون الأسود كل أعداد القتلي خلال فترات من سبقوه من رؤساء الوزارات العشرة.

لقد نجح شارون بامتياز في الانتخابات.. لكن **السلام المنشود في الشرق الأوسط سقط بتقدير ضعيف جدا**، والملاحق الأمريكية لن تغير من هذا الفشل.. فالطالب غير قابل للفهم، وعلى أعلى قدر من الجهل والغباء.

مذكرات مستشار بيجين:

السادات حين قال لشارون: لو عديت القناة تاني.. هاحبسك!



الرئيس الراحل أنور السادات في أحد لقاءاته مع شارون

نيويورك - من عزت إبراهيم

رغم مرور سنوات طويلة على الزيارة التاريخية للرئيس الراحل أنور السادات إلى إسرائيل إلا أن المزيد من المعلومات لا تزال تتدفق عن الأسرار التي أحاطت بالزيارة فقد كشف أيهودا أفنير السكرتير الخاص ومستشار رؤساء الحكومات الإسرائيلية السابقين إسحق رابين ومناحم بيجن وشيمون بيريز في مذكراته الشخصية التي تصدر في سبتمبر المقبل تحت عنوان «رؤساء الوزارات: قصص حميمة عن القيادة الإسرائيلية» أن الرئيس السادات همس في أذن إريل شارون بعد هبوطه من الطائرة ومصافحة كبار مستقبليه في مطار بن جوريون في رحلة السلام التاريخية عام ١٩٧٧ قائلا في دهشة «ها.. لقد عثرت عليك. لقد حاولت مطاردتك في الصحراء. لو حاولت عبور قناتي مرة ثانية فإنني سوف أضطر إلى اعتقالك في السجن». ويقول أفنير في المذكرات المليئة بالتفاصيل الجديدة أن شارون رد على السادات ضاحكا «لن تحتاج إلى ذلك» وأردف «أنا سعيد أنك هنا.. وأنا وزير زراعة الآن». وكان شارون هو قائد الهجوم المضاد ضد تقدم القوات المصرية في عمق سيناء في حرب ١٩٧٣.

ويقول أفنير إن التدافع الذي حدث من الصحفيين على مطار بن جوريون قد دفع به إلى جانب جولدا مائير -رئيسة الحكومة الإسرائيلية أثناء الحرب- التي علقت بلهجة ساخرة على مشهد حضور السادات قائلة لإسحق رابين الذي كان يقف بجوارها «ها هو هنا الآن ألم يكن ممكنا أن يأتي قبل حرب يوم الغفران ويجنبنا نحن وهو كل هؤلاء الضحايا؟!». ويشير السكرتير الخاص لبيجن أن السادات توقف عند موشيه ديان -وزير الخارجية في ذلك الوقت- وقال له «عليك أن تطلعني مسبقا قبل أن تأتي إلى القاهرة من أجل أن أغلق كل المتاحف». ويقول المؤلف أن السادات كان يشير إلى ولع ديان الشخصي جدا بالتنقيب عن الآثار في إسرائيل.

٢٣

مواقف

أعجبني كتاب باللغة الفرنسية عنوانه: [illegible] التي غيرت مسار الحرب العالمية الثانية. أما الخطباء فهم: تشرشل وهتلر وموسوليني وديجول وروزفلت. وتشرشل هو الأكثر بلاغة والقدر على صناعة الشعارات والهتافات. وقد نشرت أخيرا أوراق تشرشل. وكيف أنه كان كثير الشطب والتغيير قبل أن يواجه الناس. وقد فاز تشرشل بجائزة نوبل في الأدب. وهو يستحقها.

أما هتلر فهو يعتمد على [illegible] وقدرته المباشرة على إثارة [illegible].

وتشرشل يعتمد على بلاغته وفصاحته. ولو كان الأمر بيدي لأضفت خطبة أنور السادات في مجلس الشعب التي قال فيها إنه على استعداد أن يذهب إلى الإسرائيليين في أي مكان في العالم. وأنه سوف يذهب معهم إلى آخر العالم بل إنه مستعد أن يذهب إلى الكنيست نفسه وأن يعرض فيه قضية فلسطين وقضية مصر. [illegible] إسرائيل منتهى الوضوح.

وتضمنت هذه الخطبة [illegible] أحد [illegible] من الجلوس مع الإسرائيليين ومناقشتهم في أي وقت وأي مكان. وأن [illegible] إليهم في الكنيست.

فقد كان السادات قد قرر كل ذلك. فقرر أن يذهب إلى إسرائيل. وأن [illegible] الشعب [illegible] والمنطق. [illegible] السادات وشجاعته وجرأته [illegible] أنه رجل سلام وأنه لا يريد الحرب والدمار. وقد [illegible] إلى السلام. وأنه [illegible] لا يريد [illegible] والأذى.

وقد قال [illegible] في إسرائيل [illegible] أنور!

أنيس منصور

anismansour@ahram.org.eg



باراك.. بطل.. فضيحة إذلال جديدة ضد الأسرى الفلسطينيين

الاهرام ١٤/٩/٢٠١٠

صورة باراك بطل فضيحة اذلال جديدة ضد الأسري الفلسطينيين :الأهرام١٤/٩/٢٠١٠

شـــهود.. يهـــود (٢٥٣)

(منذ سنوات طويلة، ولا يزال، يطرق فكر المواطن المصري وعقله سؤال :

لماذا الاهتمام الأمريكي بإسرائيل إلي هذا الحد الذي يجعل منه لغزا يكاد يستعصي علي الفهم ؟

وبنفس القدر يطرق ــ منذ سنوات ــ فكر مواطن أمريكى يهودى هو ريتشارد بن كريمر، صحفى ومحلل سياسى شهير، مسبوقا بثلاثة أسئلة :

لماذا لا ينال الفلسطينيون دولتهم الخاصة المستقلة ؟
ماهي الدولة اليهودية ؟
لماذا لا يتحقق السلام ؟
وسؤالنا الشهير : لماذا هذا الاهتمام الأمريكي بإسرائيل إلى هذا الحد ؟.
هذه الأسئلة ضمنها كتابه قبل سنوات بعنوان : " **كيف خسرت إسرائيل الأسئلة الأربعة** " ؟ (١/٢٥٣)

ولا شك في أن الإهتمام الأمريكي بإسرائيل يشكل علامة استفهام لأسباب عدة أهمها ـــ من وجهة نظر بن كريمر.

إسرائيل بقعة صغيرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط لا يتعدى عرضها العشرة أميال ولا يتجاوز تعدادها الخمسة ملايين إلا بقليل، مكروهة ومعزولة عن العالم، ورغم ذلك تحصل سنويا على ٣ مليار دولار كمنحة لا تُرد، إضافة إلى ٢مليار دولار ضمانات قروض، كما ترسل لها المنظمات اليهودية الأمريكية وحدها نحو مليار دولار سنويا تخصم هذه التبرعات من الضرائب التي يدفعها اليهود الأمريكيون إلى الحكومة (*) ـ ولا يزال أصحاب عشرات الآلاف من أصحاب البيوت الفلسطينية المطرودون يملكون مفاتيح تلك البيوت رغم إبعادهم عنها، وهم حين يرحلون عن الدنيا يورّثون تلك المفاتيح لأبنائهم بالتأكيد ـــ وهي تحصل على أكثر من ثلث مساعدات أمريكا الخارجية.

ولأنه لا شئ يحدث بدون سبب معقول فإن أصحاب نظرية المؤامرة ـــ وأغلبهم من العرب ـــ حسب رأى مؤلف الكتاب، يفسرون هذا الاهتمام الأمريكي بإسرائيل تفسيرا مغلوطا، فإذا كانت إسرائيل تمثل ذراع أمريكا للسيطرة على البترول فإن ذلك هو أقوى ما يباعد بين أمريكا والعالم العربى الذى يمتلك معظم احتياطيات الثروة البترولية فى وقت تتعاظم فيه أهمية البترول كمصدر رخيص ومأمون لتوفير الطاقة التى ترتكز عليها حضارة العصر الحديث.

وحسب رأى بن كريمر فإن كل هذه التحليلات غير مقبولة بما فى ذلك التحليلات التى تتحدث عن مراكز النفوذ الصهيونية داخل أمريكا مثل منظمة إيباك وأباطرة رجال المال اليهود الممسكين بمفاتيح البنوك والصناعة وماكينة السينما العالمية فى هوليود، فهل هو العامل الدينى؟

إن العامل الدينى لا يمكن إغفاله فى تفسير لغز العلاقة المريبة بين أمريكا

وإسرائيل مع غياب أى أسباب عقلانية أخرى تندرج ضمن مبادئ التحليل الموضوعى فى علوم السياسة بوجه عام، وركائز العلاقات الدولية بوجه خاص. فمعظم الرؤساء الأمريكيين الذين أظهروا انحيازا سافرا لإسرائيل وأبرزهم جورج بوش الإبن لم يكن أحد منهم بحاجة إلى أصوات اليهود ولا أموالهم، ولكن هناك قدر كبير من التعاطف مع الحلم الصهيونى، وقد ظهر ذلك بوضوح فى عهد جورج بوش الإبن ورفاقه المتشددين الذين يوصفون بالمولودين ثانيا فهم يؤمنون إيمانا يقينيا قاطعا بما حدثتهم به أسفار العهد الجديد من أن إسرائيل ستعود وأن ذلك سيكون مقدمة لمحاربة محاور الشر الكبرى (المحور الشيوعى القديم، المحور الإسلامى الحالى. فى معركة هرمجدّون الرهيبة التى تمثل إشارة لعودة المسيح وتنصير اليهود.

ويقول : نحن لا نفعل ذلك بمنطق اقتصادى عقلانى ولا نرتجى من وراء تلك المساعدات أى عائد مادى، وإنما نفعل ذلك لوجه الحب والتعلق العاطفى بإسرائيل. وإلا فلماذا تشغل الصحف والمجلات الكبرى صدر صفحاتها بالحديث عن إسرائيل وتتغزل فيها فى مجالات عديدة حيث توجد إسرائيل حاضرة بتوهج فى الكثير منها، فنعرف عن القدس ومدن إسرائيل وما يحدث فيها أكثر مما نعرفه عن مدن أمريكا الكبرى، وإذا سأل سائل منا ــ مثلا ــ عن مخاطر هجمات الإرهاب على بلادنا أحالونا إلى مواطن إسرائيلى ليجيبنا من واقع خبرته وتجربته هناك. إنهم يولون مثل هذه الأمور عناية فائقة، ولذا ــ فإن إسرائيل تعجبنا من هذا النحو الغريب، ونحن نحبها على هذا النحو العاطفى اللاعقلانى، فكأنها قطعة من ثوب قلوبنا شطت عنا وحطت هناك، والإسرائيليون ــ وهم ليسوا أغبياء ــ يفعلون كل ما فى وسعهم لتعميق أواصر هذا الحب العنيف بتصوير إسرائيل وكأنها قطعة من أمريكا، فهى تحظى بمستوى معيشة مشابه لما عندنا ولها حكومة ديموقراطية مثلنا ومتحدث رسمى باسمها يتكلم الإنجليزية الأمريكية وكأنه نشأ فى مدينة ديترويت، ولها اهتمام بمساعدة دول العالم الثالث كما تفعل أمريكا.

ولكن قصة الإعجاب والإنبهار الأمريكى بإسرائيل لها جذور وعوامل أخرى فتمثل الدعاية سلاحا أساسيا من أسلحتها فى الساحة الدولية وتمتد إلى مجالات أبرزها **الدعاية السياحية**، إن قوة الدعاية السياحية الإسرائيلية وقدرتها على جذب الإهتمام الأمريكى فهى تخلب ألبابنا وتغسلها فمن وقت مبكر من

إنشائها كدولة، نشطت تلك السياحة المخططة جيدا لجلب التعاطف مع الذين هاجروا إليها، وقد خصصت الدولة أفضل الإمكانات والتسهيلات لسفر وإقامة زوّارها القادمين من دول أوربا وأمريكا وأستراليا وجنوب أفريقيا وغيرها لتريهم أحوال أولئك المهاجرين وتحدثهم عنها بأسلوب بالغ التأثير، وهكذا كان يقول مرافقو أولئك السائحين : " أنظروا إلى أولئك الفلاحين التعاونيين المسالمين فى "الكيوبتز" الذين أطعمونا قبل هنيهة غداء شهيا سخيا..إنهم يتعرضون لخطر القصف من المدفعية العربية فى كل يوم ليلا ونهارا، وإنها لعلى مرمى حجر — لا قذيفة — من تجمعاتهم العملية المتحضرة التى تحيل هذه الصحراء الجرداء حلة زاهية الإخضرار.!.. هكذا يقول المرافقون لزوار إسرائيل، وقد خصصت الدولة لكل وفد زائر مرافقين يتحدثون لغته القومية بطلاقة ولباقة فلو كان الوفد سويديا أو كرواتيا أو أرجنتينيا أو بولنديا أو رومانيا..الخ لوجد من يهود بلاده نخبة مماثلة هناك لتحدثه..فيزداد ويتعمق حبه وولاؤه لبنى وطنه المنكوبين لمجرد أنهم هاجروا منه إلى إسرائيل.

ولو سأل سائل : وهل ستقوم إسرائيل بتعويض السكان العرب الذين انتقلوا أو طـُردوا من أرضهم ؟ مبدئيا يتجاهلون السائل، أما اذا أصر فستكون الإجابة : إن المسألة معقدة وشائكة، وقد أنشأنا لجنة تدرس الأمر وتبحث عن أفضل الطرق لتعويض هؤلاء الناس وكما تعلم فإن سجلات الأراضى وضعتها حكومة الاحتلال التركى، وهى غير دقيقة، ولا يعتمد عليها تماماكان هذا النموذج من الإجابة مرعبا قبل ١٩٦٧ثم تغير كليا بل إنه انهار تماما فى السبعينات فقد تطوعت الحكومة بانكار وجود الفلسطينيين حين سُئلت جولدا مائير : ماذا ستعمل حكومتك لرعاية حقوق الفلسطينيين ؟ فأجابت بعجرفة " لا يوجد شئ إسمه شعب فلسطين ".. قيل ذلك على الملأ، ولم يستنكره أحد فى الغرب وكأن إلغاء شعب بالكامل من الوجود أمر مقبول على فرض انه أمر ممكن، وظل ذلك الغرور يتعالى يوما بعد يوم إلى أن هزته على حين غرة حرب أكتوبر ١٩٧٣بتلك الصدمة الهائلة التى كادت تخرج إسرائيل كلها — لا الشعب الفلسطينى — من الوجود فبدا حديث الحكومة الإسرائيلية ذات التوجه العمالى اليسار عندئذ متواضعا نوعا ما، ويميل قليلا للإعتراف بوجود شعب يسمى الشعب الفلسطينى، كان ذلك تيارا وليدا وسرعان ما عصفت آثار وتداعيات حرب أكتوبر بحكومة العمل، وجاءت باليمين الأصولى المتشدد ممثلا

فى تكتل الليكود بزعامة مناحم بيجن الحامل على رأسه التوراة ليحلها محل التيارات الاشتراكية والعلمانية والحداثية، والذى قال فى أول خطبه : " إننا لا نطلب من أحد أن يعترف بنا كشعب أو دولة دينية، فقد نلنا ذلك الاعتراف من رب آبائنا القدامى فى فجر تاريخ حضارات الإنسان. وبهذا بدأ تأسيس إسرائيل كدولة دينية على يد اليمين الدينى الإسرائيلى، وتزامن ذلك مع اتجاه الغرب أيضا نحو اليمين فى بريطانيا بقيادة ماجريت تاتشر، وفى أمريكا رونالد ريجان، وفى كل من هاتين الإدارتين تمت الإستعانة بمفكرين استراتيجيين يهود، وتم تصوير إسرائيل كمنقذ للشرق الأوسط، وشعبها كأبطال وأولياء يحملون وعود الإنجيل للبشرية.

كان الكثير من يهود العالم يحملون شكوكا عميقة فى أمر انتمائهم لأرض إسرائيل، إلا أنهم غدوا يسمعون التصريحات العجيبة للسياسيين اليمينيين البريطانيين والأمريكيين التى يقولون فيها أنهم هم أيضا ينتمون ــ بمعنى من المعانى ــ إلى أرض إسرائيل ومن يومها انعكست الآية فبعد أن كانت إسرائيل تسوّق نفسها على أنها بضاعة غربية، أمسى الغربيون يتحدثون عن أنفسهم ــ على سبيل التفاخر ــ على أنهم إسرائيليون. ثم اعترضت هذا التيار جنادل صلبة أخيرا، فهاهو وزير الدفاع الإسرائيلي يحزم حقائبه على عجل ويغادر فندقه فى إحدى عواصم الغرب لأن خبرا تسرب إليه مفاده أنه على وشك أن يُعتقل ليحاكم هناك كمجرم حرب، وهاهى الحكومة الكندية تلغى تصديقا منحته سابقا يسمح للمواطنين الكنديين بدفع جزء من ضرائبهم لإسرائيل تستخدم فى الأغراض الخيرية، وهاهى كبرى صحف أمريكا نيويورك تايمز تنشر أحيانا أخبار المجازر الإسرائيلية التى تُرتَكب فى حق الفلسطينيين مثلما تنشر أخبار الهجمات الإرهابية الفلسطينية على الإسرائيليين بنوع من الحياد الموضوعى غير المعهود. وإن أسوأ ما فى الصور على الإطلاق هو هدم بيوت الفلسطينيين وسط نواح النساء.. الأمر الذى دفع بناشطين نبلاء من أنصار حقوق الإنسان فى أمريكا وبريطانيا للسفر إلى إسرائيل لاعتراض بلدوزرات الهدم (التى قتلت إحدى الناشطات ولم تبال).

هكذا بدأ الأمريكيون يستيقظون متأخرين، وهو أمر جيد، أما أنا فقد استيقظت بوقت مبكر نسبيا، على الرغم من أن جرعة التخدير ــ التى أخذتها ــ كانت أكبر مما يعطى للأمريكى العادى، فمنذ صباي الباكر دفع بى أهلى إلى

كنيسة بنيويورك وهناك سمعت عشرات الدروس من تاريخ اليهود وأنبيائهم وصراعاتهم مع أعدائهم من الطغاة الذين حاولوا ذبحهم واستئصالهم، ودائما تنتهى القصة كالتالي :

"وأخيرا ظهر الرب وأطاح بأعدائنا وبدد شملهم "، وتستمر هذه، ونحن سعداء بانتصار آبائنا.. ولكن فى الأسبوع المقبل نرى اليهود وقد حلَّ بهم كرب جديد... وعبرة هذه القصص تأتى فى أعياد اليهود التى يقولون فيها قبل الأكل : "لقد حاولوا ذبحنا فى كل مرة عبر التاريخ ولكن لم ينجحوا أبدا، فهيا نأكل إذن"(!)

يقول سمعت كل القصص من البدايات المبكرة وحتى رجال من أمثال بن جوريون، وايزمان،إيجال آلون،أبا إيبان.. ووقفت طويلا عند كل لحظة إنقاذ لا سيما إنقاذ اليهود من بطش هتلر وهى قصة معاصرة، قال راويهم : "إن الرب تجلى حينها فى صورة **سلاح الطيران الأمريكي الذى أنهى الحرب العالمية الثانية ومعاناة اليهود وفتح الطريق لإنشاء دولة إسرائيل**

وسمعت فى المدرسة كل شئ حسن عن إسرائيل فهى دولة استحقها الشعب الذى لا دولة له وهى ليست كمثل فلسطين التى لم يكن لها أي شعب يستحق أن تكون له أرض (!!)

وقيل إن إسرائيل دولة مَنحتْ الصحراءَ الحياة.. وجرى استغلال ذلك كله لربطنا عاطفيا بإسرائيل وكانوا ينادون : هيا تبرعوا بعشرة سنتات وليزرع كل واحد منكم شجرة فى إسرائيل..

ويعترف بن كرايمر الصحفي اليهودى الأمريكي قائلا : "إن الكثيرين داخل أمريكا بدأوا يتململون ويتحررون من دعايات وأناشيد إسرائيل المضللة، ومن خلال عملى كصحفي بدأت أدرك تلك الحقيقة جيدا، إن الحكومات الأمريكية لا تزال على **ولائها الأعمى** لإسرائيل.

رأي من الداخل :

كـُلف بن كرايمر كصحفي بالسفر إلي إسرائيل لتغطية تطورات الشرق الأوسط فماذا رأى، يقول : "إن تراكم الأحداث سبب لى حيرة عميقة فكل شئ مقلوب رأسا علي عقب، ولم أجد مما قيل لى إلا القليل، ووجدت الأشجار التى كنا ندفع فى المدرسة ونحن صغار ثمن غرسها،وقام دليلي الإسرائيلي بغشّى (غشنى) وسلـَبَ مني بمكره مائة دولار، وحاول أن يغسل مخى بقول مأثور :

إن العرب الأخيار هم الذين ماتوا أما الأحياء منهم فلا خير فيهم.

ثم التقيت بالعرب ـــ الأحياء منهم ـــ ولدهشتي البالغة اكتشفت أنهم أخيار وأصحاب بشاشة وكرماء وعقلانيون من طراز رفيع، ومضطهَدون، وما هو أعجب أنهم موجودون...هناك في الأرض التى تحتلها إسرائيل وليسوا موجودين وحدهم إنما آباؤهم وتراث أجدادهم الذين عاشوا منذ قرون، واسترجعت الشعار المحفوظ : أرض بلا شعب.. فقضيت عليه بالحقيقة الماثلة إننى أرى شعبا هنا أمامي، العرب كانوا موجودين يوم أطلق ذلك الشعار فى ١٩٤٨ ويومها لم يكن هناك شعب من اليهود فى هذه الأرض. ومن الداخل بدأت أرسل تحقيقاتى لصحيفتى التى بادرت بنشرها فاستقبلت بذلك شتى أنواع الاحتجاج الصارخ من تجمعات اليهود التى بذلت جهدا فى إخراجى من مهنة الصحافة وأمطروا الصحيفة بالمكالمات الغاضبة احتجاجا على أنى مراسل فى القدس.. ما نوع هذا الكائن عربي الميول الذى يرسل بتقاريره إليكم أهو يهودى أم عربى.. ألم تجدوا أفضل من هذا اليهودى الذى يكره قومه..فتصمد صحيفتى ولا تحيطنى علما بذلك .

ويقول : "كان لى أصدقاء من الفلسطينيين ما يوازى أصدقانى من اليهود ومحادثاتهم ثرية ممتعة وأكلهم ممتع وهم كرماء، أما اليهود فقد تبين لى أن إحساسهم الدائم أنهم : " **خارج التيار العام لبنى الإنسان، وهذا النوع من الإحساس لم يتملكني قط.** "

لقد بدأ العنف الفلسطيني ضد إسرائيل حين تجاهلت جميع القوانين والمواثيق الدولية، وشرعت فى إنشاء المستوطنات على أرض فلسطين.

وهناك أكثر من دليل على براعة الإعلام الإسرائيلى فى تشويه الحقائق وتبرير الجرائم ووضع الرأى العام العالمى فى صورة مغايرة تماما لما يجرى على الأرض بحيث يُظهِر الفلسطينيين جناة مقصرين، بينما الإسرائيليون مسالمين ومُعتدَى عليهم.وإن الحيلة التى لم يتعلمها أهلُ فلسطين من اليهود هى كيف يتحركون ليمتلكوا زمام المبادرة ولو جزئيا للحديث عن أنفسهم، وشرح مشكلتهم منطقيا للعالم وقيام إسرائيل بقفل مناطقهم وتسييجها وهو ما يمثل مشكلة لا يمكن أن يتسامح العالم فيها لو علم بها. وكيف له أن يعلم والفلسطينيون لا يتحدثون عنها.

الجدار العازل :

يقول مراسلنا : "حتي أنا لو بقيت أقرأ الصحف وآخذ منها خبر ذلك الجدار العازل لما عرفت الأمر على حقيقته وصدقت أقاويل جهاز الدعاية الإسرائيلية أن الغرض منه عزل الأشرار القتلة وحماية المدنيين المسالمين. لكنه فى رأيى جدار عقابى عدوانى فاسد أمطر شروره على الجميع، وهو لا يعزل الفلسطينيين عن الإسرائيليين فحسب إنما عن العالم أجمع. وفى الضفة يُبنى السور الفاصل وهو حائط صخري يعلو بارتفاع عشرين قدما ومسور بأسلاك أمنية من الجانبين ومحروس بنقاط للمراقبة تمتد لمائتى ميل تقريبا ويشطر فلسطين إلى شطرين غير متساويين من الشمال إلى الجنوب، فلأهل فلسطين ٢٢% من أرضهم التى احتلت بعد ١٩٤٨، وهو يجنح إلى القرى الفلسطينية وأراضى حوالى سبع عشرة قرية مقتطعا بعض أراضيها وجعلها منطقة عازلة.

يقول بن كريمر فى كتابه : إن إسرائيل لم تكن جادة فى الذهاب إلى حل سلمى فى كامب ديفيد عام ٢٠٠٠، فلم تكن مخلصة فى تعاملها مع ياسر عرفات منذ البدء وهذا ما يفند دعايات الصهيونيين في أمريكا، وهم يقولون إن إسرائيل قدمت كل شئ لياسر عرفات، إلا أنه أبَى، لقد أعطاه إيهود باراك ٩٧% من الأرض ولكنه رفض ذلك العرض وفضـل أن يقاتل في سبيل ٣% الباقية. طلب الإسرائيليون أن يحتفظوا بـ٦% من أراضى الضفة الغربية التى تضم أضخم ثلاث مستوطنات إسرائيلية والطرق الممهدة التى تؤدي إليها، فبدت الدولة الفلسطينية عبارة عن ثلاثة كانتونات معزولة عن بعضها، ويحد كل منها سور إسرائيلي مدجج بالجند ولا يكاد سكانها يبرحونها حتي تتخطفهم نقاط التفتيش، إضافة إلى احتفاظ إسرائيل بثلاث قواعد عسكرية على نهر الأردن، والسيطرة الكاملة على الأجواء الفلسطينية، وعلي المياه الجوفية وعلي السواحل..

وإزاء كل ذلك لم يكن مستغربا أن ينفض أبو عمّار يده من مقترح الصلح، لقد أنصفه المؤرخ الإسرائيلى "توم سيجيف". إن الحقيقة لا تكمن فى أن أبا عمار لم يكن شريكا مخلصا فى تحقيق السلام، كما يقولون عنه، وإنما فى الطريقة الخاطئة التى كانوا يعاملونه بها فى مفاوضات السلام، لقد كان طريق السلام خاطئا من البداية بل من الفكرة الأولى.. قال الإسرائيليون : " حسنا سنعطى للفلسطينيين دولة، ولكنها الدولة التى نصممها نحن لهم، لا التى يشتهونها وبقدر ما نريد لا بقدر ما يريدون، ومَن هُمْ حتي يفرضوا إرادتهم علينا ؟ فهل هذا منطق صحيح ؟.. الفلسطينيون قومٌ لهم قطـر من قديم الزمان وهذه

مسألة حسمها القانون الدولى، وصادقت عليه مرات عديدة الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن بما فيه عضوه الأكبر أمريكا، ثم إن هناك حقيقة أخرى يضحك المرء حين يرانا نجهد أنفسنا فى تقريرها وهي أنهم بشر مثل سائر البشر، وينبغي أن يكون لهم مكان يعيشون فيه أحرارا على سطح الأرض وهذه الحقيقة توافق عليها كل دول العالم إلا إسرائيل، وعندما تثار هذه الحقيقة على الملأ من بنى إسرائيل فإنهم سيجيبون : لقد تحدثنا إلي هؤلاء الفلسطينيين كثيرا ولكن فى غير طائل أو جدوى، فإنهم ليسوا بشرا كالبشر، وإلا فهموا منا وقبلوا ما نملى عليهم من شروط.. هكذا قالها إيهود باراك عندما فشل فى فرض شروطه علي الفلسطينيين فى كامب ديفيد ٢٠٠٠م وقال معللا : إنهم نتاج ثقافة مختلفة أساسها الغش والخداع، وقد سمعنا من قبل لمناحم بيجن غرورا أشد من باراك فى تعبيره : إنهم وحوش تمشى على قدمين وأن عرفات وحش، أيضا قال رافائيل إيتان رئيس الأركان فى عهد الرئيس الأمريكي ريجان: إن حل المشكلة الفلسطينية يكمن فى إقامة مزيد من المستوطنات الإسرائيلية **وسحق الفلسطينيين كما تسحق الصراصير**، أيضا قال شامير : **إن الفلسطينيين وباء كالطاعون وأقسم أمام المستوطنين ليسحقن الفلسطينيين كما تـُسحق أسراب الجراد..** (فأى سلام هذا)، ولو كان الإسرائيليون جادين فى السلام لأعطوا لأهل فلسطين كل أراضى الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية كدفعة أولى تشكل ضمانا لتحقيق السلام ثم البحث بعد ذلك عن تفاصيل أخرى مثل المياه والحدود ونقاط التفتيش.. الخ، هذا الاقتراح العادل يُصعَق السياسيون الإسرائيليون من سماعه، ومن يجيبك لابد أن يرد قائلا وماذا يعطينا الفلسطينيون فى المقابل ؟، وهو سؤال إنكاري يبطنه الافتراض بأنهم ليس لديهم شئ أصلا فيتنازلوا عنه وهذا قول باطل فقد تنازلوا عن ٧٨% من أرضهم لإسرائيل وأخرجوا منها، وتنازلوا عن منازلهم القديمة التي طـُردوا منها، وغير ذلك مما ملكوا قبل النكبة عام١٩٤٨.

إن قناعة الجنرالات العميقة هي أنه إذا حل السلام فلا أحد يحتاج إليهم في إسرائيل ولذلك فهم يحاربون كل احتمالات السلام.

ويستأنف بن كرايمر حديثه : "كل ما حكيته حتى الآن أتمنى أن يكون خطأ فى خطأ، ولكن لا أستطيع ــ مع الأسف ــ أن أقول إنه كذلك، قد تكون هناك أخطاء فى التفاصيل ولكن الرؤية العامة هى من وجهة نظرى صواب إلى

أقصى حد.. فى عام ١٩٨٢ كنت فى بيروت وشهدت الهجوم الإسرائيلى الوحشى عليها كنت أمنى نفسى بخاتمة حسنة لتلك الجرائم وهى نهاية شارون للأبد لكن عندما عدت لإسرائيل شهدت انتخابه رئيسا للوزراء.. ثم إعادة انتخابه مرة ثانية.

أما الجانب الفلسطينى فإن التوقعات بشأن سلام أسوأ، فماذا جنى أهل فلسطين فى السنوات الأخيرة.. إن الإحتلال لا زال يلقى عليهم بوطأته الشديدة، وقادتهم بعيدون عما يؤهلها لعقد أى اتفاق ثابت مع إسرائيل، حتى اتفاق جنيف الذى لاقى استحسان الطرفين سرعان ما اختفي بسبب تلك العوائق العديدة التى ذكرتها والتى لا زالت ماثلة، وهى قادرة على أن تجهض أى بادرة سلام. لكن تشاؤمى المؤسس هذا يمكن اجتياحه بالتأكيد، ودعنا نمنى الأنفس بظهور جنرال ذكى شجاع فى إسرائيل يتحمس لدوافع غير مألوفة للسلام ويشتريه من العرب بثمن بخس هو الثمن المعروض الآن، وربما يظهر رئيس أمريكى ذو إرادة قوية يستخدم بها سلطته الواسعة الاستخدام الصحيح لا لاستمالة الناخبين. ولا لاستدرار الأموال، أو اجتذاب أصدقاء جدد فى إسرائيل، أو فى تجمعات اليمين الدينى الأمريكى... وإنما الضغط على إسرائيل فى سبيل توقيع السلام.

ويقول الأستاذ مرسي عطاالله :" هذا رجل أمريكى الجنسية، يهودى الديانة وخلاصة كتابه أنّ حل اللغز المحيّر فى علاقة أمريكا بإسرائيل يرتهن بمقدم جنرال إسرائيلى ذكى وشجاع.. وظهور رئيس أمريكي يملك إرادة قوية.. فهل يكون باراك أوباما رجل الإرادة القوية فى أمريكا الذى تنبأ بن كريمر بمجيئه قبل سنوات لكى يصنع المعجزة.. وهل يمكن ظهور جنرال جديد يكرر شجاعة اسحق رابين التى دفع حياته ثمنا لها. سؤال ما زلنا ننتظر أن تجيب عنه الأيام والأحداث المقبلة التي أمسكت واشنطن بزمامها ؟.

عتاب إلى صديقى السفير الإسرائيلي : (٢/٢٥٣)

مؤخرا وقد بدأ بعض مفكرى العالم يدركون حقيقة ما يجرى داخل فلسطين من ممارسات هذه العصابة ما يتوارى له العالم المتحضر خجلا، وهذا "كتاب جديد" آخر للفيلسوف الفرنسى " **ريجيس دوبريه** " الذى يوجه انتقاده إلى الدولة الإسرائيلية حيال ما تقوم به، وموقفها المتشدد الرافض من عملية السلام ــ صدر قبل شهور فى فرنسا ــ وتلاشيا لدخوله دائرة الاتهام مثل الفيلسوف رجاء جارودى (روجيه جارود) فقد تخفف من أسلوبه فوضعه فى صيغة : عتاب

يحذره من ممارسات بلاده ضد الحق الفلسطيني، يقول نصا :

" من أجل أن أكون متسقا مع نفسي ومع ما رأيته هناك (حضر إلى فلسطين مكلفا من قبل رئيس فرنسا السابق جاك شيراك لبحث امكانية فكرة التعايش الدينى) إن إسرائيل هى التي تتحمل المسؤلية كاملة لتوقف عملية السلام، وهذه رغبتها فى استمرار الوضع الحالي، وانتقد الساسة الإسرائيليين ووصفهم بأنهم أصيبوا بالتوحد (التخلف العقلي) لأنهم لا يريدون أن يعرفوا ما يحدث خلف الجدار العازل الذى أقاموه بينهم وبين الفلسطينيين إنه بمثابة العصابة التى تغطى العيون لأنها تمنح الأمن الجسدى والنفسى فيفصل الجدار المزارعين عن أرضهم والتلاميذ عن مدارسهم والمرضى عن المستشفيات والأيتام عن الملاجئ وهو يفصل أيضا أنظاركم عن كل هذا، وذلك يعطيكم الإحساس بالراحة.. إن الدولة القلعة التى نشأت وتعيش تحت حماية الجيش تعنى شيئا واحدا وهو أنها ضعيفة.. فرغم أن إسرائيل أصبحت قوة الردع الأولى فى المنطقة وساحة اختبار للتكنولوجيا المتقدمة للقوة المفرطة يدعمها ستار من الصواريخ المضادة للصواريخ على أحدث طراز إلا أنه يعكس إحساسها بالضعف خاصة أمام الهجمات الانتحارية (الاستشهادية) وأمام الصواريخ البدائية " ويقول : " يصاب المرء بالإنفصام عندما يمر بشرق بيروت ليرى ما تبقى من مخيمى صبرا وشاتيلا، أو بجنوب لبنان ليرى عشرات الأطفال الذين بُترتْ أطرافهم بسبب القنابل العنقودية التى مازالت مدفونة فى الأرض، أو بحجرات التعذيب في خيام حيث كان يعمل أتباعكم، أو بقنيطرة عند سفح الجولان بعد أن دمرت، أو المخيمات الأردنية، وعندما نصل إلى تل أبيب نشعر وكأننا أصبنا بانفصام، ففى تل أبيب يعيش المواطنون فى أمان يتناقشون فى المقاهي عن كيفية إنقاذ طفل الجيتو فى وارسو ببولندا " الطفل اليهودي الذي عاش تحت الاحتلال النازى قبل أكثر من ستين عاما ".

ويقول دوبريه : " فى الوقت الذى كانت قوات إسرائيل تقصف غزة بأسلحتها البحرية والجوية والمدفعية وتحولها إلى ساحة من الدمار، يطل السفير الإسرائيلى فى فرنسا من شاشات التليفزيون لينعى حجم الخسارة التي تتكبدها إسرائيل من قصف صواريخ قسام والرعب الذى أصاب أطفال إسرائيل وهم يهرعون إلى المخابئ "، ولكن الاحصائيات تؤكد أنه خلال عشر سنوات وبالتحديد من عام ٢٠٠٠م قتلت صواريخ قسام ١٣ شخصا فى إسرائيل منهم

اثنان عرب وواحد من تايلند، بينما قتلت الطائرات الإسرائيلية خلال فترة الهدنة من عام ٢٠٠٨من يونية حتى ديسمبر خلال غارتين استمرت كل منهما ثلاث دقائق فقط ١٦ مواطنا من غزة (ولم يذكر المصابين والجرحي وما يترتب على هؤلاء من عاهات تلازمهم باقى حياتهم). ومع اندلاع الحرب فى غزة فى ٢٠٠٩ م وفى مواجهة بين الجيش النظامى والقوات غير النظامية قـُتِل ١٤٥٠ فلسطينيا منهم ٤١٠ طفلا و١٠٤ امرأة (ولم يذكر الجرحى والمصابين أيضا) مقابل ١٣ إسرائيليا (ولم يذكر البيوت التى هدمت جراء القصف) انتهى كلام دوبريه، ولم ينته تحدى إسرائيل لكل شئ؛ لا منظمات عالمية ولا مفكرين ولا رأى عام عالمى.. إنه التحدي السافر. فما الذى منع الرئيس الحالى لأمريكا "أوباما" من إيقاف التحدى الإسرائيلى له ؟! مع أن عدم **حل** هذه المشكلة يضر بالأمن القومي لبلاده.

الطريق إلى الحل

يقول الأستاذ عاطف الغمري : (٢٥٤) " لقد سبقه ثلاثة رؤساء اتخذوا إجراءات بمعاقبة إسرائيل أرغمتها على التخلى عن تعنتها والرضوخ لما يُطلب منها وهم : أيزنهاور (١٩٥٧) وجيرالد فورد (١٩٧٥) وبوش الأب (١٩٩١) وقراره بمعاقبة إسرائيل بإيقاف منحها قرضا قيمته عشرة مليارات من الدولارات ردا على رفض اسحق شامير الإلتزام بما تعهد به فى مؤتمر مدريد بالتوقف عن النشاط الإستيطانى، وثلاثة رؤساء آخرون مارسوا عليها ضغطا لم يصل إلى مرحلة فرض العقوبات وهم : كيندى الذى أوفد مفتشين للتفتيش على أبحاثها النووية، معلنا رفضا قاطعا لبرنامجها للتسليح النووى. وكارتر يوم ذهب لمؤتمر المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى، موضحا ضرورة إيجاد حل للنزاع العربى الإسرائيلى لمصلحة أمريكا وإسرائيل. وكلينتون الذى تقطعت أنفاسه فى منتصف الطريق.

والموقف الحرج الذي يمر به "أوباما" الآن سببه أنه لم يصل إلى المدى الذى وصل إليه رؤساء سبقوه أوضحوا لشعبهم أنهم يرفضون تحدى إسرائيل لهم واتخذوا قرارات بمعاقبتها دفاعا عن المصالح الحيوية لأمريكا، لكن والحالة هذه مع أوباما فإنه يخضع لطبيعة النظام السياسى الأمريكى وآليات عمله، والظروف التى تحيط بـــ"أوباما" نفسه وتؤثر على قراراته :

١ ــ قرار السياسة الخارجية بأمريكا تحكمه قاعدة الضغوط، والتصريح لقوى الضغط بأن تلعب الدور الذي تستطيعه للتأثير على النتيجة النهائية.
٢ – أوباما ومؤيدوه يعرفون أن وصوله إلى البيت الأبيض جاء كحدث استثنائي ليس فقط لكونه أول رئيس أسود بل لأنه لا تنطبق عليه المواصفات الراسخة والمعمول بها لمن يكون رئيسا.. فإن الحزب الديموقراطي مثلا لديه ٨٠٠ صوتا لمن يسمونه كبار المندوبين الذين يرجّحون في النهاية كفة من تنطبق عليه المواصفات، أما في حالة "أوباما" فقد جاء محمولا على حركة مجتمعية عامة وهي المنافس الحقيقي لأى مرشح آخر.

وهذا الاختيار الاستثنائي يظل معلقا أمام "عيني "أوباما" في تطلعه لفترة رئاسية ثانية يضاف إلى هذا الضغوط العديدة التي أظهرتها استطلاعات الرأى وتبيّن تحوّل في مواقف قطاع من الذين ناصروه في الانتخابات. وداخل الخريطة السياسية الراهنة يتضح عنصر آخر هو أن حركة "التغيير" المجتمعية وهي القاعدة التي أوصلته لسدة الحكم فقدت فرصة تحولها إلى حركة منظمة تتمتع باستمرارية في تأكيد توجهاتها، و"أوباما" نفسه يتحمل جزءا مهما من مسئولية عدم حدوث هذا التحول حيث جرفته تلال المشكلات المستعصية من أفغانستان والعراق وإيران والأزمة الاقتصادية وتصاعد البطالة.. إن أوباما الرئيس لأمريكا وهو وحده بيده جذب كل الخيوط ناحيته وعليه أن يثبت أنه رئيس تاريخي وليس حالة استثنائية في التاريخ الأمريكي، والبداية أن يكون الفعل لديه على قدر القول، بدءا من ردع التحدى الإسرائيلي السافر له ولمصلحة الأمن القومي لبلاده.. (وأضيف إلى رأي الكاتب ما ذكره الرئيس السادات : " إن ٩٩% من حل القضية في يد أمريكا ").

أيضا يذكرعاطف الغمرى ما قيل له في أمريكا في إحدى سفرياته : " لا يوجد في السياسة ما يحفز على مساعدة من لا يساعدون أنفسهم "، ولديهم تقليد في رسم السياسة الخارجية فكلما جاء رئيس جديد إلى البيت الأبيض، فهو يوازن بين تأثير القوي النشطة والضاغطة على قراره السياسى، وعادة ما يجد كل رئيس ضمن الجانب الخاص بالعرب حالة تسمى بـ" **السكون العربى** " فإذا كان الرئيس صاحب القرار الأول وواضع استراتيجيته لكنه لا ينفرد بصورة مطلقة بتوجيه السياسة الخارجية، فهناك سبع قوى تشارك في وضع قرار السياسة الخارجية وفي مقدمتها قوى الضغط المعترف لها بالوجود والنشاط

والتأثير، حتى لو كان ذلك لحساب دولة أجنبية، كما هو الحال مع إسرائيل، فالقوة اليهودية مؤثرة لأنها منفردة بالساحة الأمريكية المفتوحة أبوابها لمن يريد أن يدخل ويشارك ويؤثر.

أيضا فإن أوباما منذ مجيئه إلى مصر وخطابه الأشهر بجامعة القاهرة راح يتحدث عن **"الشريك" الذى ينتظر منه أن يتحرك ليسانده فى حل المشاكل والأزمات**، وتكرر إعلان هذا المعنى فى مختلف خطبه، ومنها خطابه فى افتتاح الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٠٠٩م، ثم صدر عن مركز التقدم الأمريكى والذي يوصف بأكثر مراكز الفكر السياسى قربا من أوباما ـ أن **مفهوم الشريك هو المبدأ المحورى والأساسى لسياسة أوباما الخارجية. والشريك هو القادر على الحركة والضغط والتأثير**، والذي يدير قواه وإمكاناته وفق استراتيجية متكاملة الأبعاد تعبر عن مصالح أمنه القومى، وتكسبه القدرة على لعب دور إقليمي يتجاوز حدود بلده، إن أمريكا لم تعد تستطيع وحدها التصدى للتحديات لأمنها القومى، أو أن تحل منفردة المشاكل والأزمات الدولية والإقليمية، لكنها تحتاج **شركاء يتعاونون معها. والشريك هو الذي تضع أمريكا وجهة نظره ومصالحه فى حساباتها**، فالعلاقة تبادلية، فهل أقدمت الدول العربية على المبادرة بتكليف كوادر خبراتهـا وعلمائها وأهل المعرفة بالبدء فى بلورة استراتيجية أمن قومى للعرب وحشد إمكانات التأثير لديها. إن أوباما يدير سياسته الخارجية وفق متطلبات الأمن القومى لبلاده أولا وأخيرا، ويلتزم فى الوقت ذاته بقواعد عمل نظام سياسي يعترف بالضغوط فهذه طبائع السياسة عندهم.

لقد وضحت الصورة الآن ولم يبق لنا إلا المشاركة.. فهل من مشارك مستعد..؟ ؟

****

الفصل الخامس
بيت المقدس وفلسطين

"ليست القدس مدينة فى وطن هو فلسطين، ولكن فلسطين وطن فى مدينة هى القدس" المستشار طارق البشرى

المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين (٢٥٥)

مكانة بيت المقدس فى الاسلام : يقول الله تعالي : سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله (أول سورة الاسراء)

وقد أسريَ بالرسول صلي الله عليه وسلم وعُرج به إلي السماء قبل الهجرة النبوية بعام وبضعة أشهر سنة ٦٢١م ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم : "لاتُشـَد الرحال إلا لثلاث مساجد : المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الاقصى. (متفق عليه) (*)

ويقول أيضا : فـُضلتْ الصلاة فى المسجد الحرام على غيرها بمائة الف صلاة، وفى مسجدى هذا بألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس بخمسائة صلاة ". (رواه الامام أحمد) (**)

ويقول أبوذر الغفارى : قلت يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا - قال المسجد الحرام ٠٠ قلت ثم أى ؟ قال المسجد الأقصي قلت كم كان بينهما؟ قال أربعين سنة (متفق عليه) (***)

ويقول أبو أمامه الباهلى : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين عن الحق لعدوهم قاهرين، لا يغرهم من خالفهم حتي يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك قالوا يا رسول الله وأين هم ؟ قال : " ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس (رواه الامام احمد في مسنده) (*) إذن فالمسجد الأقصى كما نرى من النصوص الإسلامية :

- مسري الرسول ومنطلق عروجه
- وهو أولي القبلتين
- وثالث المساجد التى تـُشَد إليها الرحال
- وثاني مسجدين وضعا فى الأرض.
- وهو منزل مبارك تتضاعف فيه الحسنات وتـُغفر فيه الذنوب ٠

مقتطفات عن القدس : (٢٥٥/ ١)

لما دخل بنو إسرائيل بعض المدن الكنعانية كانت هناك قبيلة كريتية (نسبة الي جزيرة كريت فى البحر المتوسط) أو (الإيجيين) نسبة إلى بحر إيجه، وتُسَمّىَ أهلـُها بالفلسطينيين جاءوا وسيطروا على الجزء الجنوبى من أرض كنعان وأسسوا مدنا مشهورة مثل غزة وعسقلان وأسدود وعاقر وغيرها، ومنذ ذلك الزمان ظهر اسم فلسطين فى المنطقة نسبة إلى هذه الجماعة، وكثيرا ما دارت حروب بينهم وبين هؤلاء وانتصروا عليهم فى أكثر من موقعة كما أسلفنا، ومن هنا نلاحظ ان الغزو العبرانى لأرض كنعان لم يتمكن من السيطرة على أرض كنعان • وفى هذا المجال يقول المؤرخ هـ •ج ويلز : (مهما يكن من أمر فان العبرانيين لم يفتحوا إلا منطقة التلول الداخلية فى أرض الميعاد بدون زيادة، فان الساحل حين ذاك لم يكن فى أيدى الكنعانيين، بل كان فى أيدى قوم وافدين هم الشعوب "الإيجيه" نسبة إلى بحر إيجه يسمون الفلسطينيين، وظل أسباط أبراهام " إبراهيم" أجيالا عديدة شعبا مغمورا يعيش فى منطقة التلال الخلفية مشغولا بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطينيين والقبائل النازلة حولهم مثل الموآبيين وأهل مديَن ومَن إليهم •

وقد بلغ مُلك سليمان مجدا حدثنا عنه القرآن الكريم ثم تولى بعده ابنه رحبعام فضعفت الدولة حيث استولي " شيشنق" ــ أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين المصرية – على أورشليم ونهب معظم ما بها من كنوز .وقد تجزأت مملكة اليهود إلى قسمين، ثم ضعفت ثم بادت على يد بُخت نصّر• وفى هذا السياق يقول ويلز : " ويصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقى الرحى تعركهما على التوالى سوريا ثم بابل فى الشمال، ومصر من الجنوب، وهى قصة نكبات وتحررات لا تعود عليهم إلا بإرجاء النكبة القاضية ــ وهذه المعاني تصورها الآيات القرآنية الواردة فى أول سورة الإسراء (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب..)

الجذور العربية فى بيت المقدس قبل الإسلام :

اليبوسيون هم أول من بنى هذه المدينة فى حدود عام ٣٠٠٠ق•م وكان إسمها " يبوس" وقد تسموا بهذا الإسم نسبة إلى أبيهم يبوس وهم فرع من الكنعانيين العرب سكنوا فلسطين منذ الألف الرابع قبل الميلاد • والكنعانيون العرب من العمالقة سكان الجزيرة العربية الذين هاجروا منها إلى البلاد الخصبة

تحت وطأة الجوع والقحط .

مدينة "يبوس" اتخذت إسما جديدا هو " يوروسالم أو يورو شالم " يعنى مدينة الإله سالم أو شالم إله السلام عند اليبوسيين . وكان ملكي صادق مَلِك اليبوسيين هو أول من أطلق على المدينة هذا الاسم. ويتضح أن الإسم الذى يستعمله اليهود اليوم "أورشليم" هو تحريف لإسم المدينة الكنعانى القديم الذى ورد فى نقش فرعونى قديم يعود تاريخه إلى القرن التاسع قبل الميلاد، أيضا ورد هذا الاسم فى لوحة من ألواح تل " العمارنة " محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. حتى جاء الإسلام فغلب على المدينة " بيت المقدس " أو "البيت المُقدّس" لتكون المدينة الإسلامية مُطهّرة لله تعالي .

وظلت النقمة تتوالى على العبرانيين من قــبَل كل الغزاه الذين غزوا مدينة القدس فضربهم الرومان وأحرقوا هيكلهم فى أورشليم فى عهد الإمبراطور تيتوس عام٨٠م ثم ضربوهم ثانية فى عهد الإمبراطور أدريانوس عام ١٣٥م الذى أمر بمحو مدينة أورشليم محوا تاما وحرث أرضها، وبنى علي أنقاضها مدينة جديدة باسم جديد هو : " إيليا كابيتولينا" أو إيليا العظمى. وظل الرومان يحتلون المدينة حتى عام ٦٣٦م " ١٥هــ" حين فتحت المدينة أبوابها للمسلمين ودخل الخليفة عمر بن الخطاب مدينة إيليا موقــّعا مع أهلها عهدته المشهورة بالعهدة العمرية وبعد الفتح الإسلامى عم السلام وعاش المسلمون والنصارى واليهود فى أمن وطمأنينة.

فتح بيت المقدس..والعهدة العمرية (٢٥٥/أ)

لمّا فرغ أبو عبيدة من فتح دمشق كتب إلي أهل إيليا يدعوهم إلي الإسلام أو يبذلون الجزية، وحاصرهم فاشترطوا مقــْدِمَ أمير المؤمنين، فحضر وصلى بالمسجد الأقصى ركعتين، وكتب لأهل إيليا :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملــّتها، أنها لا تــُسكن كنائسهم، ولا تــُهدم، ولا يــُنتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شئ من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضام أحدُهم ولا يَسكن بإيليا معهم أحدٌ من اليهود، وعلى أهل إيليا أن يعطوا الجزية

كما يعطِي أهلُ المدائن. وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمَن خرج منهم فإنه آمنٌ على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام معهم فهو آمن وعليه ما على أهل إيليا من الجزية ومَن أحب مِن أهل إيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بـيَعهم فإنهم آمنون على أنفسِهم وعلى بـيَعهم حتي يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض فمَن شاء منهم قعد وعليه ما على أهل إيليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله، وإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يُحصد حصادُهم. وعلى ما في هذا الكتاب عاهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية. وشهد علي ذلك : خالد بن الوليد، عمروبن العاص عبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان " وكتب وحضر سنة خمس عشرة هـ ".



صورة من وثيقة الأمان التي منحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه

القدس.. مفاهيم يجب إيضاحها : (١/٢٥٥)

قال تعالي : سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.

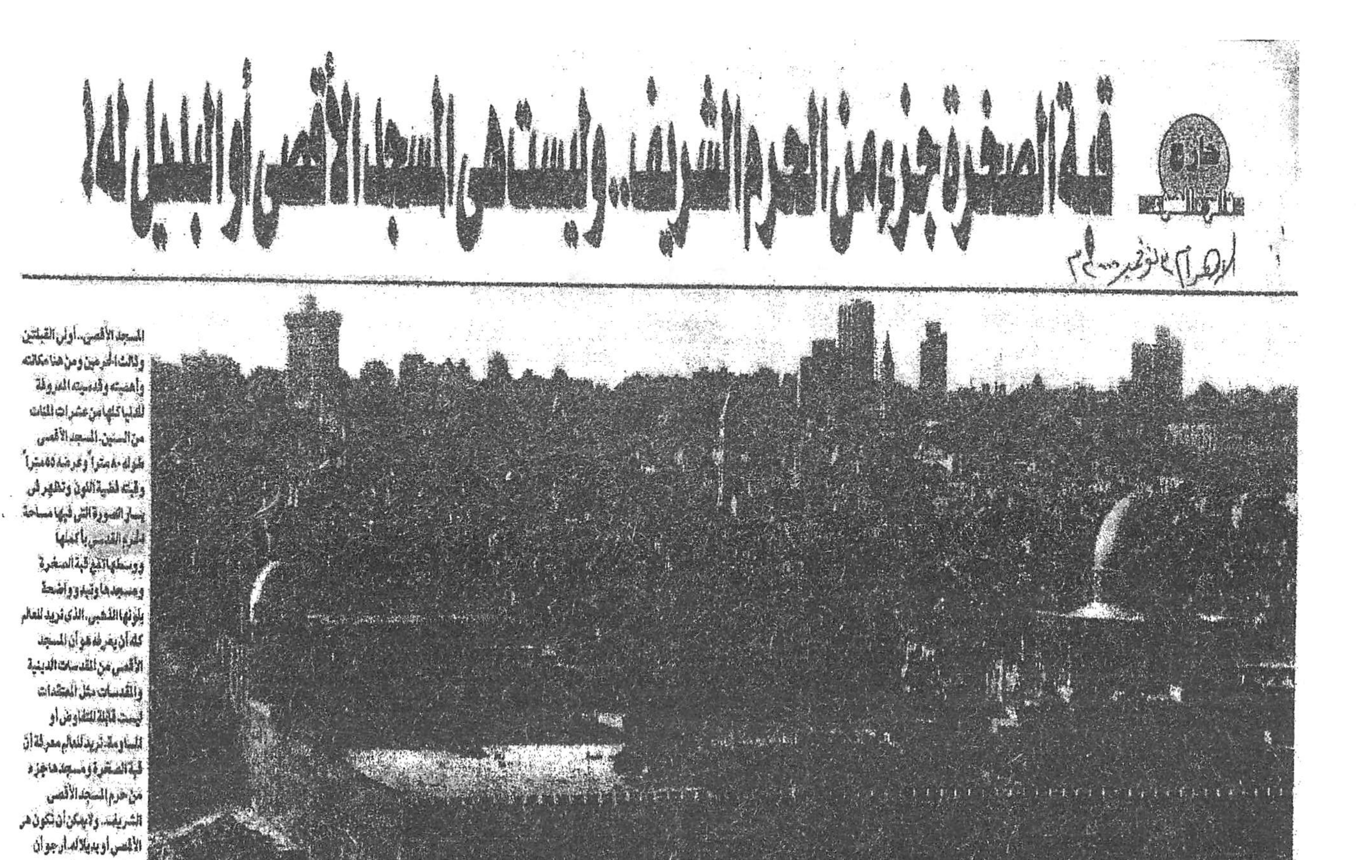
وقال المفكر الكبير المستشار طارق البشرى : " ليست القدس مدينة فى وطن هو فلسطين، ولكن فلسطين وطن فى مدينة هى القدس ".

اهتم بالقدس الأمويون (٦٦١ ــ ٧٥٠ م) والعباسيون (٧٥٠ ــ ٨٧٨م).

وكانت القدس قبل الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة١٩١٧م مدينة واحدة يحدها سور السلطان العثماني سليمان القانوني فى منتصف القرن العاشر الهجرى، إضافة إلى مجموعة أحياء أقامها العثمانيون خارج السور. وأثناء الاحتلال توسع المندوبون الساميون البريطانيون جهة الغرب عدة كيلومترات نظرا لكثافة المستوطنين اليهود وبذلك منعوا قرى أن تدخل ضمن حدود بلدية مدينة القدس مثل : الطور، دير ياسين، سلوان، العيسوية، المالحة، بيت صفافا، شـُعفاط، لـِفتا، وعين كارم. فنتج عن ذلك أن ظهرت القدس كمدن عدة لا مدينة واحدة.

القدس القديمة أو العتيقة : هى الموجودة داخل سور السلطان العثماني سليمان القانونى (سنة ١٥٤٢م) بطول ٤،٢٠كيلومتر وتقوم على أربعة جبال هي: جبل الموريا، جبل صهيون، جبل أكرا، وجبل بزيتا. ويقع الحرم القدسى الشريف فى الجنوب الشرقى من المدينة فوق جبل الموريا

القدس الشرقية :تـُعــَد مدينة القدس بكل ما فيها من آثار تاريخية للمسلمين والمسيحيين والإنسانية كافة، وتضم المساجد والكنائس والأديرة إضافة إلى مدارس وقباب وأسبلة وهى نفسها القدس القديمة مضافا إليها الأحياء التى زادها المسلمون خارج السور، مثل حى الشيخ جرّاح، وحى باب الساهرة، وحى وادى الجوز. وقد ظهر مصطلح (**القدس الشرقية**) مع احتدام الصراع بين المسلمين واليهــــود قبل قيام الكيان الصهيوني حيث تركز العرب فى الشرق بأغلبية كبيرة، فى الوقت الذى تركز اليهود بأغلبية ساحقة فى الغرب، فسُمّيَ القسم الشرقي باسم " القدس الشرقية، وأطلق علي الجانب الغربي اسم :" القدس الغربية " التي نشأت في ظل الانتداب البريطاني علي فلسطين لتستوعب هجرات اليهود المتتالية، وقد اتسعت وضمها البريطانيون إلى حدود بلدية للقدس عام ١٩٤٦ م فصارت المساحة الكلية للقدس أكثر من عشرين ضعفا من القدس العتيقة.



قبة الصخرة جزء من الحرم الشريف.. وليست هي المسجد الأقصى أو البديل له!

الأهرام ٤ نوفمبر ٢٠٠٠م

المسجد الأقصى.. أولى القبلتين وثالث الحرمين ومن هنا مكانته وأهميته وقدسيته المعروفة للدنيا كلها من عشرات المئات من السنين. المسجد الأقصى طوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً وقبته فضية اللون وتظهر في يسار الصورة التي فيها مساحة الحرم القدسي بأكملها ووسطها تقع قبة الصخرة ومسجدها وقبته واضحة بلونها الذهبي. الذي نريد للعالم كله أن يعرفه هو أن المسجد الأقصى من المقدسات الدينية والمقدسات مثل المعتقدات ليست قابلة للتفاوض أو المساومة. نريد للعالم معرفة أن قبة الصخرة ومسجدها جزء من حرم المسجد الأقصى الشريف.. ولا يمكن أن تكون هي الأقصى أو بديلاً له. أرجو أن يعرف العالم ذلك، كي ينصح إسرائيل بألا تفتح على نفسها بوابات جهنم!

القدس الموحدة : مصطلع يستعمله اليهود دلالة على القدسين معا (الشرقية والغربية) لأن المدينة انقسمت عقب حرب ١٩٤٨م فسيطر الصهاينة على الجانب الغربى، واحتفظ الجيش الأردني بالجانب الشرقي، وحين سيطر اليهود على الجانب الشرقى يوم ٧ يونية ١٩٦٧م وحّدوا المدينة، وأصروا علي التعبير : " القدس الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل ".

القدس الكبري هي القدس الموسعة، ويحاول الصهاينة بها صنع هوية تمحى معها هويتها الإسلامية، فتبدو الأغلبية اليهودية من السكان كاسحة، وتصغر المساحة التى يسيطر عليها العرب، ومشروع القدس الكبري يستهدف تطويق الأحياء العربية بالمدينة القديمة، وفصلها عن الأحياء العربية القائمة خارج السور، لإجبار العرب علي معيشة صعبة تذوب هويتهم معها، أو يضطرون إلى الهجرة منها.

آثار القدس : تـُعـَد مدينة القدس بكل ما فيها آثارا تاريخية للمسلمين والمسيحيين والإنسانية بأسرها، وتضم إلى جانب المساجد والكنائس والأديرة..مدارس ومنازل وقبابا وأسبلة وأهم آثارها المسجد الأقصى الذى بُنى قبل الميلاد بحوالي ألفي سنة، وهو ثانى مكان للعبادة بعد المسجد الحرام بمكة، وأهم الآثار :

الحرم القدسى : يقع فى الجنوب الشرقى من مدينة القدس العتيقة فوق جبل الموريا، ويحده سور ضخم

طوله الشمالي ٣٢١مترا، والجنوبي ٢٨٣ مترا، والشرقي ٤٧٤ مترا، والغربي ٤٩٠مترا

ويضم فى داخله عدة معالم أشهرها : المسجد الأقصى، مسجد قبة الصخرة، حائط البراق، إلى جانب المصلى المرواني ومسجد عمر بن الخطاب وقباب وأسبلة.

المسجد الأقصى : هو المسجد الذى أسرىَ بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم إليه. وهو أولي القبلتين حيث صلى المسلمون إلى اتجاهه سبعة عشر شهرا وهو الشكل المستطيل في يسار الصورة تتصدره القبة الفضية الشهيرة، أبعاده من الداخل بطول ٨٠ مترا وعرض ٥٥ مترا ويضم سبعة أروقه : رواق أوسط، وثلاثة من جهة الشرق، وثلاثة من جهة الغرب، وترتفع الأروقة على ٥٣ عمودا من الرخام و٤٩ سارية من الحجارة وله أحد عشر بابا وأربعة مآذن

والعديد من القباب والمصاطب التي كانت مخصصة لأهل العلم والمتصوفة والغرباء وأشهر القباب قبة المعراج وقبة النبي.

حفريات إسرائيل تحت الحرم : تقوم بالحفر جماعة أمناء الهيكل تحت المسجد الأقصى ويُعَد ذلك من الأخطار التى تحيط به وبدأت من ١٩٦٧م تحت البيوت والمدارس والمساجد العربية، بحجة البحث عن هيكل سليمان، ثم امتدت عام ١٩٦٨تحت المسجد الأقصى نفسه، فحفرت نفقا عميقا وطويلا وأنشأت بداخله كنيسا يهوديا. وقد لاقي ذلك استنكارا دوليا يدين إسرائيل.

مسجد قبة الصخرة :يقع على يمين الصورة ويتميز بقبـتّه الذهبية، ويقع فى قلب الحرم القدسى ويحده الجدار الشرقي للحرم وتحيط به ثمانى قناطر تسمي الموازين (شكل مثمن) طول الضلع ٢٠،٥٩ مترا وارتفاعة ٩،٥ مترا والدورة العليا بارتفاع ٢،٦٠ مترا. وتذكر المراجع التاريخية عراقته، فقد اتخذ خليل الله إبراهيم عليه السلام عنده معبدا ومذبحا. وأقام عنده نبى الله يعقوب مسجدا بعد أن رأي (في منامه) عمودا من النور ومعراج الملائكة فوقه. ونصَبَ أتباع نبى الله موسى عليه السلام خيمة الاجتماع بعد أن كانوا يحملونها فى ترحالهم وينصبونها مكان إقامتهم. وبَنَىَ نبيّ الله داود محرابه فيها. وشيـّد نبى الله سليمان عندها المعبد العظيم المنسوب إليه. وأخيرا عـُرج برسول الله صلى الله عليه وسلم من فوقها إلى السماء فى رحلة المعراج.

والهيئة الحالية لمسجد قبة الصخرة تمّت فى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان، وهو بذلك يُعـَد من أجمل المبانى الأثرية،وقد استوعبت فى تصميمه وزخرفته الفنون التشكيلية الإسلامية والتراث الإنسانى الفنى. وبسبب تميّز بناء المسجد وجماله فإنه الأكثر انتشارا وتداولا في موضوع القدس، حتي صار يرمز إلى القدس أكثر من المسجد الأقصي (أو قل هى خطة صهيونية حتى إذا انهار المسجد الأقصى من جراء الحفر تحته.. فهذه باقية.

المصلي المرواني : يقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من المسجد الأقصي وكان يُطلق عليه قديما : التسوية الشرقية من المسجد الأقصى وخصص زمن عبد الملك بن مروان كمدرسة فقهية ومن هنا اكتسب لقبه المصلى المروانى، مساحته ٢٧٧٥متر مربع، وفى أثناء الاحتلال الصليبى استعملوه اصطبلا للخيول ومخزنا للذخيرة وأطلقوا عليه " اصطبلات سليمان "، وأعاد صلاح الدين الأيوبى فتحه للصلاة بعد تحرير بيت المقدس، وأعيد افتتاحه للجمهور بعد

الترميم ١٩٩٦م.

حائط البراق : هو الحائط الذى يحيط بالمسجد الأقصى من الغرب وهو جزء من الحرم المقدسي وسُمّيَ كذلك لأنه المكان الذى ربط الرسول صلى الله عليه وسلم البراق عنده ليلة الإسراء، ويسميه اليهود "حائط المبكى" لظنّهم أنه من بقايا هيكلهم غير الموجود.

مسجد عمر بن الخطاب : فى حضوره لتسلم المدينة واتفاق العهدة العمرية قام عمر بن الخطاب ببناء مسجد صغير مكان مسرى رسول الله صلي الله عليه وسلم ومعراجه.

إلى جانب ما ذكر يوجد فى ساحة الأقصى الشريف خمسة وعشرون بئرا للمياه العذبة، ثمانية منها فى صحن الصخرة المشرفة، وسبعة عشر فى فناء الأقصى وبركة للوضوء، أما أسبلة مياه الشرب فأهمها سبيل قايتباي المسقف بقبــّة حجرية رائعة لفتت انتباه الرحالة العرب والأجانب، أيضا أسبلة أخري.

هيكل سليمان المزعوم : الهيكل عند اليهود هو بيت الإله ومكان للعبادة، وباعتراف اليهود البدو الرّحل أنفسهم أنه لم يكن لديهم مكان عبادة مقدس ثابت منذ عصر موسى إلى عصر النبى سليمان عليهما السلام ـ بل كانت لوحات الوصايا العشر توضع فى " تابوت العهد " وهذا خصصت له خيمة عرفت بخيمة الاجتماع يحملونها إذا رحلوا، وجاء تأسيس الهيكل ليكون المكان المفضل لوضع تابوت العهد وليكون بيتا لرب اليهود نتيجة استقرارهم فى مدينة القدس، وشيّد سليمان الهيكل علي قطعة أرض غير معلومة فى القدس، ويقول الأثريون : لا يوجد دليل على أن الهيكل الثانى شُيِّد في موضع الهيكل الأول.

وتـُعـدّ قضية إعادة بناء الهيكل واحدة من أهم القضايا المثارة بين اليهود المنقسمين إلى : يهود صهاينة، ويهود غير صهاينة.. فغير الصهاينة يعارضون فكرة العودة بما فيها إعادة بناء الهيكل. فى حين يعتبرها الصهاينة قضية محورية وتوليها المنظمات الصهيونية المتطرفة اهتماما شديدا جعلت من أهدافها هدم الآثار الإسلامية وصولا إلى هدفهم الأساسى، وأنشأت لذلك مدرستين تلموديتين بالقرب من حائط البراق.لتدريب مائتى طالب على شعائر العبادة القربانية الخاصة بالهيكل وقامت بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث عام١٩٨٩م فى احتفال. ويّرى الأصوليون من المسيحيين أن بناء الهيكل هو الشرط الأساسى للعودة الثانية للمسيح، وهم ينظرون إلى قيام إسرائيل عام

١٩٤٨م تأكيدا لنبوءة التوراة حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة مع المجئ الثانى للمسيح بعد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة،وانتظرت المسيحية اكتمـــال خطة الرب بعد تأسيس إسرائيل (! !).

حالة بيت المقدس تحت الاحتلال الاسرائيلي

الصهيونية هى الجانب السياسى لليهودية وهى الإمتداد الطبيعى والتطور التاريخى لها ومدينة القدس تأتى في المقام الأول من المخططات الصهيونية وتمثل قمة أطماعها الأولى ونقطة الإرتكاز فى الاقتناع اليهودى.

قال ناحوم جولد مان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ورئيس المنظمة الصهيونية : "كان يمكن لليهود أن يأخذوا أوغنده أو مدغشقر، أو غيرهما لتأسيس وطن يهودى لكنهم لا يريدون إلا فلسطين لأنها المركز الحقيقى للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجي للسيطرة علي العالم" وقال هرتزل زعيم الصهيونية : " إذا حصلنا يوما على القدس وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأى عمل فسوف أزيل كل شئ ليس مقدسا لدى اليهود منها، وسوف أحرق الآثار التى مرت عليها قرون وقالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة :" إن أورشليم مدينتنا وأنا لا أعرف وجود شعب اسمه الشعب الفلسطيني". وقال مناحم بيجن رئيس وزراء اسرائيل السابق : " إن القدس هى عاصمة إسرائيل إلي أبد الآبدين ".

وقد ظلت القدس طوال عصورها التاريخيه موحدة بالرغم من وجودها أحد مراكز الصراع الدولي وبالرغم من تعرضها للغزو والتخريب ما يقارب ستة عشر مرة [٢٠٢] على الرغم من تشابك مكانتها الدينية وما ينتج عن هذا التشابك من تعقيدات سياسية إلا ان هذه الوحده لم تدم بعد الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨م

موقف الأمم المتحدة :

لم تقف الأمم المتحدة كهيئة دولية قانونية موقفا سلبيا من هذه الأعمال الإسرائيلية فى القدس بل أصدرت قرارات متتالية تدين هذه الإجراءات وتقف فى وجهها :

* ففى ٤ يوليو ١٩٦٧ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ٢٢٥٣التالي :

١ــ تعتبر هذه التدابير باطلة.
٢ــ تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع التدابير التى اتُخذت فعلا، والعدول فورا عن اتخاذ أى عمل من شأنه تغيير مدينة القدس.
٣ــ تطلب من الأمين العام أن يقدم تقريرا إلى الجمعية العامة ومجلس الأمن عن الموقف وعـــن تنفيذ القرار الحالى فى موعد لا يتجاوز أسبوعا من إقراره.

* وفي ١٤ يوليو ١٩٦٧ أصدرت الجمعية قرارها رقم ٢٢٥٤ التالي :

إن الجمعية العامة إذ تذكر قرارها ٢٢٥٣الصادر في ٤ يوليو ١٩٦٧وقد تلقت التقرير المـــقدم من الأمين العام، وإذ تلاحظ بأشد الأسف والقلق عدم انصياع إسرائيل للقرار رقم ٢٢٥٣:

١ ــ تندد بفشل إسرائيل فى تنفيذ قرارات الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣
٢ ــ تؤكد من جديد نداءها إلى إسرائيل فى ذلك القرار بإلغاء جميع التدابير التى اتخذتها فعلا والعدول فورا عن اتخاذ أى عمل من شانه تغيير وضع مدينة القدس.

تطلب من الأمين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العامة عن الحالة وعن تنفيـــذ القرار الحالى.

*أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ٢٥٢ التالي :

إن مجلس الأمن وقد أخذ بعين الاعتبار الكتاب رقم ٨٥٦٠/ د المقدم من المندوب الدائـــم للأردن بشأن الموقف فى القدس وتقرير الأمين العام رقم ٨١٤٦/ د وقد أصغى إلى البيانات التى ألقيت أمام المجلس، وقد لاحظ أنه منذ أن اتخذ القرارين المشار إليهما أعلاه. اتخـــذت إسرائيل إجراءات وقامت بأعمال أخرى خرقا لهذين القرارين.

وقد وضع المجلس نصب عينيه الحاجة إلى سلام عادل دائم، وقد وضح مجددا أن الاستيلاء على الأراضى بالفتح العسكرى أمرٌ لا يجوز السماح به.

يستنكر تخلف إسرائيل عن الإمتثال لقرارى الجمعية العامة المذكورين أعلاه ويعتبر جميـــع التشريعات والإجراءات الإدارية والتصرفات التى اتخذتها إسرائيل بما فى ذلك نزع ملكـــية الأراضى والممتلكات الكائنة عليها والتى من شأنها تغيير الوضع القانونى للقدس بأنها باطلة لا يمكن أن تغير هذا الوضـع.

٣ ــ يدعو إسرائيل بصورة عاجلة إلى إلغاء جميع الإجراءات التى اتُخِذتْ

فعلا، وإلى الامتناع عن القيام بأي عمل آخر من شأنه تغيير الوضع فى القدس.

٤ ــ يطلب إلى الأمين العام أن يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن عن تنفيذ هذا القرار.

* وفي ٣ يوليو ١٩٦٩ أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٢٧٦ التالي :

إن مجلس الأمن إذ يذكر قراره رقم ٢٥٣ في ٢١ مايو ١٩٨٦والقرارين السابقين للجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤ الصادرين في ٤ و١٤ يوليو ١٩٦٧ بشأن التدابير والأعمال المتخذة من جانب إسرائيل بخصوص وضع مدينة القدس، والتأكيد ثانية علي المبدأ الثالث بأن اكتساب الأراضى بالفتح العسكري غير مسموح به :

١ ــ يعيد تثبيت قراره رقم ٢٥٢ لسنة ١٩٦٨

٢ ــ يستنكر إخفاق إسرائيل في إظهار أي اعتبار لقرارات الجمعية العمومية ومجلس الأمن الدولى المذكور أعلاه.

٣ ــ يوبّخ بأقوي تعبير جميع الإجراءات التي تم اتخاذها لتغيير وضع مدينة القدس.

٤ ــ يؤكد أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية وكــذلك جميــع أعمــال إسرائيل الهادفة إلى تغيير وضع مدينة القدس بما في ذلــك نــزع ملكيــة الأراضي والممتلكات في المدينة لاغية قانونا ولا يمكن لها أن تغير ذلــك الوضع..

٥ ــ تطالب إسرائيل مرة أخري بإلحاح لكي تلغى فورا جميع الإجراءات التي اتخذتها والتى من شأنها تغيير مدينة القدس، وأن تكف عن جميع لإجراءات التي قد تؤدى إلى مثــل هذا التغيير.

٦- يدعو إسرائيل لإعلام مجلس الأمن الدولى دون أى تغيير آخر عن نوايا بصدد تنفيذ نصوص هذا القرار.

٧ ــ يصمم مجلس الأمن الدولى فى حالة الاستجابة السلبية أو عدم الإستجابة من قِبــل إسرائيل على العودة إلي الانعقاد دون تأخير للنظر في الإجراءات التالية التى ينبغي اتخاذها بصدد هذا الأمر.

٨ ــ يُطلب من السكرتير العام تقديم تقرير مفسر إلى مجلس الأمن عن تنفيــذ هذا القــرار.. وبالإضافة إلى هذه القرارات الصادرة عن الجمعية العامــة

ومجلس الأمن ــ هناك مئات الإدانات العالمية الصادرة عن هيئات سياسية ورجال دين وقانون وفكر من المسيحيين ومن كل ابناء الأديان والمذاهب الأخرى. ورغم تحفّظ الفاتيكان السياسى المشهور به ــ لم يتحفظ البابا فى إدانة الإحتلال العسكرى الإسرائيلي للقدس، وفى استنكار كل محاولات اسرائيل الإعتداء على عروبة القدس وطابعها الإسلامي والتاريخي، وقد أعلن مكسيموس حكيم بطريرك الروم الكاثوليك في ١٩٧٤/٣/١٧: " أنه لا يمكن لأى كائن أن ينكر السيادة العربية على القدس[٢٠٣]

البطلان القانوني لاحتلال اليهود للقدس :

وإذا كانت القدس قد احتـُلت من قِبَل اليهود مرتين : عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ فإن عودتها للفلسطينين كجزء محتل ومُغتـَصَب بالقوة أمرٌ يوجبه القانون الدولى العام •

وبالرجوع إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٦٣٧ لسنة ١٩٥٢م الذى ينص على إلتزام الدول الأعضاء بتأييد حق كافة الشعوب والأمم فى تقرير مصيرها وكذلك القرار رقم ١٥/١٥/٤ لسنة ١٩٦٠م الذي يمنح الشعوب والأقاليم المستعمَرة حق تقرير مصيرها.. وبالنظر كذلك إلى (ميثاق الأطلسي في ٨ سبتمبر ١٩٥٤) وتصريح باندونج في ٢٤ أبريل ١٩٥٥م وبالرجوع إلى هذه القرارات يتضح لنا من جميعها أن تقرير حق العرب والمسلمين فى القدس ليس مجرد مبدأ سياسيا وإنما هو حق قانونى من الحقوق الدولية •

فلسطين عبر العصور

من نافلة القول أن نثبت أن فلسطين عربية..لأن ذلك مفهوم بديهى حيث هى جغرافيا تقع ضمن كتلة الدول العربية الإسلامية شمالها سوريا وجنوبها الأردن ومصر وشرقها العراق، والبحر المتوسط يحدها من الغرب ضمن مجموعة دول الجوار، لغتها العربية ودينها الإسلام تماما كباقى الدول المحيطة بها ــ وإن كان بها بعض الأقلية من الرعايا اليهود، لا يحتاج هذا المفهوم إثبات بقرار منظمة أو غيره وكما أن المنطق لا يقبل أن تزرع دولة بيضاء فى جنوب القارة الأفريقية مثلا أو تحكمها حكومة بيضاء، فهذا مخالف لما يقبله العقل وإن ظلت هكذا عددا من السنين، وهاهى عادت لأهلها وحكمها

أصحابها السود، ولو قلنا إن دولة الأندلس (أسبانيا) كانت عربية مسلمة فهذا كان امتدادا لكتلة المغرب العربى المسلم لسهولة عبور مضيق جبل طارق أيام الفتح ولو ظلت الدولة الإسلامة على قوتها وتمسكها..لظلت الأندلس على عروبتها وإسلامها إلى ما شاء الله.

وبالمقابل فنحن لا نتصور أن تقوم دولة عربية مسلمة فى وسط الكتلة الأوربية ما بين فرنسا وسويسرا مثلا أو إمارة ويلز، أو بين شيلى والبرازيل أو فى هضبة التبت.

فى العهد الأموى :

كانت فلسطين فى العهد الأموى تابعة لدمشق يحكمها سليمان بن عبد الملك، ومن أعظم آثار تلك الفترة قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان فى الموضع الذى عرج من النبى محمد صلي الله عليه وسلم إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج، والمسجد الأقصى الذى أتم بناءه الوليد بن عبد الملك وهو البناء الذى ما زال قائما حتى اليوم ومدينة الرملة التى بنى فيها سليمان ابن عبد الملك قصره الشهير، والمسجد الأبيض.

في العهد العباسى :

بعد انتهاء حكم الدولة الأموية أصبحت فلسطين تابعة للدولة العباسية وقد زارها الخليفة المأمون وولده المهدى، وفى ظل الدولة العباسية ازدادت عملية التعريب ونشأت أجيال جديدة نتيجة التزاوج بين الفاتحين العرب وأهل البلاد.

الدولة الطولونية :

فى القرن الثالث الهجرى ونتيجة لضعف الدولة العباسية على أجزاء كثيرة من فلسطين استطاع الطولونيون السيطرة علي لبنان وسوريا ومصر وفلسطين، ومن الآثار الشهيرة خلال فترة حكمهم تحصين ميناء عكا.

القرامطة : فى القرن الرابع الهجرى أغار القرامطة المتدفقون من الخليج العربى على ديار الشام واحتلوا فلسطين بعد أن أحدثوا فيها كثيرا من الخراب والدمار. وبعدها توالى علي فلسطين أنظمة حكم متعددة من الإخشيديين والسلاجقة والفاطميين.

الإحتلال الصليبى :بدأت عمليات الشحن المعنوي بخطبة من البابا "أوريان الثانى" سنة١٠٩٥طالب فيها العامة بتخليص قبر المسيح المقدس من أيدى المسلمين، وتطهير القدس منهم، كانت أوربا تجتاز مرحلة خلافات فى

الرأى، وفقر فى المواد الخام وازدياد فى عدد السكان. قاد بطرس الناسك أولى الحملات العسكرية التى استمرت قرنين والتى عُرفت بالحملات الصليبيبة لأنها اتخذت الصليب شعارا لها، احتل بطرس الرملة ودمّر يافا وحاصر القدس بجنوده الأربعين ألف لمدة شهر فاستسلمت الحامية المصرية الصغيرة هناك فدخلوا القدس عام١٠٩٩م، وفور دخولهم قتلوا من السكان العرب سبعين ألفا وأعلن الصليبيون إقامة مملكة لاتينية فى القدس ومدوا نفوذهم إلى عسقلان وبيسان ونابلس وعكا واستقروا فى طبريا.

معركة حطين :

استعاد نور الدين زنكى بعض المدن والإمارات واستكمل صلاح الدين انتصاره فكانت حطين الشهيرة التى استرد فيها بيت المقدس عام ١١٨٧م.

فلسطين فى العهد المملوكي :

فى عهد المماليك كانت فلسطين جزءا من مملكة دمشق، والجزء الجنوبى تابعا لمصر المملوكية.

معركة عين جالوت :

في عهد المماليك استطاع سيف الدين قطز والظاهر بيبرس صد الغزو المغولى الآتى من الشرق مكتسحا العالم الإسلامي، فكانت هذه من أهم وأشهر المعارك الإسلامية قرب مدينة الناصرة عام ١٢٥٩م. وقسم المماليك فلسطين إداريا إلى (سناجق) وبنوا المدارس واهتموا بالمسجد الأقصى وترميم قبة الصخرة والحرم الإبراهيمى ولا زالت للآن أبنية بعض المدارس التى بنوها وجسر بجوار اللد.

فلسطين فى العهد العثمانى :

انتصر العثمانيون على المماليك فى معركة مرج دابق قريبا من حلب عام١٥١٦م فدخلوا فلسطين وأصبحت جزءا من ولاية الشام ومركزها دمشق ، وكانت الولاية مقسمة إلى سناجق هي نابلس، القدس، وغزة..والسنجق إلى أقضية، والأجزاء الشمالية من فلسطين ومركزها عكا تتبع لبنان (بيروت) وظلت هكذا طوال أربعة قرون لم يتغير التقسيم الإدارى من عهد المماليك، وقد استطاع ظاهر العمر شيخ صفد أن يضم إليها طبرية ونابلس والناصرة وعكا سنة ١٧٥٠م.إلى أن ضم أحمد الجزار (والي عكا) سوريا بأكملها والذى استطاع أن يرد حملة نابليون بونابرت عن عكا سنة ١٧٩٩م ببسالته وتحصيناته للمدينة.

حملة نابليون بونابرت ١٧٩٩م :

حاول نابليون غزو فلسطين بعد احتلال مصر ولكن الحملة ارتدت مهزومة بعد وصولها إلى عكا وفشلت فى اقتحام المدينة بفضل تحصيناتها وبسالة قائدها أحمد باشا.

محمد علي :

قرر محمد علي والى مصر عام١٨٣٨م توسيع ملكه فضم بلاد الشام ونجح ابنه إبراهيم باشا فى فتح العريش، غزة، يافا، نابلس، والقدس واستمر ذلك عشر سنوات ثم استردتها الدولة العثمانية. (٢/٢٥٥)

المذابح التى ارتكبها الجيش الصهيونى فى حق الفلسطينيين : (٢٥٦)

إن عملية التهجيرالقسرى للفلسطينيين قد تمت بشكل مبرمج ومخطط بهدف " تطهير" فلسطين من أهلها العرب ـ واكب ذلك التهجير حملات مكثفة من العنف والإرهاب والمجازر التى شكلت أحد الأسباب الرئيسية لهجرة عرب فلسطين من قراهم ومدنهم، أيضا واكبت العمليات العسكرية سياسة الحرب النفسية بتسريب أخبار المجازر علي النطاق المحلي كي تصل أنباء القتل الجماعى والإغتصاب والهدم إلى الفلسطينيين حتى تزرع فى نفوس السكان حالة من الهلع والذعر ليقوموا بإخلاء قراهم حفاظا على أرواحهم وأعراضهم، ومنذ الإعلان عن قرار التقسيم رقم ١٨١في٢٩ نوفمبر١٩٤٧م ـ حتي يوليو ١٩٤٨م أخليت ودمرت ١٨٠ قرية عربية تماما، كما هجر سكان ثلاث مدن كبرى كليا هى : صفد وطبريا وبيسان، بينما بقى فى حيفا ١٩٥٠ فلسطينى وبالمقابل قامت المنظمات العسكرية الصهيونية بتهجير ما يقارب ١٢٢ ألف عربى من المناطق التابعة للدولة الفلسطينية، وأخليت ودمرت ٧٠ قرية تماما، وهجر سكان يافا وعكا بشكل كلى تقريبا وتمَّ تهجير جزء كبير جدا من سكان مدينتى اللد والرملة وواضح أن الهدف من ذلك هو توطين اليهود القادمين من الخارج.

مذبحة بلدة الشيخ ١٩٤٧/١٢/٣١:

اقتحمت عصابات الهاجاناه قرية بلدة الشيخ (تل غنان الآن) ولاحقت المواطنين العُزّل وبلغ عدد الشهداء ٦٠٠ شهيد منهم النساء والأطفال، وُجدت جثث أغلبهم داخل منازل القرية.

مذبحة قرية سعسع فى الجليل ١٩٤٨/٢/١٥:

هاجم اليهود البلدة فى منتصف الليل ونسفوا ٢٠ منزلا على أصحابها العُزّل ومعظمهم من النساء والأطفال.

مذبحة قرية أبو كبير ١٩٤٨/٣/٣١ :

نفذها الهاجاناه والتى أصبحت فيما بعد نواة للجيش الصهيونى خلال هجوم مسلح وعمليات تفجير وملاحقة للفارين.

مذبحة دير ياسين ١٩٤٨/٤/١٠

داهمت عصابات الستيرن والأرجون والهاجانا قرية دير ياسين الواقعة غربى مدينة القدس (مستعمرة جفعات شئول) فى الساعة الثانية فجرا وقتلت كل من وقع فى مرمي أسلحتهم بعدها ألقوا القنابل داخل المنازل لتدميرها على من بقي فيها، وسار رجال الستيرن والأرجون لقتل كل من بقى حيا واستمرت المجزرة حتى ساعة الظهيرة وقد استشهد ٣٦٠ فلسطينيا معظمهم من الأطفال والنساء.

وقد تفاخر بذلك مناحم بيجن في كتابه فقال: "كان لهذه العملية نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي فأخذوا يفرون مذعورين، وإن مذبحة دير ياسين تسببت بانتصارات حاسمة في ميدان المعركة، وقال آخرون : " **إنه بدون دير ياسين ما كان ممكنا لإسرائيل أن تظهر على الوجود**، واعتبر ما ارتكبه اليهود فى مذبحة دير ياسين "واجبا إنسانيا".

مذبحة قرية أبو شوشة ١٩٤٨/٥/١٤

هذه القرية قريبة من قرية دير ياسين استشهد فيها ٥٠ من الشيوخ والنساء والرجال والأطفال ضُربت رؤوسُهم بالبلطات، وجنود لواء "جعفاتى" الذين نفذوا العملية أطلقوا النار على كل شئ يتحرك دون تمييز.

مذبحة اللد :

قاد هذه العصابة الإرهابي موشى ديان ونفذها بإطلاق قذائف المدفعية والنيران الغزيرة على كل شئ يتحرك بما فيهم الذين احتَموا بمسجد "دهمش" وكانوا ١٧٦ مدنيا وارتفع بهم عدد الشهداء إلى ٤٢٦ شهيدا ومن تمكن من السير على الأقدام إلى منطقة الجيش الأردنى دون ماء أو طعام مما تسبب فى وفاة الكثيرين من النساء والشيوخ والأطفال.

مذبحة الطنطورة ١٩٤٨/٨/٢٢:

هاجمت كتيبة "السبت ٣٣" قرية طنطورة فاحتلت القرية بعد مقاومة عدة ساعات من الأهالى وطاردوهم بشراسة فاستشهد ٩٠ دُفنوا فى مقبرة جماعية وأقيمت مؤخرا فوقهم ساحة لوقوف السيارات كمرفق لشاطئ "دور" على البحر المتوسط جنوبى حيفا.

مذبحة قرية عيليون ١٩٤٨/١٠/٣٠ :

حاصرت قوات إسرائيل القرية مساء وتمكنت من دخول القرية بعد انسحاب جيش الإنقاذ صباحا فأمروا الأهالي بالتجمع فى ساحة القرية وأطلقوا عليهم نيران عشوائية من الجهات الأربع.

مذبحة البعنة وديرالأسد ١٩٤٨/١٠/٣١:

حاصرت القوات الإسرائيلية القريتين مساء وتم السيطرة عليهما فى العاشرة صباحا وأمر القائد أهالى القريتين بالتجمع فى السهل الفاصل بين القريتين تحت حراسة الجنود قبل قتل مجموعة من الشبان بطريقة وصفها أحد مراقبى الأمم المتحدة بأنها "قتل وحشى جرى دون استفزاز أو إشارة غضب من الناس".

مذبحة قبـيّة ١٩٥٣/١٠/١٤ :

طوقت القوات النظامية القرية (٢٠٠٠نسمة يوم المذبحة) بقوة قوامها ٦٠٠ جندى بعد قصف مدفعى مكثف على المساكن، بعدها اقتحمت القوات القرية وهى تطلق النار بشكل عشوائى، فى الوقت الذي طاردت فيه وحدة من المشاة السكان الفلسطينيين العزل وأطلقت عليهم النار وعمدت وحدات أخرى إلى وضع شحنات متفجرة حول بعض المنازل فنسفتها على من فيها فى الوقت الذى رابط جنود الاحتلال خارج المنازل أثناء الإعداد لنسفها وأطلقوا النار على كل من حاول الفرار من هذه البيوت المعدة للتفجير، بلغت الحصيلة ٥٦ منزلا ومسجد القرية ومدرستها وخزان المياه. قاد هذه المذبحة أريل شارون. وقد أثبت ذلك فى تقريره الجنرال "بينيكه" كبير مراقبى الأمم المتحدة وعرضه فى اجتماع مجلس الأمن فى ١٩٥٣/١٠/٢٧ : "أن الهجوم كان مدبرا ونفذته قوات نظامية إسرائيلية " .

مذبحة قلقيلية ١٩٥٦/١٠/١٠:

تقع قلقيلية على الخط الفاصل بين الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٤٨

والضفة الغربية وقد شارك فى الهجوم عشر طائرات مقاتلة وكتيبة مدفعية التى عمدت إلى قصف القرية قبل اقتحامها وراح ضحية ذلك أكثر من ٧٠ شهيدا.

مذبحة كفر قاسم ١٩٥٦/١٠/٢٩ :

هذه القرية تقع جنوبى قضاء طولكرم واستشهد فيها ٤٩ شهيدا هاجمها جيش الإحتلال الذي فرض حظر التجول، وقد انطلق البعض لإبلاغ الشبان الذين يعملون فى الأراضى الزراعية خارج القرية، غير أن القوات المرابطة خارج القرية عمدت إلى قتلهم كما قتلت من عاد من الشباب قبل وصولهم إلى القرية.

مذبحة خان يونس ١٩٥٦/١١/٣ :

نفذها جيش الاحتلال بمعسكر خان يونس جنوبى قطاع غزة وراح ضحيتها أكثر من ٢٥٠ شهيدا وبعد تسعة أيام مذبحة أخرى راح ضحيتها ٢٧٥شهيدا من نفس المخيم، كما استشهد أكثر من مائة شهيد من سكان مخيم رفح للاجئين فى نفس اليوم.

مذبحة صبرا وشاتيلا ١٩٨٢/٩/١٨ :

قاد هذه المذبحة أريل شارون قائد الوحدة رقم ١٠١ الذى بدأ اقتحام المخيمين وأطلقوا القنابل المضيئة ليلا لتسهيل مهمة الجنود فى القتل واستمرت المذبحة من الخميس حتى السبت وراح ضحيتها نحو ٣٥٠٠ مدنيا فلسطينيا ولبنانيا تحت شعار "بدون عواطف" وقد ربطوا الأطفال ونبحوهم نبح الشاة وكان الأطفال والنساء هم الأكثر عددا فى الشهداء كما قتلوا المرضى والأطباء واغتصبوا بعض الممرضات وقتلوا الذين لجأوا إلى مستشفى عكا وتم إفراغ رصاص الرشاش فى رأس صبى جريح يرقد فى سريره وفى هذه الأثناء طوقوا المخيم بالدبابات وأطلقوا النار على كل شئ يتحرك. وقامت البلدوزرات بحفر المقابر الجماعية فى منتصف النهار جنوب شاتيلا وامتلأ المعسكر بأكوام الجثث ومنهم امرأة تحتضن طفلها وقد قتلتهما معا رصاصة واحدة. وفي تقرير لمراسل الواشنطن بوست يقول : "بيوت بكاملها هدمتها البدوزرات فحولتها إلى أكوام من الخراب وجثث مكدّسة فوق بعضها وفوق الجثث تشير الثقوب في الجدران إلي أنهم أعدموا رميا بالرصاص، وفي نهاية شارع مسدود عُثر علي فتاتين الأولي ١١ عاما والثانية عدة أشهر ترقدان وسيقانهما مشدودة وفي رأس كل منهما ثقب صغير.. وفي تعقيبه علي هذه المذبحة قال مناحم بيجن أمام الكنيست يصف

رجال المقاومة الفلسطينية"إنهم حيوانات تسير علي ساقين".

لك الله يا شعب فلسطين..

تـُرى هل هذا معنى حديث رسول الله أنكم فى رباط إلى يوم القيامة..

أين نهرٌ من دموع يكفى لتأبين عشرات الآلاف من الشهداء..ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خاتمـــــة اليهـــــود

طرحت إسرائيل على مواطنيها استفتاء نصه :

" **هل توافق على عودة سيناء إلى إسرائيل** "

(انتبهوا جيدا)

فوافق نحو ٦٢% منهم على عودة سيناء إلى إسرائيل.. (!!)

هذا الكيان... بقعة صغيرة تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط لا يتعدى عرضها العشرة أميال ولا يتجاوز تعدادها الخمسة ملايين إلا قليلا، مكروهة من الجميع، ومعزولة عن العالم إلا أمريكا، مزروعة فى الشرق الأوسط (دول إسلامية) وهى لا تنتمى إليه لا لغة ولا جنسا ولا ديانة، تنتمى إلى الغرب وهى بعيدة جدا عنه، تدّعى الديموقراطية وهى معسكر كبير والمواطنون هم احتياط للجيش، وفكرهم الاستراتيجى قائم على الحرب " أنا أحارب ـ إذن أنا موجود " فالحرب حالة أبدية يعيشونها فى مواجهة أعداء يحيطون بهم. كيان مصنوع من التناقضات وعناصره ممزقة بين فائدة السلام ـ والهوية المشتعلة برح التعصّب والعدوانية. تمارس التمييز والعنصرية على جزء من مواطنيها العرب (٢٠%من السكان) الذين تـُنكر عليهم الحقوق الطبيعية وتعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية بينما هى على أراضيهم وهم أصحاب الأرض، تعيش على الاستجداء : فتحصل سنويا على ما مجموعه ٦ مليار دولار أمريكى نقدا، غير الأسلحة والمعدات الحربية حيث هى ترسانة أمريكية لأحدث أنواع الأسلحة ومعدات الحرب المشروعة وغير المشروعة، طردهم الغرب أكثر من مرة عبْر التاريخ، وصدّرها لنا على هيئة الدولة الصهيونية، غزت المنطقة بقوة السلاح التى أمدتها به أمريكا حتى أصبحت جزءا من تاريخنا وأصبحنا مرغمين على التعامل معها.. احتك بهم رائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر فعبّر بتلقائية (أهل الجنوب)، وضعهم بطل

الحرب والسلام الرئيس السادات نصب عينيه فأصابهم فى مقتل وتأكد وعبّر أن ٩٩% من أوراق اللعبة فى يد أمريكا، وأخيرا نادى الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد بما سبق أن نادى به جمال عبد الناصر : **أن ليس هنا مكان لإسرائيل..** فليرحلوا من حيث أتوا.. وهو مبدأ منطقى لا يقبل الشك وإن كان يقبل الجدل، وغير ذلك ما من حل. فكيف يكون . ؟

الحل فى التفكيك

نعم.. تفكيك الكيان الصهيونى

مطالبة أمريكا بامتناعها عن إمداد هذا الكيان بشريان الحياة ٦ مليا ر دولار سنويا، وفى حالة الرفض ــ وهو قطعا حاصل ــ فيكون سلاح الأمة العربية هو **المقاطعة التجارية**. (٢٥٧)

" وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة." ومفهوم القوة هنا فى إلتقاء جميع الحكام العرب على رأى واحد، وتجنيد كل القوى المتوفرة وخلفهم الشعوب التى تتمنى ذلك ودعوانا :

وعد آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا باطل.

نظرة حكومة (صاحب الجلالة) بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى باطلة

وتعلموا أصول الحكم يا إنجليز من الحكام المسلمين ولو كان ذلك قبل قرنين.

لقد رفض السلطان عبد الحميد مطالب هرتزل حين عرض عليه قرض متدرج من عشرين مليون جنيه استرلينى مقابل هجرة اليهود التدريجية إلى فلسطين قائلا : الإمبراطورية التركية ليست لى.. وليس لى أن أهب جزءا فيها. وهو على حق، ويعلمنا..**فهو يحكم ولا يملك.**

أيضا لم يكن يملك آرثر بلفور وزير خارجية بريطانيا وحكومة (صاحب الجلالة) الذى نظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين. لا يملك أن ينشئ وطنا قوميا لليهود فى فلسطين فهذا **باطل.**

ولما كان قرار عصبة الأمم قد نص على أن يعهد بإدارة فلسطين التى كانت تابعة فيما مضى للدولة العثمانية ــ إلى حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م، لصالح إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ــ قرار

عصبة الأمم **باطل** لأنه مبنى على **باطل** فبريطانيا لم تكن تملك.. فقط كانت تحكم.

ولما كان العالم العربى بدولِهِ قد تحرر من الإستعمار البريطانى والفرنسى، ونالت كل دولة استقلالها بكفاح أبنائها.

والطريقة : توعية الشعوب العربية بذلك وأولها مصر بجميع وسائل إعلامها.

ضرورة اقتناع جميع الحكام العرب برأى واحد هو: **بطلان وعد آرثر بلفور وبطلان انتداب بريطانيا على فلسطين** وما ترتب عليه من التهام أرض فلسطين ومذابح عديدة للفلسطينيين للتخلص منهم وهروب وتشريد آخرين..فهو **باطل**. وضرورة تبنى جميع الحكام العرب لهذا المبدأ والمطالبة به. سيقولون ما قاله بيجن لـــ جيمى كارتر خلال اتفاقات كامب ديفيد : "..لكن التوراة تعترف بالقدس كعاصمة تاريخية لإسرائيل، والرب التقدير إله التوراة يعترف بها، ولذلك فإننا لا نعترف بعدم اعترافك ". (*) وأقول إن الرب القدير لعنكم فى كتابكم التوراة:" كلهم عصاة متمردون.. كلهم مفسدون.. الرب قد رفضهم " (إرميا ٦). " لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم " (هوشع ١)، قد أتت النهاية على شعبى إسرائيل، لا أعود أصفح له بعد فتصير أغانى القصر ولاول " (عاموس ٨). " ويذهب رجل وأبوه إلى صبية واحدة حتى يدنسوا إسم قدسى "(عاموس٢) .

والتفكيك هو أن يعود كل مهاجر إلى البلد الذى جاء منه، أو جاء منه والداه أو أجداده هذه هى الطريقة التى يجب أن نقتنع نحن جميعا بها، وننادى بها فى جميع الأوساط والدوائر، ونجند لها كل ما نملك من وسائل إقناع العالم الغربى (المتمدين) ويجب علينا أن نظل نطالب بها، وإن طال أمد المطالبة ستين عاما قادمة، وتأصيل هذا المبدأ فى فكر أجيال الحاضر والمستقبل وليكن الهدف ٢٠١٧ م ، وإن سبق لنا أن كنا فى الماضى فى غفلة.

إنى قد بلغت

انتهى البحث

ولن ينتهى صراعنا مع إسرائيل، ومع أمريكا بشأن إسرائيل، بل قد بدأ

ملاحق

بيان ميراث وانتقال النبوة من بعد يعقوب

١ ـــ ورث يوسف النبوة من بعد أبيه يعقوب.

٢ ـــ كـُلـّف موسي بالنبوة والرسالة في سيناء أثناء عودته من بلاد مدين (الأردن) ـــ إلي مصرحيث كان يقيم كل بنى إسرائيل (العبرانيين)، فطلب إشراك شقيقه هارون (المتواجد بمصر) في النبوة فأجيب طلبه.

٣ ـــ قام بأعباء النبوة من بعد وفاة هارون وموسي، يوشع بن نون، وأيضا أتم تشكيل الأسباط ودخل بهم بيت المقدس، وهو من سبط يوسف.

٤ ـــ نبوة إلياس من سبط لاوي، وإرساله إلى أهل بعلبك.

٥ ـــ نبوة حزقيل (حزقيال).

٦ ـــ انتقال النبوة إلي اليسع من نســل يوسف.

٧ ـــ انتقال ميراث النبوة من بعد اليسع ـــ إلي شموئيل من سبط لاوي

٨ ـــ انتقال ميراث النبوة أضافة إلي المُلك إلي داود من سبط يهوذا

٩ ـــ ميراث النبوة والملك من داود إلى ابنه سليمان.

١٠ ـــ انتقال ميراث النبوة إلي شعيا، وقتله.

١١ ـــ انتقال ميراث النبوة إلي إرميا من سبط لاوي.

١٢ ـــ آل ميراث النبوة إلي العزير من سبط لاوي.

١٣ ـــ تحول ميراث النبوة إلي زكريا من سبط يهوذا. ونشره بالمنشار، وتلاه من بعده ابنه يحيي. واصطفاء مريم لميلاد العبد الرسول عيسي ورفعه، وكان معاصرا للنبي يحيي وأربعتهم من سبط يهوذا. عليهم السلام جميعا.

انتهت رسالة ابناء اسحق ويعقوب.. وانتقلت إلي ذرية اسماعيل : محمد صلي الله عليه وسلم خير خلق الله وخاتم رسل الله.. وكلهم من نسل خليل الله إبراهيم عليه السلام. وإكراما من الله عز وجل لعبده وخليله إبراهيم. " إن إبراهيم كان أمة "

بيـــان نسب الأنبياء إلي الأسباط

١ ـــ من سبط يهوذا : داود، سليمان، زكريا، يحيي، مريم، و عيسي.

٢ ـــ من سبط لاوي : موسي وهارون، اشموئيل، العزير، آرميا.

٣ ـــ من سبط يوسف : يوشع بن نون، اليسع.

أما الأنبياء : دانيال، حزقيل، شعيا. فإنه غير موضح نسب أي منهم عند ابن كثير. رضى الله عنهم جميعا

حسداي بن شبروط

من كبار يهود الأندلس ولد بها وتثقف ثقافة عالية في اللغة العربية وأدبها والي جانب ذلك كان طبيبا ماهرا وشخصية مستنيرة سبق عصره، وهو يهودي متعصب، وكانت قرطبه عاصمة الخلافة الاسلامية في الأندلس آنذاك تمثل عظمة ومجد الأندلس ومحفل الثقافة الأوربية، ومكتبتها تحوي نحو أربعمائة ألف مجلد مفهرس في عهد خلافة عبد الرحمن الناصر الذي قدره المؤرخون الحديثون أعظم التقدير فقال فيه المستشرق دوزي:" أنه أقرب إلي حكام العصر الحديث منه الي ملوك العصور الوسطي " وقال فيه ليفي بروفنسال :" إن عبد الرحمن الناصر يعتبر دون شك من أعظم ملوك أوروبا كلها في كل العصور"، وأشاراليه المؤرخ أرنولد توينبي واتخذه مثالا للحاكم المستنير الذي يتخطي عصره بملكاته وبمواهبه وأخلاقه وفهمه الدقيق لمسئوليات الحاكم وقدرته علي القيام بها جميعا.

وقد ولد حسداي في قرطبه سنة ٩١٠م من أسرة عريقة وكان أول ما جذب انتباه الخليفه اليه تلك الأدوية الشافية التي كان يصفها لمرضاه وهو يمارس مهنة الطب، فعيـّنه الخليفة عبد الرحمن طبيبا في بلاطه ووثق في رأيه ثقة تامة إلي حد أنه طلب إليه أولا أن ينظم شئون الدولة المالية ثم ندبه وزيرا للخارجية وخبيرا في حل المنازعات الدبلوماسية في علاقات الخلافه الجديدة المعقده مع بيزنطة والامبراطورالألماني ومع الممالك المسيحيه شمال الأندلس .

كان حسداي صاحب نزعه عالمية، واستطاع وسط زحمة شئون الدولة أن يجد وقتا لترجمة بعض الكتب الطبية الي اللغة العربية وأن يراسل العلماء من أحبار اليهود في بغداد وكان النصير السخي لعلماء النحو والشعراء العبرانيين .

وقد استخدم حسداي اتصالاته الدبلوماسيه كي يجمع معلومات عن الجماعات اليهوديه المشتتة في أنحاء العالم وليتدخل لصالحهم ما أمكن- ومهتم بشكل خاص بموضوع اضطهاد اليهود في الإمبراطورية البيزنطية في عهد رومانوس وكان له اهتمام جوهري بحياد قرطبة أثناء الحملات البيزنطية ضد المسلمين في الشرق، وانتهزحسداي فرصة توليه المفاوضات ليتوسط لصالح الشعب اليهودي البيزنطي ونجح في ذلك علي نحو ملموس.

كانت هي المرة الأولي التي يعرف حسداي بوجود مملكة يهودية مستقلة خبرا سمعه من تجار المتجولين، فبدأ يكتب رسائل إلى ملك الخزر والتى سميت برسائل الخزر..

الهوامش

١ سيد قطب : فى ظلال القرآن ، الطبعة الشرعية الحادية عشرة ، دار الشروق بيروت ، القاهرة سنة١٩٨٥ مجلد ٤ ص ٢٢١٢
٢ سيد قطب : المصدر السابق مجلد ١ ص ٥٦
٣ ابن كثير : البداية والنهاية مكتبة المعارف ، بيروت سنة١٩٨٥المجلد الأول الجزء الأول ص ٩٨ و محمد أحمد عبد العزيز : تحقيق قصص الأنبياء ، دار الحديث بالأزهر الطبعة الثامنة ١٩٩٨ ، ص٥٦، ومعنى شيث : هبة الله
٤ المصدر السابق ص ٥٧
٥ د. حسين فوزى النجار : أرض الميعاد ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥ ص ١٠٧
٦ نفس المصدر السابق ، ص ١٠٨ ــ ١١٠
٧ سيد قطب ، مصدر سابق ، مجلد ١ ص ٤٢٠
٨ محمد أحمد عبد العزيز :: تحقيق قصص الأنبياء: مصدر سابق ص ٤٥١ ــ والحديث رواه أحمد في مسنده (٢٠٢/٤٠حلبى) ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده (١١٦١)
٩ نفس المصدر السابق ص ٤٠٥ رواه أحمد في مسنده عن أبى النضر عن فرج بن فضالة عن ابن عباس مرفوعا.
١٠ محمد أحمد عبد العزيز ، المصدر السابق ص ٤٩٥
١١ قصيدة طويلة للباحث متعلقة بــ"ديوان مصر القديمة " وملحقة بالجزء الثانى منه (تحت الطبع بالمجلس الأعلى للثقافة .
١٢ محمد أحمد عبد العزيز : تحقيق قصص الأنبياء ص ٣٦٧
١٣ صلاح سالم : رؤى التاريخ للديانات الكبرى والحضارات القديمة ، مقال ضمن عنوان رئيسي لــ "صفحة الفكر" هو " مغزى التاريخ" جريدة الأهرام ، ملحق الجمعة ٢٠١١/١/٢١
١٤ أنور الجندى : المخططات التلمودية فى غزو الفكر الإسلامى ، دار الاعتصام بالقاهرة سنة١٩٧٧ ص ٢١ عن وول ديورانت .
١٥ د . قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى الغزو العثمانى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الأولى سنة١٩٨٠، ص ٢٩
١٦ آرثر كيستلر : القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، مجموعة الألف كتاب الثنى (١٠١)
١٧ آرثر هيرتسبرج : الفكرة الصهيونية ، مسلسل أسبوعى باسم (كتاب جديد) بملحق الجمعة لجريدة الأهرام ٢٥مايو سنة ٢٠٠١ ترجمة وعرض بعض من مفكرى وكتاب الجريدة ، منهم / حسن فؤاد .
١٨ بهاء فاروق : فلسطين بالخرائط والوثائق : مكتبة الأسرة ٢٠٠٢ ، ص٢٦٤ عن المستشار طارق البشرى .
١٩ نفس المصدر السابق ص ٢١٢ عن بيجن : " بدون دير ياسين ما كان ممكنا لإسرائيل أن تظهر على الوجود"
٢٠ الشيخ محمد بيومى وآخرين : البداية والنهاية ، مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة٢٠٠٣ الجزء الأول ص ٧ــ ١٠
٢١ الشيخ محمد بيومى وآخرين : البداية والنهاية ، مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة٢٠٠٣ الجزء الأول

ص ٣ــ ٤
٢٢ د . باري باركر : السفر في الزمن الكوني ، ترجمة د. محمود سليمان ، مراجعة جلال عبد الفتاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة١٩٩٩ مجموعة الألف كتاب الثاني ، ص ٢٥
٢٣ د . مصطفى محمود : المؤامرة الكبرى ، دار أخبار اليوم العدد ٣٤١ سنة١٩٩٣ ص ٣٥ ــ٣٦
٢٤ ابن كثير : البداية والنهاية ، مصدر سابق ص ١٣٩
(*) المنجنيق : آلة قديمة من آلات الحرب وحصار المدن ، كانت تــرمى بها حجارة ثقيلة على الأسوار فتهدمها ، مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز سنة ٢٠٠٠ ص ٥٧٣. (وكذلك كرات اللهب)
٢٥ ابن كثير : البداية .. مصدر سابق ص ١٥٧
٢٦ نفس المصدر السابق ص ١٦٣
٢٧ الشيخ محمد البيومي : مصدر سابق والحديث متفق عليه : رواه البخاري (١٨٣٤) ومسلم — (١٣٥٣/٤٤٥) ص ١٨٨
(*) نفس القصيدة (بند ١١) من هذه الصفحة
٢٨ ابن كثير : البداية ، مصدر سابق مجلد ١ الجزء الأول ص ١٥٧ و ١٩١
٢٩ " " " " ص ١٤٢
٣٠ د. عبد المنعم الحفني : عالم بلا يهود ، دار الرشاد سنة ١٩٩٢ص ١٧
(*) (كتابهم) : دار الكتاب (....) في الشرق الأوسط ، النسخة العربية ١٩٨٩
٣١ د.عبد المنعم الحفني : مصدر سابق ص ١٦
٣٢ ابن كثير : مصدر سابق ص ١٩٣
٣٣ " " " ص ١٧٣
٣٤ " " " ص ١٧٥
٣٥ " " " ص١٩٣
٣٦ " " " ص١٩٦
٣٧ " " " ص١٩٧
٣٨ " " " ص١٩٩
(*) وعند محمد البيومي ص ٢٢٤، والحديث رواه البخاري "٣٣٩٠ كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى: " لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين" ، وأحمد (٥٧١٢) ص ٢٢٤ ورواه مسلم (٤٠٤) كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلاة
٣٩ ابن كثير : البداية والنهاية نفس المجلد الأول الجزء الأول ص ٢٠٣
٤٠ نفس المصدر السابق ص ٢٢٠
٤١ " " ص ٢٢٠ أيضا
٤٢ موسى إسم مصري قديم معناه ابن الماء أو الذي خرج من الماء " فالتقطه آل فرعون" فهم الذين أطلقوا عليه الإسم وهو مكون من مقطعين (سا) = ابن ، (مو) الماء والتي وصلت إلى العامية المصرية عن طريق اللغة القبطيــة
م/.سامح مقار : "أصل الألفاظ العامية " هيئة الكتاب ٢٠٠٤ ص ٢٩ وأيضا "المعجم الوجير هيروغليفي/ عربي
لنفس المؤلف /.سامح مقار ، أيضا جاء ذلك عند العالم الفرنسي " جي راشيه " في مؤلفه " الكتاب المقـــــــــدس ــ وتاريخ إسرائيل " عرض وتحليل د. أحمد يوسف ، جريد الأهرام ٢٠٠٣/٨/٢٠

٤٣ ابن كثير : البداية .. مصدر سابق ص ٢٣٨
٤٤ " " " ص ٢٤٢
٤٥ " " " ص ٢٤٩
٤٦ د.سليم حسن " موسوعة مصر القديمة " : بر رعمسيس هى العاصمة التى أنشأها الفرعون رعمسيس الثانى على حدود مصر الشرقية ليمنع دخول البدو ، والتى كان يقيم بها العبرانيون ويعملون فيها ، وفيها كان يتم اللقاء بين نبى الله موسى والفرعون وحوارهما ، ومنها بدأت رحلة الخروج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة٢٠٠١ م المجلد السابع ، ص ١٢٠
(*) أفاض د . سليم حسن فى موضوع الخروج على صفحات من١٠٦ ــ إلى ١٣٨ مفصلا وأوضح نقاطا كانت خافية على الكثيرين ، وهى تتفق مع ما جاء بكتابهم وأن ذلك كان هروبا من السخرة ، كان الفرعون يسخرهم فى ضرب الطوب اللبن لبناء عاصمته الجديدة ، نفس المرجع السابق ذكره . وها نحن الآن ننهل من علمه .
٤٧ ابن كثير : البداية .. مصدر سابق ص ٢٧٥
٤٨ " " " ص ٢٧٦
٤٩ " " " ص ٢٨٢
(*) مصّر القومُ المكان : جعلوه مصرا ، ويقال مصّر الأمصار : بناها ، ومصّرت الدولةُ المصرية الشركة يعنى أخضعتها لإدارة مصرية خالصة ، والمِصر هى المدينة الكبيرة تقام فيها الدور والأسواق والمدارس وغيرهــا من المرافق العامة وتُجمع على أمصار :مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز سنة٢٠٠٠ ص ٥٨٣
٥٠ ابن كثير : مصدر سابق ص ٢٧٧
٥١ " " ص٢٨١ وعند محمد أحمد عبد العزيز : مصدر سابق ، ص ٣٠٣
(*) الترقيم من اجتهاد الباحث
٥٢ محمد بيومى وآخرين ، مصدر سابق جزء أول ص ٣١١
٥٣ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق ص ٣١٥
٥٤ ابن كثير ، مصدر سابق ص ٣٠٧
٥٥ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق ص ٣١٠
٥٦ ابن كثير ، مصدر سابق ص ٣٠٦
٥٧ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق ص ٣٠٦
٥٨ " " " ص ٣٢١
٥٩ ابن كثير مصدر سابق ص ٣٠٧
٦٠ سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مصدر سابق ص ٨٧٠
٦١ محمد بيومى وآخرين : ، مصدر سابق ص ٣٢١ والحديث ضعيف ، رواه النسائى فى " عمل اليوم والليلة (٤٣٨و١١٤١) والطبرانى فى " الدعاء" (١٤٨٠)، وابن حبان (٦٢١٨ــ إحسان) والحاكم (٥١٨/١) ، والبيهقى فى " الأسماء والصفات " (ص ١٠٢، ١٠٣) ودراج فى روايته عن ابن الهيثم ضعيف
٦٢ ابن كثير ، مصدر سابق ص ٣٢١ والشكل التوضيحى الملون من تصميم الباحث.
٦٣ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق : نبوة يوشع : ص ٣٥٨
٦٤ نفس المصدر السابق ص ٣٦٣ انحبست الشمس .. والحديث رواه أحمد فى مسنده

(٢/٣٢٥/حلبى)
٦٥ محمد احمد عبد العزيز : مصدر سابق : دخلوا مستهزئين ص٣٦٥ والحديث رواه البخارى (٦/٢، ٣، ٢٢٨/فتح) في مسنده (٨٠٩٥)،٨٢١٣/شاكر ورواه أحمد شاكر فى عمدة التفاسير (١/١٥٤/معارف)
٦٦ نفس المصدر السابق ص ٣٦٥ رجز عُذِب مَن قبلكم ،والحديث رواه البخارى فى صحيحه (٩٠/١٣/١٩٧٤/فتح و رواه أحمد فى مسنده (١/١٩٣/حلبى)و رواه الطبرى فى تفسيره :١٠٣٦
٦٧ ابن كثير : مصدر سابق ، إلياس والخضر ص ٣٢٥
٦٨ نفس المصدر السابق : إلياس ص ٣٣٧
٦٩ ابن كثير البداية والنهاية ، مصدر سابق ، المجلد الأول حزقيل (حزقيال) ص٢ الجزء الثانى
(*) الحَقوُ : الخصر ص١٦٤ ، والحُقْ : النقرة التى فيها رأس الفخذ وتجمع على حِقاق ، وحُقوق، ص١٦٣ المعجم الوجيز ، مصدر سابق .
٧٠ محمد بيومى وآخرين : مصدر سابق والحديث " إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا" متفق عليه ، رواه الخارى (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩/ ٩٨) الجزء الثانى ص ٣٧٤
٧١ اليسع: عند ابن كثير المجلد الأول ، الجزء الثانى ص ٤
٧٢ شموئيل : ابن كثير ، مصدر سابق ص ٥
٧٣ ابن كثير ، مصدر سابق :ظهور داود ص ٢/٨
٧٤ نفس المصدر السابق : قصة داود ص ٢/٩
٧٥ محمد أحمد عبد العزيز : مصدر سابق ، : والحديث عن صلاته رواه البخارى بأرقام عديدة أختار منها (٣٨/٧٩) ورواه مسلم كذلك واختار منها (١٨١/١٣، ولبو داود (١٤/٦٧،٥٤)، وآخرين كثير ، ص ٣٩٧
٧٦ نفس المصدر السابق ص ٣٩٨ والحديث عن حلاوة الصوت ،رواه أحمد فى مسنده (٦/٣٧، ١٦٧ /حلبى)
٧٧ محمد بيومى : مصدر سابق ، "أظلى ياطيرعلى داود" ص ٣٨٩ /٢وحديث حسن : رواه أحمد (٢/٤١٩)
٧٨ ابن كثير مصدر سابق ، ص ٢/١٨
٧٩محمد بيومى : مصدر سابق ص ٢/٣٩٩ "بناء بيت المقدس والصلاة فيه " وحديث صحيح رواه أحمد (٢/١٧٦) والنسائى (٢/٣٤) وابن ماجة (١٤٠٨) وابن خزيمة (١٣٣٤).. وآخرين كثير .
٨٠ محمد أحمد عبد العزيز : مصدر سابق ، "نملة تدعو الله السقيا " ص ٤٠٩ والحديث رواه ابن عساكر في تاريخه (٦/٢٧١/ تهذيب) .
٨١ ابن كثير ، مصدر سابق ، وفاة نبى الله سليمان ص ٢/٣٠
٨٢ نفس المصدر السابق ، ص ٢/٣٢نبى الله شعيا (إشعياء)
٨٣ نفس المصدر السابق ص ٢/٣٣ النبى إرميا
(*) محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق إرميا ودم يحيي ص ٤٢٦ تاريخ ابن عساكر (٢/٣٨٤/ تهذيب)
٨٤ ابن كثير ، مصدر سابق ص ٢/٣٤ خراب بيت المقدس
٨٥ نفس المصدر السابق ، النبى دانيال ص ٢/٤٠
٨٦ نفس المصدر السابق ، عمارة بيت المقدس بعد خرابها ، ص ٢/٤٢

٨٧ ابن كثير ، مصدر سابق العزير (عزرا) ص ٢/٤٣
٨٨ ابن كثير ، نفس المصدر السابق زكريا ويحيى ص ٢/٤٧
٨٩ سيد قطب : الظلال ، مصدر سابق النبى يحيى ص ٢٣٠٣ /٤
٩٠ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق أسباب قتل يحيى ص ٤٥٣
(*) هى قصة سالومى مع الملك "هيرودس"
٩١ ابن كثير : مصدر سابق (قصة مريم) ص ٦٤ /٢
٩٢ سيد قطب ، مصدر سابق (باقى قصة مريم ص ٤/٢٣٠٤
٩٣ نفس المصدر السابق : مولد نبى الله عيسى ص ٤/٢٣٠٤
٩٤ محمد أحمد عبد العزيز ، مصدر سابق منشأ عيسى ، ص ٤٨٣
٩٥ ابن كثير : مصدر سابق ، بيان شجرة طوبى ص ٢/٧٨ (ارضى منهم باليسير من العمل وأدخلهم الجنة بلا إله إلا الله .)
٩٦ ابن كثير ، مصدر سابق إحياء الموتى وشفاء المرضى بإذن الله
٩٧ محمد أحمد عبد العزيز : مصدر سابق ، خبر المائدة ص ٤٩٥
(*) نفس المصدر السابق ص ٤٩٦ والحديث رواه الطبرى فى تفسيره ٢/١٣٠ ثم رواه بنحوه موقوفا على عمار ٤/ ١٣٠ ورواه الترمذى ٤/١٠٢مرفوعا ثم موقوفا ، وجزم بأنه أصح ، ثم قال : "ولا نعرف للحديث المرفوع أصلا ، وابن كثير فى تفسيره (٤/٢٦٢) المعارف .
٩٨ سيد قطب : الظلال ، مصدر سابق ، ص٢/٨٠٢ : رفعه إلى السماء فى حفظ الرب
٩٩ سيد قطب ، الظلال ، مصدر سابق : ظهور النصرانية ص ٤/٢٣٠٨...
١٠٠ أنور الجندى : المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية فى غزو الفكر الإسلامى ، دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧ (يهود التوراة سيفارديم) ص ٣١

الفصل الثانى

١٠١ د . عبد الوهاب المسيرى : اليهود فى عقل هؤلاء ، دار العين بالقاهرة الطبعة الثانية ٢٠٠٨ (تبنى الإمبراطورية الرومانية الديانة المسيحية رسميا وعزل اليهود) ص ١٢
١٠٢ آرثر كيستلر : القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مجموعة الألف كتاب الثانى من ترجمة أحمد نجيب هاشم سنة١٩٩١ (اجبار اليهود على اعتناق الديانة المسيحية سنة٩٤٣ــ ٩٤٤) ص ٦٣ عن دانلوب (١٩٥٤) ص ٨٩ عن المسعودى .
١٠٣ نفس المصدر السابق ، (إيعادهم عن البلاد رحمة بهم) ص ٦٤
١٠٤ د . عبد الوهاب المسيرى ، مصدر سابق (اليهود فى ألمانيا أقنان بلاط) ص ١٦
١٠٥ نفس المصدر السابق ، (اليهود فى العالم الإسلامى أعضاء فى جماعة دينية ضمن جماعات أخرى ص ٢٧
١٠٦ عفيف طبارة : اليهود فى القرآن ص ١٧ ، نقلا عن : " ولفنسون " تاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ٨
١٠٧ نفس المصدر السابق ، نقلا عن : تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٨٣ وكتاب الأغانى للأصفهانى ٩٤/١٩
١٠٨ الأطم : الحصن والجمع آطام : مجمع اللغة العربية ،المعجم الوجيز سنة ٢٠٠٠ ص ٢٠
١٠٩ د . عبد المنعم الحفنى : عالم بلا يهود ، دار الرشاد الطبعة الأولى ١٩٩٢، (تعريف العبرانيين) ص ١٩و٢٠

١١٠ (كتابهم () يعقوب يعبر ص٥٥
١١١ د . محمود بن الشريف : الشعب الملعون فى القرآن ، المكتبة القرآنية ٤ منشورات دار ومكتبة الهلال بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٢ (تعريف عَبَرَ ، هامش ص ٩)
١١٢ د . سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " المرة الوحيدة التى ذُكِرَ فيها إسم "إسرائيل " فى نص مصرى قديم وبموازنته بأسماء أخرى نجد أن كلمة " إسرائيل " كـتُبت لتدل على شعب لا على بلد (بدون مخصص فى اللغة) ، وعلى ذلك فإن (الكاتب المصرى القديم) اعتبر الإسرائيليين قبيلة بدوية تقيم فى فلسطين ، وهذه العبارة جاءت ضمن قصيدة " انتصار مرنبتاح بن رعمسيس الثانى وخليفته ، والقصيدة مسجلة على لوحة حجرية بالمتحف المصرى بالقاهرة ونظرا لأنها المرة الوحيدة فإن الإسرائيليين حين يأتون للمتحف يمررون أصابعهم على هذا المسمى تحديدا ، مما جعل لون الكلمة يختلف عن باقى اللوحة المذكورة (مجلد ٧ ص ٩٦ ومجلد١٨ ص ٢١٨ (واسرائيل خربت وليس بها بذر)
١١٣ سهيل ديب : التوراة .. تاريخها وغاياتها ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨٦ الطبعة السادسة (تعريف اليهودية) لا يقبلون فى صفوفهم إنسانا جديدا يعتنق دينهم ويهودية الأم شرط الاعتراف باليهودية ..هامش ص ٥
١١٤ أنور الجندى : مصدر سابق (لليهودية انسابت إليها عقائد دخيلة) ص ٢١ عن هربرى لوى .
١١٥ نفس المصدر السابق : ص ٢١عن وول ديورانت يقول : استوعبت أساطير بابل وسومر والفكر الفارسى ..
١١٦ صلاح سالم : رؤى التاريخ للديانات الكبرى والحضارات القديمة ، ملحق الجمعة لجريدة الأهرام ٢١يناير ٢٠١١م
١١٧ أنور الجندى : مصدر سابق ص ٢٧ عن أرنولد توينبى : اليهودية ظاهرة شاذة
١١٨ نفس المصدر السابق ص٢٩ عن كارل ماركس فى كتبه : المسألة اليهودية :(المال هو إله إسرائيل المطاع ، أمامه لأى إله أن يعيش)
١١٩ نفس المصدر السابق : ص ٢٩عن جوستاف لوبون فى كتابه اليهود والحضارة ١٨٨٩ عن سفر يشوع :(أهلكوا من فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى الغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار .
١٢٠ نفس المصدر السابق : عن د. أحمد شلبى : مملكة يهوذا وثنية تماما وقد تخلصوا من توراة موسى وعبدوا الأوثان) ص ٢٣ ـــ ٢٤
١٢١ نفس المصدر السابق ص ٢٨ عن سير جيمس فريزر " يتسترون وراء شريعة الغاب القائمة على الحرق والقتل
١٢٢ نفس المصدر السابق : ص ٢٨ عن ديورانت : يهوه إله مخلوق لهم وليس خالقا لهم ..
ص ٢٧: " اليهودية : ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها ص ٤٠: "اليهودية : ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها فضلة متحجرة من حضارة بادت وانقضت كل مظاهرها
(*) وأظنها عبارة واحدة وقد جاء الإختلاف عند الطباعة لتشابه (قضية وفضلة فى حروفيهما) والتعبير الثانى أبلغ لأن الفضلة المتحجرة تعوق مسار الأمور . (الحداد)
١٢٣ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز : ص ٧٩
١/١٢٣ أنور الجندى ص ٢١ و٢٢ تعريفات حول التوراة قديما وحديثا .

١٢٤ د . عبد المنعم الحفنى : مصدر سابق ، (ما الدليل على صدق وقائع التوراة) ص ١٥ عن هـ ـ ج ويلز
١٢٥ سهيل ديب : مصدر سابق : ص١٩ ــ٢٥ (علماؤهم يعلنون أن تاريخهم أسطورى ووضع من وجهة نظر فريسية)
١٢٦ أنور الجندى : عن دائرة المعارف الفرنسية (التوراة لم يكتبها موسى)
١٢٧ أنور الجندى ص ٢٢ عن أنيس فريحة : مراحل كتابة التوراة .
١٢٨ مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، مصدر سابق (تعريف التلمود) لغويا ص ٧٧
١٢٩ الأب آى بى برانايتس : إعداد زهدى الفاتح : فضح التلمود ،دار النفائس بيروت ،(القانون الشفوى) الطبعة الرابعة ١٩٩١ ص ٢٢
١٣٠ نفس المصدر السابق ، (القانون الشفوى) ص ٢٢ و٢٣
١٣١ نفس المصدر السابق : تعريفات منتقاة من ص ٢٦ وما بعدها .
١٣٢ نفس المصدر السابق : موسى بن ميمون : نسر المعبد إعادة القانون، ص٣٨
١٣٣ نفس المصدر السابق :: (جوزيف كاروه : حلول وأحكام موجزة) ص٤٠
١٣٤ نفس المصدر السابق :: (ظنون المسيحيين فى التلمود) ص ٤٢
١٣٥ نفس المصدر السابق ،: (المسيح فى التلمود) ص ٥٥
١٣٦ نفس المصدر السابق : (حياة المسيح فى التلمود) ص٥٧
١٣٧ سهيل ديب : مصدر سابق (سرّية التلمود) ص ٨٣
١٣٨ د . حسن ظاظا :: وثنيات قديمة .سرية التلمود). مجلة الفيصل السعودية عدد٢٠٨ ص ٦ الرياض
١٣٩ د . عبد الوهاب المسيرى :الجمعيات السرية فى العالم ، كتاب الهلال نوفمبر ١٩٩٣ تهمة الدم ص ١٢٠
(*) دكتور مصطفى عبد المعبود سيد : لغات شرقية آداب القاهرة : ترجمة كاملة لمتن التلمود إلى العربية
١٤٠ سهيل ديب : مصدر سابق (الشريعة .. تنظيم قتالى) ص ٣٣
١٤١ نفس المصدر السابق (المدراش :هو التعليم الشفهى للتوراة) ص ٩٤
١٤٢ لنفس المصدر السابق : (تعريف الأمم أو غير اليهود) ص ٢٤
١٤٣ نفس المصدر السابق (تعريف الجويم) ص ٢٤
١٤٤ نفس المصدر السابق (تعريف الكتبة : مدونو الشريعة) ص ٧٨
١٤٥ نفس المرجع السابق (الفريسيون) .ص ٥٢
١٤٦ نفس المصدر السابق : (إله إسرائيل يخصهم وحدهم وليس لغيرهم الانتساب إليه) ص ٢٢
١٤٧ نفس المصدر السابق : يهوه (ليس إله الآخرين إنما هو إله الإسرائيليين فقط) ! ص ٩٤

الفصل الثالث

(*) آرثر كيستلر : القبيلة الثالثة عشرة : إن قصة إمبراطورية الخزر وهى تبزغ على مهل من الماضى تبدو و كأنها أكبر خدعة اقترفها التاريخ فى أى وقت مضى " ص (تعبير رائع) عن بولياك سنة١٩٥١
١٤٨/١٥ آرثر : القبيلة نفس المصدر السابق ص ٣١ عن ابن البلخى : فارس نامه "٣ عروش"
(**) عودة إلى مؤرخنا الأستاذ أنور الجندى : المخططات التلمودية ص ٣٢

١٦/١٤٩ نفس المصدر السابق ص٣٢ عن جيبون ج ٥ ص ٨٧ ــ ٨٨ (تحالف هرقل مع الخزر لمحاربة الفرس)
١٧/١٥٠ آرثر : القبيلة ص ٣٣ نقلا عن دانلوب ص ٢٩ اقتباس عن بوسى من كلانكا توك (أمر تعبئة)
١٠/١٥١ نفس المصدر السابق ص ٢٦ عن أرتامونوف ١٩٦٢م (دولة الخزر أصحاب السيادة العليا)
٣/١٥٢ نفس المصدر السابق ص ٢٢ عن دانلوب (لولاوجود شعب الخزر فى الإقليم الشمالى ..)
/١٥٣ نفس المصدر السابق ص٣٤. (هجمات العرب على بيزنطة ومحاصرة القسطنطينية)
/١٥٤ نفس المصدر السابق ص٣٤ (انتحار مدينة خزرية رفضوا الاستسلام)
/١٥٤أ نفس المصدر السابق ص ٣٤ مسلمة بن عبدالملك (أشهر قائد عربى) ووصوله إلى سمندار وبلانجر
١٥٥ آرثر ص ٣٥(الخليفة مروان وانتصاره على الخزر والصلح مع الخاقان مقابل الإسلام وتوقف الكماشة العربية).
١٥٦ نفس المصدر السابق ص ٣٦ عن دانلوب (١٩٦٢) (لولا الخزر لطوّق العرب بيزنطة)
١٨/١٥٧ آرثر ص ٣٦ عن أرتامونوف (دولة الخزر وفضلها فى تحويل تيار الجيوش العربية)
١٩/١٥٨ نفس المصدر السابق ص ٣٦ عن أوبولونسكى (١٩٧١) ص ١٧٢(خدمة الخزر التاريخية للعالم الدفاع عن خط القوقاز)
١١/١٥٩ آرثر : القبيلة ص ٣٩ ــ ٤٨ رحلة ابن فضلان .
١٣/١٦٠ نفس المصدر السابق : القبيلة ص ٤٨ (ملك الخزر الخاقان) .
١٦٠أ/٤١ " " " : ص٥٨ دانلوب (١٩٥٤) ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ نقلا عن الإصطخرى (من العرق البريطورى ومن عائلة الوجهاء ، أسرة أسينا ص ٥٩)
١٦٠ب/٤٢ نفس المصدر السابق : ص ٥٩ عن ابن حول ص ١٨٩ــ ١٩٠ (عرشه ومقصورته الذهبية وقصره)
١٦١ أرثر : القبيلة هامش ص ٥٤ عن المسعودى (للجيش قوامة سبعة آلاف)
١٦٢ نفس المصدر هامش ص ٥٤ عن ابن حوقل (إثنا عشر الفا قوام الجيش)
(**) " " " " " " يزداد الجيش إلى ١٠٠ ألف
/١٦٣ نفس المصدر السابق هامش ص ٥٤ فرقة مختارة من الجيش الخزرى لحراسة القصر البيزنطى عن : رسالة الإمبراطور المؤرخ بورفيرو ..(بروتوكول البلاط) ص ٦٩٢ ــ ٦٩٣)
١٦٤ المسلمون فى جيش الخزر (فرقة خاصة لا يحاربون المسلمين الأعداء)
١٦٥ نفس المصدر السابق ص ٤٩ ــ ٥١ و ٥٥ العاصمة أتل ثنائية بينهما جسر على نهر الفولجا
٣٨/١٦٦ آرثر : القبيلة ص ٥٥ (للعاصمة سور به أربع بوابات " حدود العالم رقم ٥٠")
٣٨/١٦٧ أ نفس المصدر السابق" ٥٥ عن دانلوب (١٩٥٤) ص ٢٠٦ ــ٢٠٧ نقلا عن المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجواهر (مساجد اخرى بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم) .
١٦٨ نفس المصدر السابق ص ٢٥ السكان (من عهد أتيلا .. الخيام) .
٧/١٦٩ نفس المصدر السابق ص ٢٥ عن انتل بارتا ص ٢٤ (قرى تتساح أميالا عدة وحضارة نوعا ما)
٨/١٧٠ نفس المصدر السابق ص ٢٥ عن بارتا ص ١٤٧ ــ ١٤٩(حظائر وأعمدة تحمل أسقفا)

٩/١٧١ نفس المصدر السابق ص ٢٥ عن انتال بارتا ص ٢٤ (اساس بيوت دائرية ترمز للخيام ، ثم مستطيلة)
١٧١ أ أرثر : القبيلة ص ٥١ : التجارة والحاصلات والتجار)
١١/١٧٢ نفس المصدر السابق ص ٢٧ عن دانلوب ص ١١ نقلا عن ابن سعيد المغربى (غلاظ همج)
١٢/١٧٣ نفس المصدر السابق ص٢٧عن دانلوب ص ١٨٢نقلا عن شولتز(١٩٠٥) ص٢٣بشعو الوجوه أكلو الدماء)
١٣/١٧٤ نفس المصدر السابق ص٢٧ دانلوب ص ١٨٢ نقلا عن ماركار ص٤٤ (ذوو الشعور الطويلة المتدلية كالنساء) اعتناق دين جديد
١/١٧٥ نفس المصدر السابق ص ٦١ عن بيورى : تاريخ الإمبراطورية الرومانية ص٤٠١: (حادث فريد فى التاريخ)
٤/١٧٥ نفس المصدر السابق ص ٢٣ دكتور انتال بارتا (١٩٦٨) ص ٣٥ (حيرة واضحة وسياسة مستقلة)
١/١٧٦ نفس المصدر السابق ص ٢٣ أرثر : يجعلنا أكثر حيرة
١٧٧ أرثر كيستلر : القبيلة ص ٦٢ (هذا أمر يتطلب عملا عبقريا)
١٧٧ أ/٥ نفس المصدر السابق ص ٢٤ عن بولياك ١٩٥١(أصول وأجداد يهود العالم من أصل خزرى قوقازى)
٢/١٧٨ نفس المصدر السابق ص ٦١ــ ٦٢ عن بيورى ص ٤٠٦ (بواعث سياسية : كتب مقدسة ، يحترمها الجميع ..)
١٧٩ أرثر : القبيلة ص ٦٢ بلاد الخزر قوة متكافئة
١٨٠ نفس المصدر السابق : ص٦٣ لضطهاد الحكام البيزنطيين لليهود
٣/١٨٠ أ نفس المصدر السابق ص ٦٣ عن دانلوب نقلا عن المسعودى اعتناق الخاقان الديانة اليهودية فى عهد هارون الرشيد .. وفرار الكثير من اليهود إلى دولة الخزر .
١٨١ أرثر نفس المصدر السابق ص ٦٤ عن مصدر عبرى (العصر بمعصرة الزيتون جنوب ا ليطاليا)
٤/١٨٢ " " " " ص ٦٤ عن المسعودى : (رومانوس يقصيهم عن البلاد رحمة بهم)
١٨٣ " " " ص ٦٤ بلاد الخزر ملجأ أمنا ، ثم هى بمثابة وطن قومى لليهود)
١٨٤ أرثر ، نفس المصدر السابق ص ٦٤ ابن النديم " ببلوجرافيا عالمية سنة٩٨٧" استعمال الأحرف العبرية والفنون والزراعة البيزنطية .
١٠/١٨٥ نفس المصدر السابق ص ٦٥ عن بولياك :انتشار الأبجدية العبرية في البلاد المجاورة دون أن يدركوا تخص. اليهودية كديانة
١٨٥ حركات تحررية دون كيشوتية (وهمية لتحرير المسجد الأقصى داود روى والنجمة
٢/١٨٦ نفس المصدر السابق ص ٦٦ : ظروف التحول إلى الديانة اليهودية ومصادرة المختلفة
١١/١٨٦ نفس المصدر السابق ص ٦٦ عن ماركار ١٩٠٣ص ٦ نقلا عن الدمشقي (أجبرت بيونطة اليهود على الهجرة من بلادهم فهاجروا إلى دولة الخزر وعرضوا ديانتهم عليهم فقبلوها .
١٢/١٨٦ نفس المصدر السابق ص ٦٦ عن دانلوب ١٩٥٤ص ٩٠نقلا عن البكرى : الممالك والمسالك اعتناق الخاقان ..

٣/١٨٧ نفس المصدر السابق ص ٦٧ رسائل الخزر
٨/١٨٧ نفس المصدر السابق ص ٧٩ وثيقة كمبردج ، وكتب جودا هاليفى : الدين الذليل ، و" الخزر " (حصيلة هزيلة)
١٧/١٨٧ بنفس المصدر السابق ص ٨١ عن بارون ١٩٥٧ ج٣ ص ٢٠١ بتاكيا ورحلته حول العالم
١٨/١٨٧ نفس المصدر السابق ص ٨١ عن دانلوب ص ٢٢٠ بتاكيا فى تجواله ببلاد الخزر : عويل النساء ونباح الكلاب
١٨٧ نفس المصدر السابق ص ٨٣ (مصدر مسيحي أقدم) الراهب المسيحى ألو ستيفالى دروثمار . كتب يعرّف الخزر الاضمحلال :
١/١٨٨ المصدر السابق أرثر : القبيلة .. ص ٨٥ عن د.سنيور دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩٧٣(استطاعوا أن
يكونوا يهودا لأنهم أقوياء .
٣/١٨٩ نفس المصدر السابق أرثر ص ٨٦ عن دانلوب ١٨١عن بار هبرائيس والمنبيجى (عرائس المقايضات والملكاتالمسمومة ودسائس ومؤامرات)
٥/١٩٠ المصدر السابق أرثر ص ٨٧عن بارتا ٢٧ (بناء قلعة ساركل)
١٠/١٩١ نفس المصدر السابق ص ٩١ عن ماك ليفدى : نشاط الفايكنج فى السلب والنهب فى جميع المنطقة نشر فى : أطلس تاريخ العصور الوسطى ص ٥٨(١٩٦١م) لمؤسسة بنجوين تلخيصا لمكارتنى (١٩٣٠) ص ٢١٣ نقلا عن تقرير لابن رستة حوالى سنة ٩٠٥، شرحه جارديزى حوالى سنة ١٠٥٠م
٩٥/١٩٢ نفس المصدر السابق ص ٩٥ عن أرتامونوف : أروع مؤلفاته " تاريخ الخزر (١٩٦٢م) عن تفسخ دولة الخزر
١٩/١٩٣ المصدر السابق ص ٩٧ عن توينبى ٤١٩ ومكارتنى ١٧٦ (أحوال المجريين ..)
٢١/١٩٤ نفس المصدر السابق ص ٩٨ عن توينبى ٤٥٤ (المجريون وكلاء عن الخزرفى تسلم الإتاوة من القبائل حولهم)
٢٢/١٩٥ نفس المصدر السابق ص٩٩عن توينبى (الخزر غرسوا المجريين بالموقع غرب نهر الدون لصد زحف الروس)
١٩٦ /١٠٠ نفس المصدر السابق ص ١٠٠ (ملك الخزر نصّب أرباد ملكا على المجر) .
٢٥/١٩٧ نفس المصدر السابق ص ١٠١ عن توينبى ٤٢٦ (تغيير عرقى فى أسر المجر بسبب هجرة ٣قبائل من سلالة الخزر مما أثر فيهم عرقيا ولغويا .
أ٢/١٩٨ نفس المصدر السابق ص ١١٤ ــ١١٥عن دانلوب (١٩٥٤) ٢١٠ ــ٢١٢نقلا عن المسعودى (مروج الذهب ومعادن الجوهر (ضرب الروس لأردبيل ــ وانتقام فرقة المسلمين بجيش الخزر من الروس فى عودتهم) لأردبيل ــ وانتقام الفرقة المسلمة فى جيش الخزر منهم حين العودة . وهذه الواقعة روتها كل المصادر العربية
٤/١٩٩ نفس المصدر السابق ص ١١٨ عن الحولية الروسية ٨٤: سفياتوسلاف : إنى قادم إليكم)
٢٠٠ نفس المرجع السابق ص١٢٧ تدمير اتل الخزرية وهروب أهلها إلى مدينة باكو ثم عودتهم بمعونة شاه شروان المسلم مما جعلهم يعتنقون الإسلام .
٢٣/٢٠١ نفس المصدر السابق ص ١٢٨عن دانلوب (١٩٥٤م) ٢٥١اقتباس عن حولية سيدرينس

القرن ال١٢الخزر كانت لا تزال باقية حتى هذا التاريخ مجرد دولة يهودية (مملكة اليهود الحمر)
٣٢/٢٠٢ نفس المصدر السابق ص ١٣٤ عن : بارون الجزء٣ ص ٢٠٤ قصص خيالية ديفيد ال روى والنجمة السداسية
٣٣/٢٠٣ نفس المصدر السابق ١٣٤ــ ١٣٦ عن بارون (المصدر السابق)
٢٠٤ وجيه الصقار : النجمة السداسية مصرية تحقيق بجريدة الأهرام ٢٠١٠/١٢/٢٨م
٦/٢٠٥ نفس المصدر السابق ص ١٤٢عن بولياك الفصل التاسع (الغارة المغولية على الخزر زلزال تبعه انهيار هائل)
٨/٢٠٦ نفس المصدر السابق ص ١٤٢عن بولياك الفصل التاسع : الهجرة الوسيلة المتاحة للسكان لصون حياتهم وأرزاقهم
١٩/٢٠٦ نفس المصدر السابق ص١٤٨ عن آدم فيتولانى (١٩٦٢) ص٢٧٨: وتم إزالة الخزر من على وجه البسيطة ، بعد تدمير آخر قرى الخزر القديمة على نهر الدنيبر بمعرفة تشملنسكى .بولندة بعد الخزر
٢٢/٢٠٧ نفس المصدر السابق ص ١٤٩ عن آدم فيتولانى ٢٧٦ نشاط الخزر المالى فى بولندا موطنهم الجديد .
٣٢/٢٠٨ نفس الصدر السابق ص ١٥٥ عن بولياك الفصل الثالث (نقلت المدينة الصغيرة من تربتها بأرض الخزر لتغرس فى أرض بولندة بكل مكوناتها ومواصفاتها)
٢/٢٠٩ آرثر نفس المصدر السابق ص ١٥٨ عن بارون ج ٤ ص ٧٥ ــ ٧٦(اليهود فى انجلترا الربا .. فالطرد
٢١٠ ٤/و٥ نفس المصدر السابق ص ١٥٩ عن روث (١٩٧٣) (أبعدوهم عن التجارة فلم يبق لديهم إلا الربا ..والرقيق)
٦/٢١١ نفس المصدر السابق ص ١٥٩ عن بارون ج٤ ص ٢٧١ إجبارهم بين حين وآخر على رد الأموال للخزانة)
٩/٢١٢ نفس المصدر السابق آرثر : ص ١٦٠ عن دائرة المعارف البريطانية ــ الطبعة ١٤ ج ٦ ص ٢٧٢ : مقال : "الحروب الصليبية "
٢١٣/١٠ــ١٢ نفس المصدر السابق عن بارون ج ٤ ص ٩٧(يهود المانيا : إما الإنتحار أو الموت على أيدى الجماهير"
٢١/٢١٤ نفس المصدر السابق ص ١٦٤ عن كوتشيرا : ٢٣٥ــ ٢٣٦ (الحديد والنار والطاعون الأسود فى ألمانيا لليهود)
١١/٢١٥ نفس المصدر السابق ص ١٧٢ عن سميث : مقال بمجلة جمعية الدراسات الشرقية جامعة جلاسجو ج٥ ص٦
٢١٦ /١٥ نفس المصدر السابق آرثر : القبيلة ..ص ١٧٣ نقلا عن بولياك : لغتهم فى بولندا(من واقع الاختلاط بالألمان)
٢٨/٢١٧ نفس المصدر السابق : القبيلة ص ١٥٣ الزى : القفطان والطاقية عن دائرة المعارف البريطانية ١٩٧٣
٢١٨ آرثر : القبيلة ص ١٧٧ تأكيد من المؤلف على أن أصل اليهود من الخزر بأدلة واردة فى الفصول السابقة
٣/٢١٩ نفس المصدر السابق ص ١٨١ عن توماس (١٩٥٨) ص ٣١ ــ ٣٢ متغيرو الخصائص

٢٢٠/١٥ نفس المصدر السابق ص ١٨٤ عن فيشبرج ،(وكتابهم ..) سفر الملوك الأول إصحاح ١١ (انتقاء سلالة نقية)

٢٢١ د. حسين فوزى النجار : أرض الميعاد ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٩٦عن فريدريك هيرش : عبريو الأمس لسو هم يهود اليوم .

٢٢٢ د.أرثر : للقبيلة مصدر سابق ص ١٩٦ الخلاصة لكتابه : تكذيب الادعاء القائل بوجود جنس يهودى انحدر من قبيلة الأسفار الأولى

٢٢٣ أرثر : القبيلة ص ١٧: إسرائيل قامت بمقتضى قرار التقسيم من الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م

٢٢٤ ارثر عن بوليا ك ص لم يجيئوا من فلسطين بل من القوقاز

٢٢٥ أنيس منصور : من أوراق السادات ، دار المعارف بالقاهرة ٢٠٠٩ : نحن ساميون وهم ليسوا كذلك السادات ص ٢٩٣

٢٢٦ أحمد نجيب هاشم مترجم كتاب القبيلة يعرفنا على المؤلف آرثر كيستلر
ظهور المسألة اليهودية

٢٢٧ د. عبد المنعم الحفنى : عالم بلا يهود ، دار الرشاد بالقاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٢م الغلاف الأخير تعريف المسألة اليهودية "نحن نحارب إذن نحن موجودون"

٢٢٨ المصدر السابق : يهود العرب ، صراع اليهودية والنصرانية فى نجران وقصة أصحاب الأخدود

٢٢٩ نفس المصدر السابق : عالم بلا يهود ص ٣٤ الإسلام فى المدينة يهدد التفوق اليهودى)

٢٣٠ ابن الأشرف يدفع حياته ثمنا لقصائده ص٣٦

٢٣٠/٢ نفس المصدر السابق ص ٣٦ نقضوا عهد رسول الله معهم ، عن ابن سعد كتاب الطبقات الكبير ج٣ ص ٦٨ بنو قينقاع

٢٣٠/٣ نفس المصدر السابق ص ٣٦ رفض دعوة رسول الله إلى الإسلام والتلويح بالحرب، عن ابن هشام ج٢ ص ٤٢٦

٢٣١/١ نفس المرجع السابق ص ٣٧ (شرارة الحرب) وحصار رسول الله لهم ونزولهم على حكمه ، عن ابن هشام ص ٤٢٧ ج٢ ، وإرفنج حياة محمد ص ١٥٨ترجمة الخربوطلى .

٢٣١/٢ نفس المصدر السابق ص ٣٧ عن الخربوطلى (الجلاء إلى أذرعات) ولموالهم غنيمة

٢٣٢/١ نفس المصدر السابق ص ٣٨ عن الخربوطلى ص ٤٠ واليعقوبى ج٢ ص ٣٨ (بنو النضير) مؤامرة لقتل رسول الله ، وحصارهم وإخراجهم إلى خيبر .

٢٣٣/١ نفس المصدر السابق ص ٣٩عن الخربوطلى ص ٤٢واليعقوبى ج٢ ص ٣٩(تحالفهم مع الأعداء فى غزوة الخندق)

٢٣٣/٢ " " " يهود خيبر للفتح والصلح ومناصفة فى إنتاج الأرض ، وطلب الفدك مثل صلح خيبر

٢٣٤/١ المصدر السابق ص ٤٠ عن الخربوطلى ص ٤٥، وجمال سرور : قيام الدولة العربية ص ١٢٠(رعايا فى الدولة مقابل دفع الجزية) (الحل الإسلامى للمسألة اليهودية)

٢٣٤/٢ المصدر السابق ص ٤٠ عن الخربوطلى ص ٥٧، ويوسف رزق الله : " نزهة المشتاق" ص ١٠١(تقدير عمر بن الخطاب)

٢٣٤/٣ المصدر السابق ص ٤٠ عن الخربوطلى ص ٦١(طبيب الخليفة المأمون والمقرب إليه)

٢٣٥/١ المصدر السابق ص ٤١ عن الخربوطلى ص ٦٥، والمسعودى : " التنبيه " ص ١١٣، و ويل

ديورانت "قصة الحضارة ج٤ ص٣٦٦(افسحوا الطريق لسيدنا ابن داود)
٢/٢٣٥ المصدر السابق ص ٤١عن دكتور فيليب حتى : " تاريخ العرب " حياة تسامح معهم
٣/٢٣٥ المصدر السابق ص ٤١عن المقدسى : (معظم الصيارفة من اليهود)
٢٣٦ نفس المصدر السابق ص ٤٢ ــ ٤٤ عن وول ديورانت : " قصة الحضارة ١٩٤٤ ص ٣٦٦ (أحوال اليهود فى العالم الإسلامى)
٢٣٧ دكتور قاسم عبده قاسم : " اليهود فى مصر " المؤسسة العربية للدراسات والنشر /بيروت ، الطبعة الأولى يناير ١٩٨٠: (النظرية السياسية أو حتى تطبيقاتها للدولة الإسلامية لم تضع عقبات أمام الرعايا النصارى أو اليهود) ص ٥.
١/٢٣٧ المصدر السابق ص ٥ عن البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢١٦ــ ٢٢٠(مصر فتحت صلحا وأهم شروط الصلح الجزية) .
٢/٢٣٧ المصدر السابق ص ٦ عن ابن الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٧٠ /ص ٨٥ ، تاريخ ابن البطريق ص ٢٢
ــ ٢٦، المقريزى : الخطط ج١ ص ٧٧ (أربعين ألفا هم الإسكندرية من اليهود يدفعون الجزية) .
٣/٢٣٧ نفس المصدر السابق ص ٨ عن ابن أصيبعة : طبقات الأطباء ص ٤٥٠، السيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٣١١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٢ ص١٧(أحمد بن طولون يستخدم عددا من الأطباء فى قصره)
٤/٢٣٧ المصدر السابق : ص ١١ عن المقريزى : اتعاظ الحنفاء ، ص ١٩٧و١٩٨، ص ٢٠١ (غير المسلمين كانوا أداة الدولة الجديدة فى إدارة الشئون المالية خصوصا ما يتعلق بالضرائب التى كانت محور العلاقة بين الحاكم والمحكوم . (والعصر الذهبى لأهل الذمة)
٥/٢٣٧ المصدر السابق ص ١٨ عن ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ص ٢١٧:٢١٦، ابن فضل الله العمرى : التعريف ص ١٤٢، القلقشندى : صبح الأعشى ج١١ص ٣٨٥و٣٨٨و٣٩٠ ، تاريخ ابن الفرات ج٨ص١٨و٢٠ توجد وثائق بها وصية لرئيس اليهود فى ٦٨٤ هــ .
٦/٢٣٧ نفس المصدر السابق ص٢٩ عن البلوى : سيرة أحمد بن طولون ص ٣٣٠، الكندى : الولاة والقضاة ص ٣٢١، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٣ ص١٨
٧/٢٣٧ نفس المصدر السابق ص ٤٥ عن : المذاهب والفرق اليهودية : د. حسن ظاظا : الفكر الدينى الإسرائيلى ص٢٤٣ و على عبد الواحد وافى : اليهودية واليهود ص ٨٠ ، وكتاب مراد فرج : القراؤون والربانون ...
(*) يقول الدكتور قاسم عبده قاسم : " يضيق بنا المقام عن تتبع كافة الأمثلة التى تزخر بها المصادر التاريخية ، ونوضح أنهم شاركو المسلمين والمسيحيين فى المساهمة فى مثل هذه التظاهرات السياسية ." انتهى كلام الدكتور قاسم . وأنا فخور إذ أضيف : (هذه مصر تصبغ كل من حضر بصبغة أهلها وتطبعه بطابعها المميز ، لا شرقية ولا غربية ..
فهى متفردة فى هذا الوضع على مر التاريخ بدءا من الهكسوس الذين تسموا بأسماء ملوكها ، وتدينوا بدين أبنائها وعبدوا آلهتها ، والليبيون الذين أقاموا بها عقودا واستمروا أجيالا فتمصّروا وصاروا ملوكا ، إلى النوبيين فى لأسرة الخامسة والعشرين من تاريخ مصر القديمة ، إلى الحملة الفرنسية حيث أسلم القائد سيزيه وسمى نفســه سليمان باشا ، ومؤخرا : روبير سوليه (الأهرام ٢٦مارس ٢٠١٢م صفحة الأدب فى حوار معه) بمناسبة إطلاق اموس " عشق مصر " المترجم من الفرنسية على سبيل المثال لا الحصر) فدمت يا مصر عزيزة كريمة مضيافة

٢٣٨ د. عبد المنعم الحفنى ، مصدر سابق ص ٥١ (المسألة اليهودية والنازية)
١/٢٣٨ نفس المصدر السابق ص٥٣ عن أدولف هتلر : كفاحى : (غريزة حب البقاء وحفظ النوع وراء كل حدث من أحداث التاريخ . وليس فى عالمنا شعب نمت فيه غريزة حب البقاء وتبلورت كالشعب الذى يسمى نفسه " الشعب المختار .
٢/٢٣٨ نفس المصدر السابق مقتطفات من كتاب " كفاحى " لأدولف هتلر ص ٥٣ : ٦٨
٢٣٩ نفس المصدر السابق: ص ٧١ الحل السوفييتى للمسألة اليهودية (تخصيص أرض نصف مساحة غرب أوربا)
٢٤٠ نفس المصدر السابق ص ٧٥ الحل الصهيونى للمسألة اليهودية (إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين)
١/٢٤٠ دكتور رشاد عبد الله الشامى : القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة ، عالم المعرفة١٨٦ الكويت يونية ١٩٩٤ ص ١٧٧ (صراعات متنوعة بالداخل فى إسرائيل)
٢٤١ د. عبد المنعم الحفنى : مصدر سابق ص ٧٩ الصهيونية والتحالف الإمبريالى (شركات كبرى احتكارية بفلسطين)
٢/٢٤١ نفس المصدر السابق ص ٨١ تعريف الهستدروت الحركة العمالية اليهودية وهى حركة نقابية تعاونية نوّه عنها هارولد لاسكى و هـ.ج . كول ولكنهما لم يتعمقاها لأنها حركة استعمارية روحا ، والأهداف النقابية ليست هى الأصل الذى تسعى إليه ، ومن ثـم فدعوى اشتراكيتها تكون قائمة على أساس المغالطة .
٤/٢٤١ المصدر السابق ص ٩١ الدولة وسيلة إلى هدف هو توسيع رقعة الأرض المحتلة: بن جوريون يتطلع إلى الوراء .
٢٤٢ المصدر السابق ص ٩١ ليفى أشكول: مهمتنا احتلال اراضى عربية والاستفادة بثرواتها الطبيعية جزر تيران وصنافير وسيناء ومنطقة قناة السويس .
٢/٢٤٢ نفس المصدر السابق ص ٩٣ عن ك.ايفانوف " دولة إسرائيل : وعوامل تكوين اسرائيل " ص ١٠٩
٢٤٣ القس البريطانى : ستيفن سيزر ، "عمق الخلاف المسيحى ـ اليهودى " ، محاضرة نظمتها له الكنيسة الأسقفية بالزمالك ٢١ فبراير ٢٠١٢
٢٤٤ د هدى درويش : يهود الدونمة فى تركيا ، وثائق جديدة ، دار عين للدراسات والبحوث الاجتماعية ، الطبعة الأولى سنة٢٠٠٢ ص ٥
٢٤٥ المصدر السابق ص ٤٦ علاقة أتاتورك بالدونمة

الفصل الرابع ٢٤٦

(*) محمد خليفة التونسى : بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودى) ترجمة عباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربى / بيروت الطبعة السابعة سنة ١٩٤٨ م
٢٤٦ "كتاب جديد " سلسلة أسبوعية بملحق الجمعة / جريدة الأهرام ، يترجمها ويعرضها للقراء نخبة من المتخصصين
٢٤٦/ أ بالشئون الخارجية والسياسة الدولية .وموضوع كتاب هذه الحلقة : الفكرة الصهيونية الاستيطانية :منشؤها وأول المعارضين لها،، وفكرتها وزمنها.وأول من نادى بها : الكالاى كاليسكر هيرتسبرج بنسكر هيرتزل أحد هاعام وماجنس . (أهرام الجمعة ٢٥ مايو ٢٠٠١م عرض الأستاذ حسن فؤاد)

ب ــ مقدمات وتداعيات ::

١/٢٤٧ بهاء فاروق : فلسطين بالخرائط والوثاق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ ص ٦٢رسالة هيرتزل إلى السلطان عبد الحميد .

٢/٢٤٧ المصدر السابق : اتفاقية سايكس / بيكو سنة١٩١٦م: ص ٦٣

٣/٢٤٧ نفس المصدر السابق ص ٦٤ وعد بلفور والانتداب البريطانى سنة١٩١٧م

٤/٢٤٧ بطلان الانتداب البريطانى ونتائجه .

٥/٢٤٧ بروتوكولات حكماء صهيون : مصدر سابق : ص ٦٣ دزرائيلى يشترى بذهب روكفلر أسهم قناة السويس

٦/٢٤٧ المصدر نفسه : بريطانيا تقوم بدور البلطجى لحراسة ص ٦٤

٧/٢٤٧ بهاء فاروق : مصدر سابق انسحاب بريطانيا وقرار التقسيم : ص ٧٥

٨/٢٤٧ نفس المصدر السابق : اليهود قبيل حرب ١٩٤٨: ص ١٠٣ .

٢٤٨ عن حرب ١٩٥٦ الأستاذ محمد حسنين هيكل : قصة الصراع الكبير على الشرق الأوسط " ملفات السويس" جريدة القبس الكويتية سلسلة مقالات عديدة خلال شهر أكتوبر ١٩٨٦

١/٢٤٨ نفس المصدر السابق الأستاذ محمد حسنين هيكل : " ملفات السويس " جريدة الأهرام ١٩٨٦/٩/٢٨

٢٤٩ عن حرب ١٩٦٧ : نيكولاس جويات بروفيسور بجامعة برينستون / أمريكا : ضياع السلام ، الناشر : زد (لندن / نيويورك " كتاب جديد " ملحق جريدة الأهرام ٢٠٠١/٣/٢ قراءة رضا هلال .

١/٢٤٩ عن حرب ١٩٦٧ : جوناثان جولدبيرج : قوة اليهود فى أمريكا ، ترجمة نهال الشريف ١٩٩٧م ص ١٤٤

٢٥٠ عن حرب ٧٣ أفرايم إنبار :الأمن القومى الإسرائيلى (٧٣ ــ ٩٦) " دراسة صادرة عن مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة بار إيلان .فى تل أبيب والبروفيسور المذكور مدير المركز عن أخطر الفترات فى تاريخ إسرائيل التى بدأت عقب حرب ٧٣ ، عرض وتعليق الأستاذ عاطف الغمرى ــ ملحق أهرام الجمعة ٢٧ فبراير ٢٠٠٤م " سلسلة كتاب جديد "

٢٥١ المؤرخون الجدد حركة اجتهادات ليست جديدة بل بدأت منذ الأربعينات .

١/٢٥١ الفريد ليلينتال : وكتابه " ما هو ثمن إسرائيل ؟"

٢/٢٥١ أورى أفنيرى : "إسرائيل بدون صهيونية " .

٣/٢٥١ مارتن بوبر : " فيلسوف يهودى "دولة ذات قوميتين "

٤/٢٥١ يهودا ماجنس يهودى أمريكى (دولة ذات قوميتين)

٥/٢٥١ بورلم جازونى " الدولة اليهودية .. النضال من أجل روح إسرائيل "

٦/٢٥١ نيكولاس جويات : " ضياع السلام "

٧/٢٥١ رجاء (روجيه) جارودى " الصهيونية التى أرفضها "

٨/٢٥١ ريجيس دوبريه " المسئولون الإسرائيليون متخلفون عقليا .

٩/٢٥١ كلود برزوزوفسكى : " اغتصاب أرض فلسطين " .

١٠/٢٥١ بنى موريس : " قضية عدم عودة اللاجئين ، ومذبحة قبيـــة

٢٥٢ الكاتب اليهودى ليون هادار : دراسة متعمقة " شارون " جاء إلى الحكم ليبدا انقلابا صريحا وكاملا على عصر ما بعد الصهيونية وبمشروع عسكرى بحث لدولته الهدم والتدمير والقتل وخراب الديار ، ملحق أهرام الجمعة ٢١ مايو٢٠٠٢م عرض وتعليق الأستاذ عاطف الغمرى .

٢٥٣ شهود .. يهود : لماذ الإهتمام بإسرائيل إلى هذا الحد ؟ :
ريتشارد بن كريمر يهودى أمريكى مراسل صحيفة ومحلل سياسى ،
١/٢٥٣ الأستاذ مرسى عطا الله رئيس مجلس إدارة الأهرام الأسبق : عرض للكتاب الصحفى والمحلل ريتشارد بن كريمر بعنوان : "كيف خسرت إسرائيل الأسئلة الأربعة " جريدة الأهرام يوميا تحت عنوان : " كل يوم " الصفحة الأخيرة للفترة من ٣٠ أغسطس ــ حتى ١٣ سبتمبر ٢٠١٠ م
٢/٢٥٣ ريجيس دوبريه : عتاب إلى صديقى السفير .
٢٥٤ الأستاذ عاطف الغمرى :ما الذى يمنع أوباما من ايقاف التحدى الإسرائيلى له ؟ مقال بجريدة الأهرام ٢٧/١٠/٢٠١٠

الفصل الخامس

بيت المقدس وفلسطين : ليست القدس مدينة فى وطن هو فلسطين ، ولكن فلسطين وطن فى مدينة هى القدس .
المستشار طارق البشرى .ص ٢٦٤
٢٥٥ المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين
٢٥٥/ ١ مقتطفات عن القدس ص ٢٣٩ : ٢٦٩
٢٥٥/ أ بهاء فاروق : مصدر سابق المصدر السابق ، العهدة العمرية ، صورة الوثيقة ص ٥٧
٢٥٥/ب المكانة الدينية لبيت المقدس عند المسلمين : ٢/٢٥٥
٢٥٥/* (لا تُشد الرحال..) رواه أبو هريرة وهو حديث صحيح : البخارى ص ١١٨٩
٢٥٥/** (فضلت الصلاة فى المسجد الحرام ..) عن أبة الدرداء رضى الله عنه .. ، رواه البزار وحسّن إسناده : كشف الأستار ٢١٣/١
٢٥٥/*** (أى المساجد وضع فى الأرض أولا :صحيح البخارى ص ٣٤٢٥ ، وصحيح مسلم ٥٢٠حديث صحيح
٢٥٥/**** لاتزال طائفة من أمتى .. رواه عقبة بن عامر ، المحدث ابن حجر العسقلانى : المصدر موافقة الخير الخير ١/٢٧٩ حكمه موقوف ولكن له شواهد . المصدر السابق نفسه فلسطين ص ٥٨ ــ ٦١
٢٥٦ المذابح التى ارتكبها الجيش الصهيونى فى حق الفلسطينيين ص ٢١١ــ ٢١٩
٢٥٧ الخاتمة : رأى الباحث أن الحل هو تفكيك الكيان بامتناع أمريكا عن امدادهم بشريان الحياة ..
ويتأتى هذا بالتوعية وصولا إلى تعبئة شعبية ومبدأ سياسى ودبلوماسى تستخدمه جميع القوى العربية والإسلامية وتلجأ إلى المقاطعة التجارية وهى إحدى وسائل الضغط المضمونة للنتائج .
(*) رضا هلال : مصدر سابق : كارتر لا يعترف بالقدس عاصمة إسرائيل المسيح اليهودى ونهاية العالم ، ص ١٢٣

المراجع

- القرآن الكريم
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقى ، دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م
- فى ظلال القرآن : سيد قطب ، الطبعة الشرعية الحادية عشرة ، بيروت القاهرة ١٩٨٥م .
- البداية والنهاية (جزئين) خرّج أحاديثه محمد بيومى وآخرين ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٣م
- البداية والنهاية : إبن كثير ، (المجلد الأول) مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٨٥م .
- قصص الأنبياء : ابن كثير (تحقيق : محمد أحمد عبد العزيز ، دار الحديث بالقاهرة الطبعة الثامنة سنة١٩٩٨م .
- السفر فى الزمن الكونى : بارى باركر ، ترجمة د.مصطفى محمود سليمان ، مراجعة جلال عبد الفتاح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مجموعة الألف كتاب الثانى) ١٩٩٩م .
- المؤامرة الكبرى : د.مصطفى محمود ، كتاب اليوم ، دار أخبار اليوم عدد(٣٤٦) ١٩٩٣م . دار الإعتصام بالقاهرة،١٩٧٧م .
- اليهود فى عقل هؤلاء : د. عبد الوهاب المسيرى ، دار العين للنشر بالقاهرة ٢٠٠٨م
- القبيلة الثالثة عشرة : د.آرثر كيستلر ترجمة أحمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب مجموعة الألف كتاب الثانى ١٠١ سنة ١٩٩١م .
- عالم بلا يهود : د . عبد المنعم الحفنى ، دار الرشاد بالقاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٢م
- الكتاب (المقدس): دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط ، الطبعة العربية ١٩٨٩م .
- الكتاب المقدس وتاريخ إسرائيل : جى راشيه ، عرض وتقديم د.أحمد يوسف ، الأهرام
- موسوعة مصر القديمة : د. سليم حسن (المجلد السابع) الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م
- أصل الألفاظ العامية : م/سامح مقار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٤ م .
- المعجم الوجير هيروغليفى/ عربى ، م/سامح مقار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧م . المخططات التلمودية : أنور الجندى ، دار الإعتصام بالقاهرة ١٩٧٧م .
- اليهود فى القرآن : عفيف طبارة ، الطبعة الخامسة ..

- الشعب المعون فى القرآن د. محمود بن الشريف ، دار ومكتبة الهلال بيروت الطبعة القانية نوفمبر ١٩٨٢م .
- التوراة .. تاريخها وغاياتها : ترجمة وتعليق سهيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- مغزى التاريخ : صلاح سالم (مقال بجريدة الأهرام / ملحق الجمعة ٢٠١١/١/٢١ز
- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٠٠٠م . طبعة وزارة التربية والتعليم سنة ٢٠٠٠ م .
- فضح التلمود : الأب أى بي برانيتس ' إعداد زهدى الفاتح ، دار النفائس ، بيروت ١٩٩١ م .
- وثنيات قديمة فى الصهيونية الحديثة : د. حسن ظاظا ، مجلة الفيصل السعودية عدد(٢٠٨)
- الجمعيات السرية فى العالم : د. عبد الوهاب المسيرى ، دار الهلال بالقاهرة ١٩٩٣م
- من أوراق السادات : أنيس منصور ، دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٩ م
- اليهود فى مصر : د.قاسم عبده قاسم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت طبعة أولى ١٩٨٠ م .
- المسألة اليهودية بين الأمم العربية والأجنبية : عبد الله حسين ، مطبعة أبى الهول بالقاهرة ١٩٤٧ م .
- حقيقة يهود الدونمة فى تركيا ..وثاق جديدة : د .هدى درويش ، دار عين للدراسات والبحوث الاجتماعيةالطبعة الأولى سنة ٢٠٠٢ م .
- فلسطين بالخرائط والوثائق : بهاء فاروق ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٢ م .
- بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ : د. عبد الحليم عويس
- المركز القانونى لمدينة القدس : د . سالم الكسوانى .
- الفكرة الصهيونية : آرثر هيرتسبرج ، عرض حسن فؤاد (كتاب جديد ، الأهرام ٢٥ مايو ٢٠٠١ م
- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية : رجاء جارودى ، دار الغد العربى ، طبعة أولى ١٩٩٦ م .
- ملفات السويس : محمد حسنين هيكل (جريدة القبس الكويتية ١٩٨٦/١٠/٥ م .
- قوة اليهود فى أمريكا : جوناثان جولد بيرج ، ترجمة نهال شريف ، دار الهلال ١٩٩٧ م .

● الأمن القومي الإسرائيلي ٧٣ :٩٦ : أفرايم إنبار ، عرض عاطف الغمرى ، الأهرام ٢٠٠٤/٢/٢٧ م .
● اغتصاب أرض فلسطين : كلود برزوزوفسكى ، عرض حسن فؤاد ، الأهرام ٢٠٠١/٩/١٤ م .
● تصحيح خطأ : قضية اللاجئين : بنى موريس ترجمة هارون محاميد ، الأهرام ٢٠٠١/٧/١٥م
● عصر ما بعد الصهيونية : ليون هادار ، عرض عاطف الغمرى ، الأهرام ٢٠٠٢/٣١ م .
● أحدث كتاب عن شارون : إنيتا ميلر ، عرض مصطفى سامى ٢٠٠٣/٩/١٩ م .
● كيف خسرت إسرائيل الأسئلة الأربعة : ريتشارد بن كريمر ، عرض مرسى عطاالله ، أغسطس ٢٠١٠ م .
● إلى صديقى السفير الإسرائيلى : ريجيس دوبريه ، عرض ليلى حافظ ، جريدة الأهرام ..
● ما الذى يمنع أوباما من إيقاف التحدى الإسرائيلى : عاطف الغمرى ، الأهرام ٢٠١٠/١٠/٢٧ م
● فى انتظار أمريكا وإلى متى ؟ : عاطف الغمرى الأهرام
● بروتوكولات حكماء صهيون : محمد خليفة التونسى ، ترجمة عباس العقاد ، دار الكتاب العربى الطبعة الرابعة بيروت ١٩٨٤ م .
● تاريخ يهود الخزر : د /م / دانلوب ، ترجمة وتقديم سهيل زكار ، دار قتيبة ، بيروت، لبنان .
● ضياع السلام : نيكولاس جويات ، (كتاب جديد) عرض رضا هلال ، الأهرام ٢٠٠١/٣/٢ م
● الأطلس العربى : وزارة التربية والتعليم ١٩٨٥ م .
● المسيح اليهودى ونهاية العالم : رضاهلال ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
● أرض الميعاد : د . حسين فوزى النجار ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥ م .
● القوى الدينية فى إسرائيل : د . رشاد عبد الله الشامى ، عالم المعرفة ، الكويت (١٨٦) يونية ١٩٩٤ م .

Historical Annual





ANNALS OF

Center for Research and Historical Studies

Faculty of Arts- Cairo University

Historical Annual

A Referred Research Periodical

January 2011- A.D- Muharram 1432 H.D.